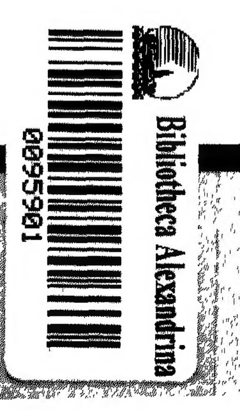
١٦

الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي

دراسة تاريخية وثائقية

دكتور
عبد المنعم عبد الحميد سلطان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب بسوهاج

دار الثقافة العلمية
١٩٩٩





الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي

دراسة تاريخية وثائقية

الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي

دراسة تاريخية وثائقية

دكتور
عبد المنعم عبد الحميد سلطان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب بسوهاج

دار الثقافة العلمية
١٩٩٩

رقم الإيـــداع ١٦٤٩ / ١٩٩٩

I. S. B. N. 977-63-9317-X الترقيم الدولى

١

المقدمـــــة

تبوأت الدولة الفاطمية مكانة مميزة فى تاريخ مصر الإسلامية، واحتلت أهمية خاصة لدى المؤرخين قديماً وحديثاً، ولعل ذلك راجع إلى أسباب متعددة، منها أنها أول دولة مستقلة استقلالاً حقيقيا تحكم مصر الإسلامية وتجعل عاصمتها القاهرة مركزاً لدولة مترامية الأطراف، ولأنها أول دولة شيعية تحكم مصر الإسلامية وآخر دولة حتى وقتنا الحاضر، وما أثاره عليها مذهبها وانتسابها إلى بيت النبى (ﷺ) من الجدل بين المؤرخين حول حقيقة نسب الفاطميين وأحقيتهم فى خلافة المسلمين مما جعلها تتعرض لهجوم عنيف من جانب المؤرخين السنيين ولاسيما اذا أدركنا أن الدولة الفاطمية كانت مسبوقة فى حكمها لمصر بقوى سنية وتلاها فى حكم مصر أيضاً قوى سنية. بالإضافة إلى ذلك فإن الدولة الفاطمية قد حظيت بثراء عريض وكانت لها نظم ورسوم تتسم بالفخامة والبذخ جذبت أقلام المؤرخين فأفاضوا فى الحديث عن تلك المظاهر الأخاذة والاحتفالات العظيمة تماما مثلما اهتموا بأحداثها السياسية.

لذلك حظى تاريخ الدولة الفاطمية بالعديد من الدراسات السياسية والعسكرية والاقتصادية ولكن موضوع الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى لم تتناوله أقلام المؤرخين المحدثين إلا فى ثنايا كتبهم العامة التى تعالج بصفة عامة تاريخ الدولة الفاطمية وفى صفحات قليلة الهدف منها استكمال الحديث عن مظاهر الحضارة فى ذلك العصر.

والواقع أن موضوع الحياة الاجتماعية فى عصر الدولة الفاطمية من الموضوعات الصعبة التى تحتاج إلى كثير من الحذر والحيطة فى تناولها، وأول الصعوبات التى صادفتنى هى تحديد إطار البحث والموضوعات الفرعية التى أتناولها بالدراسة، وهى موضوعات متعددة ومتشعبة تحتاج إلى العديد من

الأبحاث المستقلة وليس بحثاً واحداً، فدراسة الحياة الاجتماعية تستلزم بالضرورة التعرض لدراسة التقسيم الطبقى فى ذلك المجتمع وعلاقة طبقاته بعضها ببعض، ودور الأسرة فيه، كما يستلزم التعرض لعادات الناس وتقاليدهم فى احتفالاتهم الأسرية وأعيادهم ووسائل لهوهم وطريقة تعبيرهم عن الحزن فى السياسات المختلفة، وعاداتهم فى الطعام والشراب وملابسهم، وغيرها من الموضوعات التّى يصعب على الباحث أن يلم بجميع أطرافها الماماً تاماً ولاسيما أن المصادر التى يمكن الاعتماد عليها لدراسة مثل هذه الموضوعات فى العصر الفاطمى لا تمدنا بمعلومات كافية تجعل التعرض لمثل تلك الجوانب أمراً ميسراً، فمعظم المصادر تكاد تهمل ما يتعلق بحياة عامة الناس وقتئذ وطبقات القوم ولا غرابة فى ذلك فالتاريخ فى تلك العصور كان ربيب الملوك والسلاطين يتتبع حياتهم فى القصور حيث يعيشون حياة البذخ والفخامة، والمؤامرات والفتن ويسايرهم فى مراكب الحرب وساحات الصراع من أجل السلطة والنفوذ.

واذا اكتفينا بما تعرضه معظم المصادر التاريخية المتاحة عن طبقة الخاصة لكان معنى ذلك أننا سنتعرض بالدراسة لحياة طبقة واحدة من طبقات المجتمع، وكان لابد لاستكمال صورة البحث حتى تشمل كل قطاعات المجتمع فى العصر الفاطمى من مواصلة القراءة والتنقيب فى المراجع التاريخية والجغرافية والأدبية والدينية التى عاصرته للخروج منها بإشارة أو معلومة تفيد فى دراسة حياة العامة وباقى الطبقات من قريب أو بعيد، وتلك مهمة قد عانيت منها معاناة قاسية فكنت أحياناً أقرأ المصدر المتعدد الأجزاء صفحة صفحة فلا أحصل منه على أى اشارة تفيدنى فى موضوع البحث، أو أخرج منه بعدة سطور قليلة فى موضوع ما من موضوعاته المتعددة، ولعل تلك المعاناة هى التى جعلت الباحثين والمؤرخين يعزفون عن الكتابة فى هذا الموضوع بشكله المتكامل الذى

توخيته في بحثى هذا رغم أنه من الموضوعات الطريفة التى لاشك قد لفتت الأنظار اليه.

ورغم تلك الصعوبات فاننى قد حاولت أن القى الضوء على الموضوعات التى تعرضت لها، وإنى إذأقدم ذلك الكتاب عن الحياة الاجتماعية فى عصر الدولة الفاطمية، فإنى أرجو أن يكون خطوة على الطريق الطويل نحو دراسة جادة لتاريخ المجتمعات الإسلامية فى عصورها المختلفة، وفى أقطارها المتعددة، توضح أمامنا صورة جلية لجذور حياتنا وأصولها، فنحن ندرس الماضى من أجل الحاضر ولكى نرسم به طريق المستقبل.

وأجد لزاماً علىّ، واحتراماً للأمانة العلمية، أن أقرر أن ما قدمته فى هذا الكتاب لا يحوى بالضرورة كل ما يتعلق بموضوع " الحياة الاجتماعية فى عصر الدولة الفاطمية " فاحتواء مثل هذا الموضوع الضخم يحتاج إلى العديد من الدراسات لذلك فقد ركزت فى بحثى هذا على تناول المجتمع فى الحضر، أما المجتمع الريفي والبدوى فى ذلك العصر فهى فى حاجة إلى أبحاث مستقلة تكشف اللثام عن خباياهم.

كما أن هناك بعض الموضوعات الاجتماعية الأخرى تجنبت الخوض فيها عن عمد لأن المصادر التى بين أيدينا لم تتعرض لها من قريب أو بعيد، منها على سبيل المثال : الحياة الأسرية داخل البيت المصرى فى ذلك العصر، وعلاقة أفراد الطبقة الواحدة فى المناسبات الاجتماعية المختلفة، وطريقة الأسرة المصرية فى الاحتفال ببعض المناسبات الأسرية، وغيرها من الموضوعات التى أعتقد أن دراستها تعطى صورة متكاملة عن المجتمع، ولكن من المستحيل عند التعرض لكتابتها الاعتماد فى ذلك على الظن والتخمين، فاذا لم تظهر نصوص معاصرة

تلقى عليها الضوء، فإن الكتابة عنها تصبح ضرباً من العبث، أو نوعاً من الخيال الذى يمكن أن يناسب قصاص الروايات التاريخية.

لذلك فقد ركزت على عرض الموضوعات التى يمكن توثيقها علميا وهى فى مجموعها تشمل معظم جوانب الحياة فى العصر الفاطمى.

الباب الأول

طبقات المجتمع في العصر الفاطمي

الفصل الأول : طبقة الخاصة.

الفصل الثانى : طبقة العامة.

الفصل الثالث : أهل الذمة فى المجتمع الفاطمى.

الفصل الرابع : المرأة فى المجتمع الفاطمى.



٥

طبقات المجتمع في العصر الفاطمي

المدخل :

تعددت عناصر السكان واختلفت أجناسهم وطوائفهم في العصر الفاطمي،فكان سكان مصر في ذلك الوقت "أخلاطاً من الناس مختلفة الأصناف من قبط وروم وعرب وبربر وأكراد وديلم وحبشان وأرمن"[١] وكانت معظم تلك العناصر تنخرط في سلك الجندية في الجيش الفاطمي وعلى رأسها المغاربة أو البربر بطوائفهم وقبائلهم المتعددة والأتراك والسودان والصقالية[٢].

إلا أن هذه العناصر المتعددة والأجناس المختلفة، قد انصهرت مع الوقت في الحياة المصرية، وتأثرت بتقاليد المجتمع المصرى العريق التى تضرب بجذورها العميقة إلى فجر التاريخ، فأصبح الجميع ينتسبون إلى مصر، حتى أن الخلفاء الفاطميين أنفسهم غلب عليهم تسميتهم بالمصريين [٣]. كما أطلق بعض المؤرخين على دولتهم: دولة المصريين والدولة المصرية [٤] وكان يطلق على

---

(١) أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى، الرسالة المصرية، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) عبد الرحمن زكى، الجيش المصرى فى العصر الإسلامى، ج ١، القاهرة، ١٩٧٠، ص٣٠ - ٣١.

(٣) راجع : ابن شداد : النوادر السلطانية، تحقيق الشيال، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٣٦،٤٠ وأبو شامة، الروضتين فى أخبار الدولتين، ج ١، قسم ٢، تحقق محمد حلمى، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٣١.

(٤) أبو شامة، نفسه، ص ٥٦١، ٥٦٦، القلقشندى، مآثر الأنافة فى معالم الخلافة. تحقيق عبد الستار فراج، الكويت، ١٩٦٤، ج ٢، ص ٢٤٨.

الجيش الفاطمي بكل طوائفه وأجناسه "العساكر المصرية" [١] و "جند المصريين"[٢].

واذا حاولنا أن نتوخى البحث عن تقسيم واضح لطبقات المجتمع المصرى في العصر الفاطمي في كتابات المؤرخين الذين أرخوا هذا العصر أو الرحالة الذين زاروا مصر خلاله فإننا نصاب بخيبة الأمل، فالروايات التاريخية المعاصرة تهتم في معظمها بأخبار الخلفاء وحروبهم وصراعاتهم السياسية فى الداخل والخارج، وبعضها يتعرض لحياتهم الخاصة ومواكبهم واحتفالاتهم الرسمية. وأغفلت تلك الروايات ذكر ما يتعلق بحياة عامة الناس، ومن أشار من المؤرخين والرحالة إلى العامة، كانت عباراته عنهم يسبقها ما يشبه الاعتذار إلى القارئ، حتى أن الرحالة المقدسى الذى زار مصر فى عهد الخليفة الفاطمي العزيز، يروى في مقدمة كتابه أحسن التقاسيم، أنه لن يذكر فى كتابه " إلا صدراً مشهوراً أو علماً أو سلطاناً جليلاً إلا عند ضرورة أو خلال حكاية " [٣] ولو اضطر للحديث عن شخص خلاف تلك الفئات المميزة فى المجتمع، فلن يطلق عليه اسمه بل " نسميه رجلا وتذكر محله لئلا يدخل فى جملة الأجلة " [٤].

وقد جرى العرف بين المؤرخين على تقسيم المجتمع إلى طبقتين كبيرتين، طبقة الخاصة، وطبقة العامة [٥]، ويلاحظ أن مثل هذا التقسيم للطبقات يقدمه

(١) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨، ص ١٤١.

(٢) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج ١، تحقيق الشيال، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٣) المقدسى، أحسن التقاسيم، ليدن، ١٩٠٦م، ص ٨.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) راجع أمثلة على تقسيم الناس إلى خاصة وعامة فى : القاضى النعمان، افتتاح الدعوة تحقيق فرحات الدشراوى، تونس، ١٩٧٥، ص ٣٠٦، المجالس والمسايرات، تونس ١٩٧٨، ص ٥٥٦، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح ٢، تحقيق دكتور محمد حلمى.=

صاحب كتاب " مختصر كتاب البلدان" يوضح النظرة السائدة فى ذلك الوقت عن الطبقات الاجتماعية حيث يقسم الناس إلى: "ملوك قدمهم الاستحقاق. ووزراء فضلهم الفطنة والرأى، وعلية انهضهم اليسار. واوساط ألحقهم بهم التأدب، والناس بعدهم زبد جفاء، وسيل غثاء"(١)

وهذا التقسيم يؤكد ما كان يتمتع به طبقة الخاصة من الحكام والوزراء من مكانة اجتماعية راقية فى الوقت الذى كانت طبقة العامة لا تعنى شيئا فى المجتمع رغم أنها عصب الحياة الاقتصادية فى كل العصور، ولكن السلم الطبقى آنذاك لم يكن يتسع لهذه الطبقة الكادحة المعدمة.

ولعل أفضل التقسيمات وأقربها إلى الصحة للبناء الاجتماعى هو ما قدمه لنا المقريزى فى كتابه إغاثة الأمة، وترجع أهميتها إلى أنها تخص إقليم مصر بالتحديد ورغم أنه لم يحدد العصر الذى ينطبق عليه هذا التقسيم، إلا أنها فى اعتقادى تصلح لعصور مصر الإسلامية المتعددة فيذكر أن الناس بإقليم مصر فى الجملة سبعة أقسام :

القسم الأول : أهل الدولة، والقسم الثانى : أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوى الرفاهية، والقسم الثالث : الباعة وهم متوسطو الحال من التجار، والقسم الرابع : أهل الفلح، والقسم الخامس : الفقراء وهم جلّ الفقهاء وطلاب العلم والكثير من الأجناد، والقسم السادس : أرباب الصنائع

=القاهرة، ١٩٧١، ص ١٢٦. وكانت كلمة العامة يقصد بها أهل السنة أحيانا فى العصر الفاطمى (راجع : النعمان، المجالس، ص ٢٤، ٣٩٣، دعائم الإسلام، ج ١. القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٤٣).

(١) أبو بكر الهمذانى، مختصر كتاب البلدان. ليدن. ١٨٨٥م. ١٣٠٢ هـ. ص ١

والأجراء وأصحاب المهن، والقسم السابع : ذوو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم "(١).

ونلاحظ نظرة المقريزى الشاملة وعدم إغفاله لعنصر من عناصر المجتمع، وإبرازه التأثير الاقتصادى فى ترتيب السلم الطبقى فى البناء الاجتماعى.

ويورد لنا القاضى النعمان فيلسوف الدعوة الاسماعيلية تقسيما آخر للطبقات الاجتماعية فيقسم الناس إلى خمس طبقات، ويقرر أن صلاح المجتمع يتوقف على التعاون بين هذه الطبقات.

فيذكر أولاً الجند، ثم أعوان الوالى من القضاة والعمال والكتاب ونحوهم، ثم أهل الخراج من ملاك الأراضى، ثم التجار وذوى الصناعات، وأخيراً الطبقة السفلى وهم أهل الحاجة والمسكنة(٢).

وواضح من هذا التقسيم أن النعمان يضع الطبقة العسكرية على قمة المجتمع على اعتبار أن مهمتها الأساسية المحافظة على أمن المجتمع وسلامته، وأن هذه الطبقة تعتمد فى معاشها على ما يتحصل من ضريبة الخراج التى يدفعها ملاك الأراضى وغيرهم من دافعى الضرائب المختلفة والتى تمول فى نفس الوقت نفقات جهاد العدو، وهاتان الطائفتان فى حاجة إلى من ينظم العلاقة بينهما وبين طوائف المجتمع الأخرى حتى تستقيم أمور المجتمع، ويتكفل بهذه المهمة القضاة والعمال والكتاب ولا قوام لهؤلاء جميعاً إلا بالتجار وأرباب الصناعات فيما ينتفعون به من صناعاتهم وتعمير الأسواق، ويكفونهم به من

---

(١) المقريزى. إغاثة الأمة، تحقيق زيادة والشيال، القاهرة ١٩٥٧، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) النعمان. دعائم الإسلام، ج ١، تحقيق آصف بن على فيضى. القاهرة ١٩٦٩. ص٣٦٦

مباشرة الأعمال بأيديهم، أما الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة فإن المجتمع كله يتكفل بالإحسان اليهم وسد حاجتهم [١].

ويتضح من هذا التقسيم إغفال النعمان لطبقة الحكام وعلى رأسهم الخلفاء والوزراء، كما أغفل طبقة العلماء ورجال الدين، ولعله كان يقصد بهذا التقسيم الولايات التابعة للدولة الفاطمية ويبدو هذا من عبارته " أعوان الوالى".

ومما تقدم نستطيع أن نتلمس طريقنا لتقسيم الطبقات الاجتماعية فى مصر الفاطمية، والواقع أن المجتمع المصرى فى عصر الدولة الفاطمية كان مجتمعا مميزاً عنا سبقه من عصور، لأن مصر خلال هذا العصر كانت تحكمها أسرة واحدة من المحتمل أن ترجع فى نسبها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأن البناء الاجتماعى فى هذا العصر يتميز بوجود تلك الأسرة على قمة المجتمع المصرى طوال فترة حكمها.

ويمكننا بناء على ما تقدم أن نقسم الطبقات الاجتماعية فى مصر الفاطمية على النحو التالى:

طبقة الخاصة وتشمل الأسرة الحاكمة والأشراف وأرباب الوظائف من أصحاب السيوف والأقلام وأصحاب الدواوين والوظائف الدينية وغيرها.

وطبقة العامة وتشمل التجار والباعة وأصحاب الصناعات والحرف والفقهاء وطلاب العلم والعبيد وغيرهم بالإضافة إلى العناصر المميزة فى المجتمع وهى : أهل الذمة والمرأة.

---

(١) النعمان، دعائم الإسلام، ج ١، ص ٣٦٦.



طبقة الخاصة

أولاً: الأسرة الحاكمة:

كانت الأسرة الحاكمة في المجتمع المصرى في عصر الدولة الفاطمية تمثل قمة هذا المجتمع فقد كان لها الحكم والسيادة، وتتمتع بالثراء والنفوذ القوى، وكان على رأس هذه الأسرة الخليفة الفاطمى الذى يستمد سلطاته من الانتساب إلى النبى (ﷺ) عن طريق ابنته فاطمة وزوجها على بن أبى طالب.

ويعتقد الفاطميون أن الخلافة أو الامامة درجة تلى النبوة، ونتيجة هذا الاعتقاد كان من حق الخليفة الفاطمى أن يتصرف فى أمور الدنيا والدين دون أن يوجه لتصرفاته لوم أو نقد [(١)].

وسواء كان انتساب الفاطميين إلى على بن أبى طالب وزوجته السيدة فاطمة حقيقة أم ادعاء، فان هذا النسب كان هو الدعامة الأساسية التى استند عليها الفاطميون فى اثبات أحقيتهم فى الخلافة واقامة دولتهم فى المغرب ثم فى مصر.

وليس أدل على هذه الحقيقة من أن أعداء الدولة الفاطمية قد أدركوا ما لهذا النسب من أهمية قصوى فى تثبيت قواعد حكم الفاطميين، أو زعزعة هذه القواعد وهدمها فكانوا يركزون هجومهم، ويوجهون سهام دعايتهم ضدهم بالتشكيك فى صحة هذا النسب حتى ينالوا مأربهم فى القضاء على الخلافة الفاطمية [(٢)].

---

(١) راجع : السجلات المستنصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٢٧.

(٢) من أمثلة ذلك رد الحكم المستنصر الأموى (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) على كتاب الخليفة العزيز با لله الذى يسبه فيه ويهجوه، بعبارة مقتضبة تطعنه فى نسبه.قائلا : " أما بعد، فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك " فتألم العزيز لذلك ألما شديدا. (راجع : ابن خلكان، وفيات الأعيان، بولاق، ١٣١٠ هـ، ج ٢، ص ١٥٢) كما كانت الدولة=

وقد حرص الخلفاء الفاطميون على أن يسبغوا على أنفسهم من مظاهر العظمة والجلال ما جعل الخاصة والعامة يقابلونهم بالسجود وتقبيل الأرض (١) حتى أن بعض المقربين إليهم كانت تأخذه الروعة وتغلبه العبرة فلا يستطيع أن ينطق بكلمة فى حضرة الخليفة من جلال الموقف ورهبته(٢).

ونلاحظ الاختلاف الواضح بين حياة الخلفاء الفاطميين فى المغرب التى تميزت بمظاهر التقشف والبعد عن الفخامة والاسراف (٣) وبين حياتهم فى عاصمتهم الجديدة القاهرة. ولما كانت القاهرة هى عاصمة مصر فى العصر الفاطمى والمركز الرئيسى لطبقة الخاصة؛ لذلك رأيت أن أعطى صورة موجزة عنها كما كانت فى هذا العهد وما كانت تحتويه من قصور ومناظر.

القاهرة الفاطمية :

كان من أول مهام القائد جوهر الصقلى بعد استيلائه على الفسطاط فى شعبان سنة ٣٥٨هـ/ يوليو سنة ٩٦٩م، وإخضاعه مصر الإخشيدية لسلطان سادته الفاطميين، أن شرع فى بناء عاصمة جديدة لمصر الفاطمية. ففى مساء ذلك اليوم وضع جوهر تخطيط مدينة القاهرة لتكون رابع الحواضر الإسلامية فى مصر بعد الفسطاط والعسكر والقطائع، وكان الهدف الأساسى لبناء القاهرة

=العباسية تجمع علماءها فى مجالس خاصة للطعن فى نسب الفاطميين، وتصدر فى ذلك المحاضر إلى أرجاء العالم الإسلامى بهدف التشكيك فى هذا النسب وهدم الدعامة الأساسية للدولة الفاطمية (راجع: المقريزى، اتعاظ، ج ٢، ص ٣٢٣، ج ٣، ص١٧).

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٥٣.

(٢) راجع : سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٨٥، ٨٦.

(٣) راجع : أمثلة على ذلك فى : اتعاظ، ج ١، ص ٩٥، ٩٦، وابن سعيد، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة، القاهرة ١٩٧٠، تحقيق حسين نصار، ص ٣٩، ٤٠.

الفصل الأول

طبقة الخاصة

أولاً : الأسرة الحاكمة.

ثانياً : الأشراف.

ثالثاً : أرباب الوظائف :

١ – الوزراء.

٢ – أرباب الأقلام.

٣ – أرباب الصنائع بالقصر.

٤ – أرباب الوظائف الدينية.



أن تكون مركزاً للدولة الفاطمية تحوى أجنادها وأنصارها ولتكون حصناً ومعقلاً من الأخطار الخارجية التي يمكن أن تتعرض لها الدولة وخاصة من جانب القرامطة (١).

والواقع أن القاهرة منذ نشأتها كانت تعد مدينة ملوكية قاصرة على سكنى الخلفاء الفاطميين وحرمهم وجندهم وحاشيتهم (٢) ويذكر المقريزى هذا المعنى بوضوح فيقول :

" ولم تزل القاهرة دار خلافة، ومنزل ملك ومعقل قتال، لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط " (٣) فهى مدينة الخاصة واتباع الدولة وموظفيها ولم يكن مسموحاً للعامة بالإقامة فيها إقامة دائمة ولكن كان عليهم أن يغادروها قبل دخول الليل إذ" أن المتعيشين بالقاهرة والمستخدمين يصلون العشاء الأخيرة بالقاهرة ويتوجهون إلى منازلهم بمصر"(٤).

وقد اهتم جوهر ببناء سور حول المدينة منذ عام ٣٥٩ هـ / ٩٧٠م لحمايتها وتحقيق الهدف الذى بنيت من أجله، وكان ذلك السور يحوى فى داخله المنشآت التى شرع جوهر فى بنائها، وأهمها القصر الكبير الشرقى والأخطاط التى اختطها جنده وأتباعه (٥).

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٣٦١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٤، ٣٤٨، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٦٣.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٢٠، قارن : حسن الباشا، القاهرة : تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٨، عبد الرحمن زكى، مقال عن القاهرة فى كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، القاهرة، ١٩٧١، ص ٦١٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٧٧.

وكان للمدينة عدد من الأبواب على أضلاعها الأربعة، ففي جنوبها كان يوجد بابا زويلة، نسبة إلى قبيلة زويلة البربرية التى كان حشد من أبنائها مصاحباً لجيش جوهر الصقلي، وفي الجهة الشمالية باب القصر وباب الفتوح، أما في الجهة الشرقية فكان يقع باب البرقية نسبة إلى طوائف الجند من إقليم برقة، وباب القراطين، وفي غرب القاهرة كان باب القنطرة [١] وباب سعادة[٢] وباب الفرج [٣].

وكانت القاهرة الفاطمية تضم عدداً من الخطط أو الحارات ينسب بعضها إلى القبائل أو طوائف الجند التي صحبت جيش جوهر الصقلي من المغرب، كما ينسب بعضها إلى أشخاص كانت لهم مكانة مرموقة في الدولة، ولم تأخذ تلك الخطط شكلها النهائي فيالمرحلة الأولى، ولكنها تطورت واتسعت مع الوقت، وأهم تلك الخطط أو الحارات :

حارة زويلة نسبة إلى قبيلة زويلة [٤] وحارتا الروم السفلي والعليا أو الجوانية[٥] وحارة الباطلية وتنسب إلى قوم جاءوا من المغرب بصحبة المعز وعند تقسيم العطاء لم يصبهم شئ فقالوا "رحنا نحن في الباطل " فسموا الباطلية[٦].

---

(١) عرف بذلك لأن جوهر بنى هناك قنطرة فوق الخليج ليعبر عليها إلى المقسى عند قدوم القرامطة إلى مصر وذلك في شوال سنة ٣٦٠ هـ (خطط، ج ١، ص ٣٨٢، ٣٨٣).

(٢) ينسب إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله، وأحد قادة الجيش الفاطمي (خطط، ج١، ص ٣٨٣).

(٣) راجع : خطط، ج ١، ص ٣٦١ - ٣٦٢، عبد الرحمن زكي، القاهرة : تاريخها وآثارها، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٥ - ١٧.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٤.

(٥) نفسه ص ٨.

(٦) خطط، ج ٢، ص ٨.

وحارة كتامة وكانت مجاورة لحارة البرقية، وكانت تسكنها قبيلة كتامة التى جاء أهلها بصحبة جيش القائد جوهر، وحارة البرقية نسبة إلى طائفة البرقية من طوائف العسكر فى الدولة الفاطمية [١].

بالإضافة إلى ذلك فإن بعض أخطاط القاهرة كانت تسكنها طائفة من طوائف المجتمع مثل حارة الأمراء التى يقال أنها كانت مخصصة لسكنى الأمراء الأشراف من الأسرة الفاطمية [٢] وحارات كانت تحمل أسماء شخصيات كبيرة فى الدولة مثل حارة برجوان وهى تنسب إلى الأستاذ أبى الفتوح برجوان الذى تولى أمر القصور فى عهد الخليفة العزيز وتولى أمر الوساطة لابنه الحاكم حتى قتله فى ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠م [٣] وحارة قائد القواد، التى كان يسكنها حسين بن جوهر الملقب بقائد القواد فى عهد الخليفة الحاكم ثم أصبحت تعرف بحارة ملوخيا أحد خدام القصر فى عهد الخليفة الحاكم [٤]. وحارة العطوفية نسبة إلى الخادم عطوف أحد خدام القصر الفاطمى وكان مختصاً بخدمة السيدة ست الملك أخت الحاكم ويذكر المقريزى أن العطوفية كانت من أجل مساكن القاهرة وفيها من الدور العظيمة والحمامات والأسواق والمساجد ما لا يدخل تحت حصر " [٥].

ثم أخذت القاهرة فى الاتساع حتى خرجت عن نطاق السور الذى أقامه جوهر من ذلك حارة المصامدة التى تنسب إلى إحدى طوائف الجند الفاطمى واختطت خطتها فى خلافة الأمر بأحكام الله بعد سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١م [٦].

---

(١) خطط، ج ٢، ص ١٢.

(٢) خطط، ج ٢، ص ١٦.

(٣) راجع : خطط، ج ٢، ص ٣، ٤.

(٤) خطط، ج ٢، ص ١٤.

(٥) خطط، ج ٢، ص ١٣.

(٦) نفسه، ص ١٦.

وعندما دخل الخليفة المعز لدين الله إلى القاهرة في رمضان سنة ٣٦٦ هـ ٩٧٦م يروى ابن زولاق أنه جلس في القصر " على السرير الذهب الذى عمله جوهر في الإيوان الجديد " [١]، وقدم إليه جوهر علية القوم للسلام حيث قدموا إليه الهدايا النفيسة [٢] تعبيراً عن ولائهم وخضوعهم. وقد أسهب المؤرخون فى وصف الهدايا القيمة والتحف النادرة من الذهب والجوهر والنفائس من كل صنف التى قدمها جوهر الصقلى فى هذه المناسبة إلى مولاه المعز [٣].

القصور الفاطمية :

وقد أفاض المؤرخون وخاصة المقريزى فى ذكر قصور الخلفاء الفاطميين ومنشآتهم فى القاهرة، وكان أهم تلك القصور القصر الكبير الشرقى الذى وضع جوهر أساسه فى نفس الليلة التى شرع فيها فى بناء القاهرة واستمر العمل فيه عدة سنوات حتى تم استقبال الخليفة المعز به، فأصبح مقر الخلافة ومسكن الخلفاء الفاطميين إلى نهاية دولتهم [٤].

وكان هذا القصر من الضخامة بحيث أنه كان يحتوى على اثنتى عشر جناحاً أو قصراً صغيراً بالإضافة إلى عشرة أبواب ظاهرة، وكان يحيط بالقصور سور مرتفع بحيث لا تظهر مبانيه من الخارج[٥] ولا يتصل به بنيان البته [٦].

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) المقريزى، نفسه، ص ١٣٧.

(٣) راجع : كتاب الذخائر والتحف المنسوب إلى القاضى الرشيد بن الزبير، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩، ص ٦٧، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، مخطوط مصور بجامعة القاهرة، مجلدين رقم ٢٤٠٢٦، ٢٤٠٢٨، لوحة ٢٠٥أ.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٣١٤.

(٥) خطط. ج ١. ص ٣٨٤.

(٦) خطط، ج ٢، ص ٤٧، قارن، كريسويل. قصة تأسيس القاهرة، ترجمة عبد الرحمن فهمى، فصل فى كتاب القاهرة، ص ٣٣. ٣٤.

وأهم أبواب القصر باب الذهب وهو أعظمها وكانت تعلوه منظرة يشرف منها الخليفة في الأعياد، وتدخل منه رجال الدولة والأجناد في المناسبات والأعياد إلى قاعة الذهب التي أضافها الخليفة العزيز إلى القصر، وكان يعمل بتلك القاعة سماط شهر رمضان للأمراء وسماط العيدين وكان بها سرير الملك المصنوع من الذهب الخالص [١].

وباب العيد وكان أمامه رحبة باب العيد وهي عظيمة الاتساع يقف فيها العساكر فارسها وراجلها في أيام مواكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون في خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر [٢]. وباب الزهومة ومعناها الزفر وكان يقع قبال مطبخ القصر المختص بطبخ اللحوم ومنه تدخل اللحوم الخاصة بالقصر [٣] وغيرها من الأبواب التي لم تنشأ كلها في وقت واحد.

بالإضافة إلى عدد من الأبواب والسراديب المقامة تحت الأرض كانت تصل هذا القصر بالقصر الصغير الغربي الذي بني في عهد الخليفة العزيز بالله وكان الخلفاء ينتقلون في هذه الطرق الداخلية والسراديب بين القصرين دون أن يشاهدهم أحد، كما كانت هناك أبواب أرضية تفضي إلى ممرات يمكن للخليفة أن يمر بها ممتطيا جواداً أو حماراً ليصل من جناح إلى آخر في داخل القصر [٤].

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٣٦٢، ٣٨٥.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٢.

(٣)خطط، ج ١، ص ٤٣٥.

(٤) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥١٨، خطط، ج ١، ص ٣٨٧، كريسيول، نفسه، ص٣٤.

وكان هناك ممر أرضى يصل ما بين القصر الشرقى ومنظرة اللؤلؤة، إذ يروى المقريزى أن الخلفاء الفاطميين الآمر والحافظ والفائز الذين توفوا بقصر اللؤلؤة حملوا إلى القصر الشرقى عن طريق السراديب (١).

وكان يقوم على حراسة القصر الكبير الشرقى ألف جندى، نصفهم من الفرسان والنصف الآخر من الرجالة، يدورون حوله من وقت صلاة المغرب حتى الصباح، وكان القصر الفاطمى يحوى الآلاف من الموظفين والخدم وأفراد الحاشية الذين يسهرون على راحة الخليفة وأفراد أسرته، بالإضافة إلى عدد كبير من الجوارى " المستخدمات " (٢) والعبيد من كافة الأجناس، ويقدر ناصر خسرو عدد الخدم فى القصر فى عهد الخليفة المستنصر باثنى عشر ألف خادم مأجور، وعدد لا يحصى من النساء والجوارى، ويقدر مجموع من بالقصر فى ذلك الوقت بثلاثين ألف آدمى (٣) واذا كنا ننظر إلى تلك الأعداد بحذر لضخامتها، فانها قد تبدو مقبولة اذا علمنا أن أفراد الأسرة الفاطمية كانت لكل منهم حاشية وخدماً يلازمونهم لقضاء مطالبهم (٤) ومن المستبعد أن يكون

---

(١) خطط، ج ١، ٤٦٩.

(٢) خطط، ج١، ص٤١١، عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين، ج٢، القاهرة،١٩٥٥، ص١١.

(٣) ناصر خسرو، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٤٨.

ويروى أن صلاح الدين عند استيلائه على القصر الفاطمى عقب وفاة الخليفة العاضد سنة ٥٦٧ هـ، أخرج من كان مقيماً بالقصر فبلغ عددهم اثنى عشر ألف نسمة ليس بينهم فحل إلا الخليفة وأهله وأولاده (راجع : القلقشندى : صبح، ج ٣، ص ٥١٨، خطط، ج ٢، ص ٢١٥).

(٤) راجع : اتعاظ، ج ٣، ص ١٢.

ذلك العدد الضخم من الحاشية والخدم وغيرهم يتخذون من القصر سكناً لهم، بل كان في القاهرة متسع لبعضهم.

لذلك كان القصر الفاطمي يحتوى على عدد كبير من الحجرات يتناسب وأعداد المقيمين فيه من أفراد الأسرة الحاكمة وحاشيتهم وجواريهم والمقيمين على خدمتهم بالإضافة إلى خزائن تحوى كل طريف ونادر فى بابه، ومن أهمها خزانة الكتب (١) وخزانة الكسوات (٢)، وخزائن الجوهر والطيب والطرائف التى كان يحتفظ الفاطميون فيها بتحفهم النادرة من الأحجار الكريمة (٣) وخزائن الفرش والأمتعة (٤) وخزائن التجمل وهى التى تحتوى على الآلات النفيسة التى تستخدم في موكب الفاطميين (٥) وغيرها من الخزائن التى تحوى كل نفيس ونادر فى صنعته.

وقد اهتم الفاطميون بإنشاء الدور الأنيقة والمناظر الجميلة لاستخدامها لاقامتهم فى فترات خروجهم للنزهة أو الاحتفالات أو لاقامة أفراد حاشيتهم ورجال دولتهم، ومن تلك العمائر دار الضيافة وكانت تقع بالقرب من القصر الكبير الشرقى بحذاء رحبة باب العيد (٦)، ودار الوزارة الكبرى وكانت بالقرب

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٨، ٤٠٩ وسوف نتحدث عن خزانة الكتب بالتفصيل عند تناول موضوع الحياة العلمية والفكرية.

(٢) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٩ - ٤١٤ وسنتعرض لها بالتفصيل فى موضوع "الملابس ".

(٣) راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٤ - ٤١٦، ماجد، نظم، ج ٢، ص ١٧، ١٨.

(٤) راجع التفاصيل : خطط، ج ١، ص ٤١٦، ٤١٧، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٠.

(٥) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢١.

(٦) خطط، ج ١، ص ٣٦٣.

من دار الضيافة وبناها أمير الجيوش بدر الجمالى لسكناه [١] كما بنى ابنه الأفضل دار الوزارة أو الدار الأفضلية وسكنها من بعده الوزراء من أرباب السيوف [٢].

ومن أهم المناظر التى أشادها الفاطميون منظرة الجامع الأزهر وكانت تشرف عليه ويجلس بها الخليفة لمشاهدة الاحتفال الدينى بليالى الوقود [٣] ومنظرة اللؤلؤة التى بنيت فى عهد الخليفة العزيز با لله. وكانت تطل على الخليج ويحيط بها البساتين الزاهرة، وكانت قصراً من أحسن القصور جمالاً وزخرفة ويصفها المقريزى بأنها " أحد متنزهات الدنيا المذكورة " [٤].

ومنظرة الغزالة وكانت تطل أيضاً على الخليج وكان يسكنها الأمير أبو القاسم بن المستنصر، وبجوارها بنى الأفضل بن بدر الجمالى دار الذهب لينزل بها فى حالة وجود الخليفة بمنظرة اللؤلؤة [٥]، بالإضافة إلى منظرة السكرة التى أنشأت فى عهد الخليفة العزيز با لله فى البر الغربى للخليج وكان الخلفاء الفاطميون يجلسون فيها فى يوم الاحتفال بفتح الخليج وكانت تلك المنظرة من جنات الدنيا المزخرفة [٦].

ويروى المؤرخون روايات يعجز الخيال عن تصورها عن ثروات أفراد الأسرة الفاطمية مما يوضح مدى الثراء الذى كانت عليه الدولة الفاطمية، ومن

---

(١) نفسه ص ٤٣٨.

(٢) نفسه.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٥، راجع فصل الأعياد الدينية الإسلامية.

(٤)خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

(٥) نفسه ص ٤٧٠.

(٦) نفسه.

الأمثلة على ذلك ما ذكر عن ثروة السيدة رشيدة ابنة المعز التي خلفت عند وفاتها سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ثروة تقدر بمليون وسبعمائة ألف دينار من الملابس والجواهر والتحف النادرة، كما خلفت أيضاً السيدة عبدة بنت المعز التي توفيت في نفس العام، ثروة لا تقدر بمال، حتى أنه استخدم في الختم على تركتها أربعون رطلا من الشمع(١).

وكانت " ست الملك " تقيم في حياة والدها العزيز في القصر الغربي وخصص الخليفة لخدمتها والسهر على راحتها طائفة خاصة كانوا يلقبون بالقصرية (٢) وقد بلغ دخل ست الملك من ضياعها وأملاكها في عام واحد مائة ألف دينار (٣) وخلفت عند وفاتها ثروة ضخمة من الجوهر النادر والطيب والملابس، بالإضافة إلى ثمانية آلاف جارية (٤) كن يقمن على خدمتها.

ويروى صاحب الذخائر والتحف أن السيدة "ست مصر" بنت الخليفة الحاكم بأمر الله كان إقطاعها يغل في كل سنة خمسين ألف دينار، وخلفت حين وفاتها سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م ما لا يحصى كثرة وكان من بين ثروتها ثلاثون إناء من الصيني مملوءة جميعها مسكاً مسحوقاً، ووجد لها ثمانية آلاف جارية (٥).

وكان بعض أبناء الخليفة يتمتعون بثروات طائلة وإقطاعات واسعة، حتى أن الأمير حسن ابن الخليفة الحافظ كان من كثرة الأموال والحاشية بحيث كان

---

(١) راجع التفاصيل، خطط، ج ١، ص ٤١٥.
(٢) الخطط، ج ١، ص ٤٥٧.
(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٣٣.
(٤) مؤلف مجهول، مخطوط شرح اللمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر، نسخة مصورة بجامعة القاهرة، رقم٢٤٠٢٢، لوحة٩ب.خطط، ج١، ص٤٥٨.
(٥) الخطط، ج ١، ص ٤٥٧.

له ديوان مفرد لإدارة أملاكه والإشراف على شئون أتباعه [١]، وكانت هذه الثروات الضخمة من العوامل المساعدة لبعض أفراد الأسرة الحاكمة للقيام بمشروعات تتسم بطابع البر والإحسان، فالسيدة تغريد والدة الخليفة العزيز با لله أنشأت في سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م مسجداً كبيراً في القرافة [٢]، كما يروى المقريزى أن السيدة " علم الآمرية " زوجة الخليفة الآمر " كانت لها صدقات وبر وفضل وخير، وكانت تبعث إلى الأشراف بصلات جزيلة، وترسل إلى أرباب البيوت والمستورين أموالاً كثيرة " [٣] وبنت رباطاً في سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م برسم إقامة " العجائز والأرامل " [٤].

ورغم ما تعرضت له الدولة الفاطمية من شدائد ونكبات في العصر الفاطمى الثانى، فانه قد وجد بالقصر الفاطمى عند استيلاء صلاح الدين عليه سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م من التحف والنفائس النادرة " ما تخلو الدنيا من مثله، ومن الجواهر التى لم توجد عند غيرهم [٥] ويروى ابن الأثير أنه رأى الحبل الياقوت الذى كان من تحف الفاطميين، ووزنه بنفسه، ولولا ذلك ما صدق ما

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ٣٣.

(٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨، القسم الأول، ص ١٤٧، خطط، ج ١، ص ٤٨٦.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٤) نفس المصدر والصفحة، ويروى المقريزى أنه كان بالقرافة عدة دور يقال للدار منها رباط، يقيم فيها العجائز والأرامل العابدات. وكان يخصص لها الجرايات، وتقام فيها مجالس الوعظ، وهذا يوضح الاهتمام بتلك الطائفة من النساء وتنظيم حياتهن وحفظ كرامتهن من سؤال الناس (راجع : خطط، ج ٢، ص ٤٥٤).

(٥) ابن الأثير الكامل، ج ١١، القاهرة، ١٣٠٣ هـ، ص ١٣٨.

قيل له عن جماله وضخامة حجمه [١]. ويتعجب المقريزى من كميات التحف والنفائس والأموال التى أخرجت من القصر على يد صلاح الدين " ما بين دينار ودرهم، ومصاغ وجوهر، ونحاس وملبون وأثاث وقماش وسلاح، ما لا يفى به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر الحاضرة.. ولا يقدر على حسابه إلا من قدر على حساب الخلق فى الآخرة" [٢].

ثانياً : الأشراف :

تتمتع الأشراف فى المجتمع الإسلامى بوجه عام والفاطمى بوجه خاص بمكانة مرموقة جعلت منهم طبقة مميزة تقابل بالاحترام والتبجيل من الخاصة والعامة، وكان الأشراف يتمتعون باحترام الدولة وتقديرها فى عهد الدولة الإخشيدية، فيروى ابن زولاق أن الشريف عبد ا لله بن أحمد الحسينى المعروف بابن طباطبا، كان طاهراً كريماً صاحب ضياع ورباع وحاشية، وكان يقدم الهدايا من الحلوى كل يوم إلى أهل مصر من كافور إلى من دونه، ويذكر أن كافوراً ركب يوما فى موكبه والشريف أبو جعفر يسايره، فوقعت مقرعته، فنزل الشريف عن جواده وناولها له، فتأثر كافور من ذلك تأثراً كبيراً، ولما عاد إلى داره أرسل إلى الشريف جميع ما كان فى موكبه من مماليك ودواب [٣].

وبمراجعة السجلات الصادرة عن الدولة الفاطمية نلاحظ أن الأشراف يأتى ذكرهم فى صدر السجل قبل الأمراء وقادة الجيش فى معظم الأحيان [٤]،

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٦.

(٣) جمال الدين على بن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٨٩٠، لوحة ٣٨.

(٤) راجع: أمثلة على ذلك فى السجلات المستنصرية، تحقيق ماجد، ص ٦٥، اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٦٨.

كما كان الأشراف يتقدمون غيرهم من كبار رجال الدولة فى الاستقبالات الرسمية وعند التواجد فى مجالس الخلفاء الفاطميين، فيروى ابن زولاق ترتيب خروج الناس لاستقبال جوهر الصقلى فى الجيزة فى شعبان سنة ٣٥٨ هـ / يوليو ٩٦٩ م فكان على رأسهم الشريف أبو جعفر مسلم " وسائر الأشراف، والقضاة والعلماء " (١) وعندما استقبلهم صاح مناديه بأن ينزل كل الناس عن دوابهم قبل الدخول على جوهر الا الشريف(٢)، وعند قدوم المعز إلى مصر فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م خرج لاستقباله أبو جعفر مسلم فى جماعة الأشراف ووجوه البلد " فنادى مناد يتقدم الشريف أول الناس، فتقدم وسلم على المعز، ثم تقدم الناس كلهم وسلموا عليه واحدا بعد واحد.. ثم ساروا والشريف يحادثه " (٣) وعندما جلس المعز فى قصره بالقاهرة وسمح للناس بالدخول إلى مجلسه للسلام والتهيئة "اذن بدخول الأشراف أولا"(٤) ثم اذن بعدهم لسائر وجوه الناس.

ويروى ابن زولاق حادثة هامة توضح مدى المكانة التى كان يتمتع بها الأشراف فى المجتمع المصرى فى عصر الدولة الفاطمية، فيقول : " دخل الناس إلى قصر المعز وفيهم الأشراف والعمال والقواد وسائر الأولياء من كتامة وغيرهم، فقال رجل لأحد الأشراف : " أجلس يا شريف " فقال بعض الكتاميين : وفى الدنيا شريف غير مولانا ؟ لو أدعى هذا غيره قتلناه. ثم خرج الاذن للناس، وبلغ المعز هذا، فلما جلس على سريره واذن للناس بالجلوس.

---

(١) المقريزى نقلا عن ابن زولاق، اتعاظ، ج ١، ص ١١٠.

(٢) راجع : النويرى، نهاية الأرب، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة، ج٢٦، لوحة ٤٠، ومخطوط زبدة الفكرة، لوحة ٢٠٢ ب، ٢٠٤ أ.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٣.

(٤) المقريزى نقلا عن ابن زولاق، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٦، خطط، ج ١، ص ٣٨٤.

قال : يا معشر الأهل وبنى العم من ولد فاطمة، أنتم الأهل، وأنتم العدة وما نرضى بما بلغنا من القول، وقد أخطأ من تكلم بما قيل لنا، لكم بحمد ا لله الشرف العالى، والرحم القريبة، ولئن عاود أحد بمثل ما بلغنا فننكلن به نكالاً مشهوراً. فقبلت الجماعة الأرض، ودعوا وشكروا، وكان المتكلم حاضراً فانقمع وندم " (١).

وكان الأشراف في العصر الفاطمي ينقسمون إلى قسمين :

الأشراف الأقارب (٢) وهم الذين ينتسبون إلى الفرع الفاطمي، وكان يطلق عليهم أيضاً "الأشراف الإسماعيليون" (٣) وكان يعين لهم موظف كبير من الأساتذة المحنكين (٤) ليشرف على مصالحهم ويكون الصلة بينهم وبين الخليفة فيما يتعلق بشئون حياتهم الخاصة والعامة ويحافظ على أنسابهم. وكان يطلق عليه "نقيب الأشراف" (٥) أو "زم الأقارب" (٦).

---

(١) المقريزى نقلا عن ابن زولاق، اتعاظ، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) القلقشندى، صبح، ج ٣، ص ٤٩٦، المقريزى، خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

(٣) راجع : القلقشندى، صبح، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٣٩٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧، صبح، ج ٣، ص ٤٧٧.

والأساتذة المحنكون هم الذين يدورون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة وكان لهم طقوس فى التحنيك لا يصل إليها إلا البارزين منهم وكانوا من خواص خدام الخليفة وعدتهم تزيد على الألف، ومن تقاليدهم أنه متى رشح أحدهم لهذا المنصب، حمل إليه كل أستاذ من المحنكين بدلة كاملة وسيفا وفرسا فيصبح لاحقا بهم وسوف نتناول وظائفهم فى الصفحات التالية. (راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧).

(٥) المقريزى، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٦) راجع سجل تعيين " زم الأقارب " فى العصر الفاطمى وبه المهام المنوطة بهذه الوظيفة فى القلقشندى، صبح، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٣٩٦.

كما كان يلقب أحياناً بالأمير [١] وكان راتب نقيب الأشراف الشهرى مائة دينار [٢] بالإضافة إلى ما كان يخلع عليه فى المناسبات والأعياد [٣] فكان الخليفة يخلع عليه عند تعيينه، ويسير موكبه بالطبل والبوق والبنود مثل الأمراء، وله ديوان وموظفون يعملون تحت إمرته وكان يساعده فى مباشرة مهمته والسهر على مصالح الأشراف إثنا عشر نقيبا [٤].

أما القسم الثانى من الأشراف فهم الأشراف الطالبيون نسبة إلى أبى طالب عم الرسول(ﷺ) وكانت لهم نقابة خاصة بهم تعرف بنقابة الطالبيين، وكانت هذه النقابة تسند إلى أحد شيوخ الأساتذة من غير المحنكين أو أحد الأشراف المميزين أو الشهود المعدلين [٥].

وكان عمل نقيب الطالبيين مثل زميله " زم الأقارب " فيقوم بالنظر فى مصالحهم والتأكد من أنسابهم، ويثبت أسماءهم فى سجل منسوبة إلى أصولها حتى لا يندس بينهم دخيل، وأن يعود مرضاهم ويمشى فى جنائزهم ويسعى فى سد حوائجهم، ويحتاط من تزاوجهم من العامة [٦].

وكان الخليفة يخلع على نقيب الطالبيين عند تعيينه، ويقرأ سجله على الملأ [٧] لكن الأشراف الأقارب كانت لهم التقدمة على الأشراف الطالبيين عند الدخول إلى مجلس الخليفة [٨].

---

(١) الخطط، ج ١، ص ٤١١.
(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ٤٠١.
(٣) الخطط، ج ١، ص ٤١١.
(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٢.
(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٣٨٦.
(٦) القلقشندى، صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ج ١٠، ص ٤٠٠.
(٧) المقريزى، اتعاظ، ج ٢، ص ٨٦.
(٨) صبح، ج ٣، ص ٤٩٦، خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

وكان عدد الأشراف فى الدولة الفاطمية كبيراً، ورغم أننا لا نملك معلومات محددة عن ذلك، إلا أن الروايات التاريخية تذكر أن القصر الفاطمى كان يحوى بين جنباته عند سقوط الدولة عشرة آلاف شريف وشريفة [١] ويبدو أن هؤلاء كانوا هم الأشراف الأقارب الذين تجمعوا بالقصر من أماكن عدة بعد وفاة الخليفة العاضد، لأن المقريزى يذكر أنه عند وفاة العاضد كان عدد الأشراف فى القصر مائة وثلاثين فقط، فجمعهم قراقوش فى مكان خارج القصر، وجمع باقى أسرة العاضد وعشيرته فى إيوان بالقصر واحترز عليهم [٢] وهؤلاء هم الأشراف الأقارب الذين حددهم بعشرة آلاف شريف وشريفة.

ولم تدلنا المصادر التى بين أيدينا عن مدى الثروة التى كان يتمتع بها الأشراف فى العصر الفاطمى، إلا أن أفراد الأسرة الفاطمية وهم من الأشراف الأقارب كانوا يتمتعون بثراء عريض - كما أوضحنا - ومن الملاحظ فى سجل تعيين " زم الأقارب " فى العصر الفاطمى، وهو المشرف على إدارة شئون الأشراف من أفراد الأسرة الفاطمية، أنهم كانوا يقتنون الأملاك والضياع والقطاعات، غير ما كان يوقف عليهم منها بهدف الإنفاق من ريعها على مصالحهم. فقد ورد فى ذلك السجل " وانظر فيما أوقف عليهم من الأملاك والمستغلات والضياع والإقطاعات والرسوم والصلات، وأندب لتولى ذلك من تسكن إلى ثقته وأمانته من الكتاب " [٣].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٣٩٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٦.

(٣) راجع : قلقشندى، صبح، ج ١٠، ص ٣٩٧.

ثالثاً : أرباب الوظائف :

كان أرباب الوظائف فى عصر الدولة الفاطمية أخلاطاً من جنسيات متعددة وأديان مختلفة، ولم تكن هناك شروط محددة تختص بالدين أو المذهب أو الطبقة الاجتماعية تفرض على أى شخص للتعيين فى الوظائف عدا إجادته للعمل المسند اليه، فنلاحظ مثلاً أن اعتناق المذهب الرسمى للدولة الفاطمية والذى كان من أهم شروط تولى الوظائف فى بداية عهد الدولة، قد تراخى الخلفاء وتسامحوا فى أمره حتى أن الوزراء وهم على قمة الجهاز الادارى للدولة كان بعضهم من الذميين، كما أن بعض المسلمين منهم لم يكونوا إسماعيليين [١] فى مذهبهم، وبالإضافة إلى ذلك فبعض الوزراء يرجعون فى أصلهم إلى طبقة العامة أو طائفة الصناع، ومن أمثلة ذلك عباس الصنهاجى وزير الخليفة الفاطمى الظافر " كان قد قدم من المغرب إلى مصر وتعلم الخياطة، وكان خياطاً حسناً، فلما تزوج ابن السلار بأمه أحبه وأحسن تربيته فجازاه بأن قتله وولى بعده " [٢] وكان الوزير أبو عبد الله ابن البطائحى الملقب بالمأمون وزيرالخليفة الفاطمى الآمر فى أول أمره يعمل حمالاص، ثم رآه الوزير الأفضل بن بدر الجمالى فضمه إلى خدمته وكان يعمل مع الفراشين [٣].

وبصفة عامة فإننا نلاحظ أن موظفى الدولة ورجال الحاشية فى العصر الفاطمى كانوا ينقسمون إلى فئتين : فئة أرباب السيوف، وفئة أرباب الأقلام أو العمائم [٤] ولما كان معظم الوزراء فى العصر الفاطمى الأول من أرباب الأقلام،

---

(١) راجع : النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٧، ٨٨، قارن : محمد حمدى المناوى، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣١٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٧٠.

(٣) الكامل، ج ١١، ص ٢٢٤، والنويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٦.

(٤) راجع : صبح. ج ٣، ص ٤٧٨، ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٣.

ثم أصبحوا في العصر الفاطمي الثاني منذ وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي من أرباب السيوف [١] لذلك فقد آثرت أن لا أدخل الوزراء في التقسيم النوعي للوظائف مع أرباب السيوف أو الأقلام، ورأيت أن أفرد لهم حديثا مستقلا.

١ - الوزراء:

تمتع الخلفاء الفاطميون في العصر الفاطمي الأول بنفوذ قوى، فكانوا يسيطرون على شئون الدولة في قبضتهم، وكان الوزير مجرد موظف كبير في الدولة ينفذ أوامر الخليفة ويخضع لسلطانه، ولكن الأوضاع تبدلت في العصر الفاطمي الثاني، ومنذ وزارة أمير الجيوش بدر الجمالي، فقد أصبح الوزير مسيطراً على شئون الحكم، ويتمتع بنفوذ وسلطان يفوق نفوذ الخلفاء[٢].

وما زاد الأمر سوءاً أن معظم خلفاء العصر الفاطمي الثاني تولوا في سن صغيرة، مما أحكم سيطرة الوزراء، وجر الويلات على الدولة الفاطمية [٣] ولم يتورع الوزراء في هذا العصر من التدخل في أدق الشئون الشخصية للخليفة[٤] ولعل أبلغ تعبير عن هذه الحال ما رواه النويري تعليقاً على وفاة الخليفة الفاطمي المستعلي حيث قال " ولم يكن له سيرة تذكر، فإن الأمر كان للأفضل أمير الجيوش"[٥].

---

(١) راجع التفاصيل : صبح، ج ٣، ص ٤٨٥، ٤٨٦.

(٢) راجع التفاصيل : صبح، ج ٣، ص ٤٨٥، ٤٨٦، مجموعة الوثائق الفاطمية، تحقيق الشيال، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٦ - ٣٠.

(3)Margholiouth: Cairo, Jerusalem and Damascus, Oxford, 1907, P. 39.

(٤) راجع رواية أيبك الدواداري عن تدخل الأفضل بن بدر الجمالي في حلاقة لحية الخليفة المستنصر (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٤١، ٤٤٢).

(٥) النويري، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨١.

وكان الوزراء في عصر الدولة الفاطمية بوجه عام يعيشون حياة تتسم بالبذخ والثراء وهى سمة الحياة في المجتمع الفاطمي، فكان الوزير يتقاضى أكبر المرتبات بين موظفى الدولة الفاطمية، فكان راتبه الشهرى خمسة آلاف دينار، بالإضافة إلى ما يمنح لأولاده وإخوته وحاشيته من مرتبات تتراوح قيمتها الشهرية بين خمسمائة ومائتى دينار [١] وكانت هذه المرتبات تمنح لأقارب الوزير وحاشيته لصلتهم بالوزير، ونلاحظ أن هذا المرتب الضخم يزيد كثيراً عن مرتب الوظيفة التالية له في الدولة وهو مرتب صاحب ديوان الإنشاء الذى كان يتقاضى في الشهر مائة وخمسين ديناراً فقط[٢].

ورغم هذا المرتب فإن الوزير كانت تصرف له من مطابخ القصر وخزائنه جارى من الطعام فى كل شهر تكفى مؤنته وحاشيته والقائمين على خدمته من الطعام والشراب، ومن أمثلة ذلك ما كان يصرف للوزير ابن عمار [٣] الذى وزر للخليفة الحاكم، فكان يصرف له ما قيمته خمسمائة دينار كل شهر من اللحم والحيوان والتوابل والفاكهة، بالإضافة إلى سلة من الفاكهة وعشرة أرطال شمع كل يوم، وحمل ثلج كل يومين، والطريف أن هذا الجارى ظل يحتفظ به ابن عمار حتى بعد عزله من الوزارة [٤].

---

(١) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٦٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) هو أمين الدولة أبو محمد الحسن بن عمار، وزر للخليفة الحاكم فى شوال سنة ٣٨٦ هـ حتى رمضان سنة ٣٨٧ هـ حيث نظر برجوان فى تدبير الأمور، وقتل ابن عمار سنة ٣٩٠ هـ (راجع : خطط، ج ٣، ص٣، ابن الصيرفى، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٢٦).

(٤) ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢٦، ٢٧، خطط، ج ٢، ص ٣.

وكان الخلفاء يغدقون على وزرائهم الهبات السخية والإقطاعات التي تدر عليهم دخلاً كبيراً جعلهم يعيشون في ثراء شديد وينفقون ببذخ، ومن أمثلة ذلك يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز الذى كان إقطاعه في مصر والشام يغل مائتى ألف دينار في السنة [1] وأهدى إليه العزيز سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤ م ألفا وخمسمائة غلام [2] وهم الطائفة المعروفة بالوزيرية[3].

وقد أمدتنا المراجع المختلفة بصورة جلية عن ثراء الوزراء في العصر الفاطمي تدعو إلى الدهشة والإعجاب، وسنضرب أمثلة على بعض هذه الثروات الخيالية. فالوزير يعقوب بن كلس الذى كان يعيش حياة تتسم بالبذخ والإسراف ترك عند وفاته ثروة ضخمة تقدر بخمسمائة ألف دينار ذهباً [4] ومن الجواهر والتحف ما تقدر قيمته بأربعمائة ألف دينار، غير الملبوس والمركوب ووجد له من العبيد المماليك أربعة آلاف غلام [5] وثمانمائة حظية غير جوارى الخدمة[6]. ورغم هذه الثروة الضخمة، فإن ابن الصيرفي يذكر أن ابن كلس مات وعليه للتجار ستة عشرة ألف دينار، فتحملها العزيز عنه من بيت المال[7]، مما يوحى بأن ثروته لم تكن في معظمها من مصادر شريفة.

---

(١) مخطوط شرع لمعة، لوحة ٥ ب، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، وقارن : مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩ الذى ذكر أن إقطاع ابن كلس يغل في السنة ثمانية آلاف دينار فقط.

(٢) ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٢١.

(٣) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

(٤) أيبك الدوادارى، الدرة المضية، ص ٢٢٥.

(٥) ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٢٣.

(٦) الدرة المضية، ص ٢٦٦، مخطوط شرح لمعة، لوحة ٥ب، ٦

(٧) الإشارة، ص ٢٣.

وقد ترك برجوان بعد قتله سنة ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م ثروة ضخمة تقدر بثلاثين ألف دينار، وعدد لا يحصى من السراويل والآلات والطيب والفرش والكتب والطرائف [١].

ومن أكثر الأمثلة وضوحاً على الثراء الذى تمتع به وزراء الدولة الفاطمية فى العصر الفاطمى الثانى، الثروة الخيالية التى خلفها الوزير الأفضل بن بدر الجمالى بعد قتله سنة ٥١٥ هـ / ١١٢٢ م والتى أقام الخليفة الآمر بنفسه أربعين يوما والكتاب بين يديه ينقلون هذه الثروة على البغال والجمال من دور الأفضل إلى القصر الفاطمى [٢].

ولا يمكن بسهولة تصديق الأرقام الخيالية التى ذكرها المؤرخون عن ما تركه الأفضل من ثروة، فقد خلف ستة ملايين ديناراً عيناً [٣] ومائتنان وخمسون أردباً دراهم من نقد مصر وسبعون ألف ثوب ديباج أطلس [٤] وكميات هائلة من التحف والجواهر وأنواع الطيب النادر وكان يملك مائة مسمار من الذهب كل مسمار وزنه مائة مثقال يضع عليهم العمائم المختلفة الألوان مغطاة بالمناديل المزركشة، ومن الطريف أنه كان يملك تمثالاً من العنبر على قدر جسده، اذا نزع الثياب وضعت على التمثال فتكتسب رائحة طيبة [٥] " ووجد له ثمانمائة جارية منهن حظايا خمس وستون ولكل جارية حجرة خاصة وخزانة مملوءة من

---

(١) ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢٨، ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٨٨.

(٢) راجع : النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣، اتعاظ،، ج ٣، ص ٧٠.

(٣) مخطوط الدول المنقطعة، لوحة ٧٩، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٧٠، وان كان ابن خلكان يبالغ فى هذا الرقم ويقدره بستمائة مليون دينار (راجع : وفيات، ج ١، ص ٢٢٢).

(٤) مخطوط الدول المنقطعة، لوحة ٧٩.

(٥) مخطوط الدول المنقطعة، لوحة ٧٩، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣.

الكساوى والآلات الديباج والذهب والفضة " [١] وترك من البقر والجاموس والأغنام ما بلغ نتاج ألبانه فى سنة واحدة نحو أربعين ألف دينار وكانت مكتبته تضم خمسمائة ألف كتاب فى كافة فروع العلم والمعرفة[٢].

ولنا أن نتصور مدى الثراء الذى تمتعت به الدولة الفاطمية في هذا العهد بالقياس إلى ما خلفه الأفضل من ثروة، رغم ما كان يتمتع به من عدل " وتنزه عن الظلم، ولم يرغب فى الأموال الجمة الذى يرى فيها أدنى شبهة "[٣] وكان حسن السيرة في الرعية والتجار متعففاً عن مد يده إلى أموال الناس [٤].

وكان الخلفاء الفاطميون يحسنون معاملة وزرائهم، ويمنحونهم قدراً كبيراً من التقدير والاحترام حتى فى العصر الفاطمى الأول الذى كان فيه نفوذ الخلفاء فى أوج عظمته ومن أمثلة ذلك أن الخليفة العزيز كان يقوم بزيارة وزيره يعقوب ابن كلس أثناء مرضه، ولما اعتل علة الوفاة فى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ركب إليه وأظهر جزعاً شديداً عليه وقال : "وددت أنك تباع فأبتاعك بملكى، أو تفدى فأفديك بولدى " [٥] ولما مات ابن كلس حزن عليه الخليفة حزناً شديداً وصلى عليه وألحده بيده فى قبره [٦].

---

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٤.

(٢) وفيات، ج ١، ص ٢٢٢، اتعاظ، ج ٣، ص ٧٠، ٧١.

(٣) الأنبا ميخائيل، ذيل سير الآباء البطاركة (سيرة البيعة المقدسة)، ج ٣، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٦٤٣٤، لوحة ١٠٣.

(٤) راجع : رواية المقريزى عن أحد اليهود الذى عرض على الأفضل خمسة آلاف دينار ليعفو عنه ولا يقتله فعفا عنه الأفضل حتى لا يقال أنه قتله طمعاً فى ماله (اتعاظ، ج٣، ص ٧١).

(٥) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤.

(٦) راجع : مخطوط شرح لمعة، لوحة ٥ ب، ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢٣ ب.

كما أن الخليفة الحاكم رغم ما تميز به من قسوة، وقوة النفوذ، ركب إلى وزيره على بن جعفر بن فلاح [(١)] لعيادته فى مرضه، وحمل إليه هدية تحتوى على مرتبة ديباج وخمسة آلاف دينار، ويذكر ابن الصيرفى " وكانت هذه عادته اذا عاد أحدا " [(٢)] مما يوضح أن من عادة الحاكم عيادة كبار رجال دولته والإحسان إليهم.

٣ - أرباب السيوف:

تعددت وظائف الطبقة العسكرية من أرباب السيوف فى مصر الفاطمية وهى تضم فئات مختلفة ابتداء من الوزير اذا كان صاحب سيف إلى أقل الأجناد رتبة فى الدولة، وكان للجميع مرتبات محددة تصرف من الدولة وكان يشرف على شئون هذه الطبقة عدة دواوين، فديوان الجيش كان عمله تنظيم الأجناد وسد احتياجاتهم من الخيول والمعدات، وتسجيل أسمائهم فى سجلات، وكان موظفى هذا الديوان يستقون معلوماتهم عن الأجناد من رؤسائهم فيعرض " نقباء الأمراء " على المجلس أحوال الأجناد من الحياة والموت والغيبة والحضور[(٣)] ثم يعاد تسجيل هذه المعلومات فى ديوان الرواتب الذى يختص بصرف أعطيات جميع موظفى الدولة من العسكريين والمدنيين [(٤)] كما كانت

---

(١) هو قطب الدولة أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح، ولى الاسكندرية ودمشق، ثم ولى السفارة بين الخليفة والكتاميين عندما عين مقدماً عليهم سنة ٤٠٣ هـ (اتعاظ، ج ٢، ص ٩٣) ثم عين وزيراً للحاكم فى شوال سنة ٤٠٦ هـ، وقتل سنة ٤٠٩ هـ، (راجع: ابن سعيد، النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة، ص٦٦، الخطط، ج٢،ص٢٨٨).

(٢) ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٣١.

(٣) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٨٨.

(٤) راجع التفاصيل، صبح، ج ٣، ص ٥٢١ – ٥٢٣.

الدولة الفاطمية تخص رجال الجيش بمنح الإقطاعات نظير قيامهم بالواجبات العسكرية وقد أنشئ لهذا الغرض " ديوان الإقطاع " [١].

ونحن لا نملك أرقاماً محددة عن أعداد الطبقة العسكرية المدرجين في ديوان الجيش في عهد الدولة الفاطمية، ولكن المعروف أن الجيش الفاطمي الذي دخل مصر بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م كان يزيد على مائة ألف فارس [٢] هذا في بداية عهد الدولة الفاطمية، أما في أواخر عهدها، فيشير المقريزي إلى أن عدد الجند المدرجين في ديوان الجيش في أيام الوزير رزيك بن طلائع (رمضان ٥٥٦ - المحرم ٥٥٨) كان أربعين ألف فارس وثلاثين ألف راجل من السودان [٣] ولا شك أن تلك الأعداد كان تتراوح بين الزيادة والنقصان على امتداد العصر الفاطمي، وسنقدم عرضا لأهم وظائف أرباب السيوف.

صاحب الباب :

وهي أعظم أرباب السيوف، وكان صاحبها ينعت " بالمعظم " [٤] ويتولاها أحد الأمراء المطوقين، ويصفها القلقشندي بأنها " ثاني رتبة الوزارة " لذلك أطلق عليها " الوزارة الصغرى"[٥]. وكان مهام صاحب الباب غير محددة، وتختلف تبعاً لمكانة الوزير القائم، فاذا كان الوزير صاحب سيف ويتولى وزارة تفويض، تراجعت أهمية صاحب الباب وأصبح يعمل في خدمة الوزير

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩، راجع : ماجد، نظم، ج ١، ص ١٩٢، ١٩٣.
(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٨.
(٣) نفسه، ص ٨٦.
(٤) نفسه، ص ٤٠٣.
(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩.

عند جلوسه لنظر المظالم، أما اذا كان الوزير من أرباب الأقلام، فإن صاحب الباب يجلس بنفسه للنظر في المظالم، وكان مجلسه بباب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء والحجاب، ويدخل إليه أصحاب الظلامات [(١)] ويقوم بفحصها وتوزيعها على جهات الاختصاص.

وكان راتب صاحب الباب مائة وعشرين ديناراً شهرياً [(٢)] وكان له نائب من أعيان العدول وأرباب العمائم يسمى " عدى الملك " وظيفته استقبال الرسل القادمين من الدول الأجنبية، ويشرف على اقامتهم وراحتهم، ويقدمهم لاستقبال الخليفة والوزير مع صاحب الباب[(٣)].

الاسفهسلار [(٤)] :

ويفهم من الأوصاف التي أوردها القلقشندى أنه القائد العام للجيش "زمام كل زمام وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم " [(٥)] وكان له حق حضور مجلس المظالم اذا كان الوزير من أرباب السيوف [(٦)] ولم تذكر المصادر قيمة مرتب قائد الجيش وإن كان يغلب على الظن أنه لا يقل كثيراً عن مرتب صاحب الباب إن لم يكن يساويه فهو يأتي في ترتيبه من حيث الأهمية بعد

---

(١) صبح، لفسه، خطط، ج ١، ص ٤٠٢؛ ٤٠٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) خطط، ج ١، ٤٠٣.

(٤) اصطلاح عسكرى مركب من كلمتين : أسفه : بمعنى مقدم وهى فارسية، وسلار : بمعنى عسكر وهى تركية، فمعناها مقدم العسكر (أنظر، صبح، ج ٣. ص ٤٧٩. أبو شامه، الروضتين، ص ٤٠٨).

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٣.

(٦) مقريزى، اتعاظ. ج ٣، ص ٣٣٥.

صاحب الباب مباشرة ففى "خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم"(١).

وحامل المظلة :

وهى من الوظائف العظام لأن صاحبها يحمل مظلة الخليفة فى المواكب العظام ومكانه بجانب الخليفة لذلك كان له التقدم والرفعة (٢) وكان يلقب بالأمير " عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة " وكان من رسومه أن يمنح فى كسوة عيد الفطر بدلة مذهبة (٣).

وحامل سيف الخليفة :

وهو سيف خاص لا يخرج إلا فى المواكب العظام ويقال أنه صنع من صاعقة، وكان يوضع فى غلاف محلى بالذهب لا يظهر إلا رأسه وكان يحمله فى الموكب أمير عظيم القدر " وهو أكبر حامل فى الموكب " (٤).

وحامل الرمح :

وهو رمح قيم يوضع فى غلاف منظوم باللؤلؤ، وله سنان صغير بحلية ذهب، وحامل الرمح أمير مميز وله مكانة جليلة (٥) وكان راتب حامل السيف

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩.
(٢) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ص ٤٠٣.
(٣) خطط، ج ١، ص ٤١١، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٨، ٢٩.
(٤) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٤٨.
(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٤٨.

وحامل الرمح سبعين ديناراً شهرياً لكل منهما[١] وكان يخلع عليهما في عيد الفطر ببدلة حريرية [٢].

ويلي ذلك أزمة طوائف الجيش أو الأمراء قادة الفرق، وهؤلاء كانوا ينقسمون إلى ثلاث مراتب : الأمراء المطوقين، وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم، وأرباب القضب، وهم الذين يركبون في مواكب الخليفة حاملين القضب التي تخرج لهم من خزانة التجمل، وأدوان الأمراء، وهم أقل درجة من الفئتين السابقتين [٣] وكان هؤلاء الأمراء تتراوح مرتباتهم بين خمسين وثلاثين ديناراً في الشهر حسب رتبة كل منهم [٤]. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك فرق عسكرية خاصة بالخليفة لحراسته والسر في موكبه، أو المرابطة بالقرب منه لحراسته ولتلبية ما يأمرهم به، ومن هؤلاء الركابية أو صبيان الركاب الخاص وكان عددهم يزيد على ألفي رجل ولهم اثنا عشر مقدماً [٥] وكانوا يرتدون في مواكب الخليفة العمائم الكبيرة ويشدون أوساطهم بالمناديل ويشهرون سيوفهم المصقولة المذهبة في أيديهم وهم يحيطون بالخليفة كالجناحين ولا يتركون إلا فرجة صغيرة لمرور فرسه[٦]، وكان مرتب مقدم الركابية خمسين ديناراً في الشهر، أما الركابية فكانت تتراوح مرتباتهم بين خمسة عشر ديناراً وخمسة دنانير [٧]، وفرقة صبيان الخاص وكان عددهم حوالي خمسمائة فارس

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤١٢.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٧٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٣، ماجد، نظم، ج ١، ص ١٩٤.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٤٩، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٩.

(٧) صبح، ج ٣، ص ٥٢٣.

يصل بعضهم إلى رتبة الأمير وكان بعضهم يحمل الرايات الحريرية المكتوب عليها " نصر من الله وفتح قريب " في موكب الخليفة [١]. وصبيان الحجر. الذين أخذوا اسمهم من إقامتهم في حجرة منفردة بالقرب من القصر وهم جماعة من الشباب في كامل العدة والاعداد حتى اذا طلبوا لأمر من الأمور كانوا على استعداد كامل وكان عددهم يزيد على خمسة آلاف رجل [٢]. كما كانت ولاية القاهرة ومصر تسندان إلى أرباب السيوف أيضاً [٣].

وكان من خواص الخليفة عدد من الخدم من أرباب السيوف يطلق على المميزين منهم لقب " الأستاذون المحنكون " [٤] وهم من أقرب الناس إلى الخلفاء وتسند إليهم الوظائف المهمة في القصر، وترجع أهميتهم إلى أنهم يطلعون على أسرار الخليفة، وهم أصحاب الأنس له، ومن أهم وظائف هذه الطائفة : شد التاج [٥]، وصاحب المجلس [٦]، وصاحب الرسالة [٧]،

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٤٤٨.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٤٧٧.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٤) راجع التعريف السابق عن تلك الطائفة.

(٥) شد التاج : صاحب تلك الوظيفة يتولى شد التاج الذى يلبسه الخليفة في المواكب العظيمة، وكانت له مكانة عالية للمسه ما يضع الخليفة على رأسه (صبح، ج ٣، ص ٤٨٠، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٦) صاحب المجلس وهو الذى يتولى ترتيب مجلس الخليفة في المناسبات المختلفة، وكان يلقب بأمين الملك، ويعرف الحاضرين بجلوس الخليفة ويشير إلى الأستاذين برفع الستر عن مجلسه (صبح، ج ٣، ص ٤٨١. خطط. ج ١، ص ٣٧٦)

(٧) صاحب الرسالة تتلخص مهمته في الخروج في موكب وابهة لاستدعاء الوزير من داره لحضور مجلس الخليفة (صبح. ج ٣. ص ٤٨١. خطط. ج ١، ص ٣٨٦).

ورمام القصور [١]، وصاحب بيت المال [٢]، وصاحب الدفتر [٣]. وحامل الدواة [٤]، وزم الأقارب [٥]، وزم الرجال[٦].

أما الأساتذة غير المحنكين وكانوا أيضاً من أرباب السيوف فأهم وظائفهم:

"نقابة الطالبيين"، "وزم الرجال" ومن الملاحظ أن زم الرجال من الأساتذة المحنكين وظيفته الإشراف على طعام الخليفة، أما زم الرجال من غير المحنكين فهو المشرف على طوائف الرجال والأجناد فى الجيش الفاطمى [٧].

ويغلب على الظن أن رئيس الخدم كان يطلق عليه لقب "أستاذ الأستاذين" وهو لقب لم نعثر على نظيره فى المصادر التى رجعنا إليها، ولكن يوجد فى المتحف الإسلامى طبق من الخزف يحمل اسم "غبن أستاذ الأستاذين"[٨] وغبن

---

(١) زمام القصور، وهو المشرف على القصور ويقف عن يمين الوزير فى مجلس الخليفة (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٢) صاحب بيت المال، أو زمام بيت المال وكان يقف عن يسار الوزير فى مجلس الخليفة (خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٣) صاحب الدفتر، وهو المعروف بدفتر المجلس وكان يشرف على الدواوين التى تخص أمور الخلافة (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٤) حامل الدواة، وكان يختص بأمر دواة الخليفة فيضعها على المرتبة فى مجلس الخليفة ويحملها أمامه على السرج ويسير بها فى المواكب الخلافية (صبح، ج ٣، ص ٤٨١. خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

(٥) زم الأقارب، وهو المشرف على طائفة " الأشراف الأقارب ".

(٦) وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة.

(٧) صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(٨) راجع : معرض الفن الإسلامى فى مصر، نشر وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩. ص ١٤٦، حسن الباشا. طبق من الخزف برسم غبن، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مايو ١٩٥٦، ص ٧١ – ٨٥.

هذا كان أحد خدام الخليفة الحاكم بـأمر الله الـذى لقبـه فـي سـنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م بقائد القواد [١].

وكانت أعلى الرواتب فى القصر يتقاضاها الأستاذون المحنكـون، فرواتـب الفرد منهم فى الشهر مائة دينار [٢] غير مخصصـاتهم مـن الكسـاوى والأطعمـة وغيرها، وكان مَن دونهم من الخدم تتراوح مرتباتهم بين تسعين دينـاراً وعشـرة دنانير [٣] حسب قرب الخادم من الخليفة وأهمية العمل المسند إليه.

وأحياناً كان يسند إلى هؤلاء الأسـاتذة مناصب كبيرة فـى الدولـة مثـل ولاية الشرطة والحسبة[٤]، وكان الخلفاء يغدقـون عليهـم المنـح والهبـات ببـذخ شديد، ومن أمثلة ذلك عندما مرض عبن أحـد خـدام الخليفـة الحـاكم، ركـب الخليفة بنفسه لعيادته، وسير إليـه خمسـة آلاف دينـار، وخمسـة وعشـرين فرسـاً مسرجة ملجمة [٥].

٣ - أرباب الأقلام:

كانت بالدولة الفاطميـة أعـداد كبـيرة مـن الموظفـين الذيـن يعملـون فـى دواويـن الدولـة المختلفـة يطلـق عليهـم غالبـاً " أربـاب الأقـلام " أو أصحــاب الوظائف الديوانية، وكانت هذه الفئة من الموظفين تأتى بعد أرباب السيوف فـى الهيكل الوظيفى، وخاصة فى العصر الفاطمى الثانى حين أصبح الوزيـر صـاحب السيف والقلم.

---

(١) خطط، ج ٢، ص ٢٩٧، اتعاظ، ج ٢، ص ٩١.

(٢) صبح، ج ٢، ص ٢٩٧، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٣) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٤٠١، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠

(٤) خطط، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٩١.

وكان على رأس أرباب الأقلام، صاحب ديوان الإنشاء، أو كانت الدست الشريف لأن راتبه الشهرى كان مائة وخمسين ديناراً [١]، وهذا أكبر راتب يتقاضاه أحد أرباب الوظائف الديوانية في الدولة الفاطمية، ويعمل تحت إمرته عدد من الكتاب راتب كل منهم ثلاثون ديناراً فى الشهر[٢].

وتتلخص وظيفته فى تسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة بنفسه، وهو الذى يأمر بتنزيلها والإجابة عنها، وتسند هذه الوظيفة غالباً إلى كبار رجال العلم والأدب ممن يتقنون فنون اللغة والبلاغة وصاحبها يخاطب بالشيخ الأجل، وهو موضع ثقة الخلفاء وتقديرهم ويستشيرهم الخلفاء فى أكثر أمورهم ولا يمنع من الدخول إلى مجلس الخليفة أو المبيت في القصر اذا اضطرته الظروف إلى ذلك. وكان له حاجب من أمراء الشيوخ وفراشون فى خدمته وأستاذ مهمته حمل الدواة التى يستخدمها فى الكتابة وذلك اذا أتى إلى حضرة الخليفة، ومن مظاهر علو شأنه أنه كانت له مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمخاد والمسند [٣].

وكان فن الكتابة فى ديوان الإنشاء يتم التدريب عليه من بين أبناء الكتاب وأرباب الدواوين، وكانت العادة أن يرسل الكتاب أبناءهم إلى ديوان الإنشاء لتعلم فن الكتابة منذ الصغر على يدى صاحب ديوان الإنشاء ومعاونيه، فكان العلماء وكبار رجال الدولة فى مصر والشام يرسلون أولادهم إلى ديوان الإنشاء فى مصر فى عصر الدولة الفاطمية ليتعلموا فن الكتابة والمراسلات وفروع المعرفة الأخرى التى تلزم من يتصدى هذا العمل [٤] وكان كاتب

---

(١) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٦، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٤) راجع : أبو شامة، الروضتين، ج ١، قسم ٢، ص ٤٨٧، ٤٨٨.

الإنشاء فى عهد الخليفة الآمر يسكن منظرة الغزالة على الخليج [١] تقديرا لمكانته فى الدولة.

وكانت من الرتب الديوانية الجليلة وظيفة " التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم " وهى تلى رتبة صاحب ديوان الإنشاء، وبالإضافة إلى عمله الذى يتلخص فى معاونة الوزير صاحب السيف فى النظر فى المظالم فإن صاحب هذه الوظيفة كان يجالس الخليفة أكثر أيام الأسبوع فى خلوته، يذاكره ما يحتاج إليه من القرآن الكريم وأخبار الأنبياء والخلفاء السابقين، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق[٢] أى أنه كان يقوم بدور المؤدب والمعلم للخليفة وأحياناً كانت تمتد مهمته لتشمل تعليم أخوة الخليفة وأولاده لذلك سمى بالجليس [٣].

وكان الجليس يحصل على منحة من الخليفة فى كل لقاء مقدارها عشرة دنانير بالإضافة إلى كمية من أجود أنواع البخور ليتبخر بها قبل الدخول على الخليفة فى المرة التالية [٤] وكان راتب صاحب القلم الدقيق أو الجليس مائة دينار فى الشهر [٥] بالإضافة إلى ما يحصل عليه من هبات وكساوى [٦] فى المناسبات المختلفة.

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٩.
(٢) ابن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣، ج ٢، ص ٣٣٢.
(٣) مثال ذلك : القاضى الجليس عبدالعزيز بن الحسين بن الحباب، الذى أطلق عليه لقب الجليس لأنه كان يعلم الخليفة الظافر وأخويه وأولاده القرآن الكريم والأدب وكانت عادة الفاطميين تسمية مؤدبهم الجليس، وتولى ابن الحباب ديوان الإنشاء فى عهد الخليفة الفائز مع الموفق ابن الخلال وتوفى سنة ٥٦١ هـ.
(٤) صبح، ج ٣، ص ٤٨٧، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٨، خطط، ج ١، ص ٤٠٢.
(٥) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠.
(٦) خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

ويلى تلك الوظيفة فى المرتبة صاحب القلم الجليل، لذلك كانت وظيفته تعرف بالخدمة الصغيرة، وتتلخص مهمته فى صياغة ما يوقع به أى ما يشير به صاحب القلم الدقيق فى المظالم حيث تحمل بعد ذلك إلى الخليفة ليوقع عليها [١] وكان راتبه الشهرى ثلاثين ديناراً [٢].

وكانت توجد بالدولة العديد من الدواوين التى يرأس كل منهما كاتب له مكانة رفيعة بين الناس ويعاونه مجموعة من الحجاب والكتاب يديرون الجهاز الادارى، ولجميع هؤلاء الموظفين مرتبات شهرية بالإضافة إلى جاريهم من الكساوى والأطعمة.

وكان ديوان الجيش يشترط فيمن يتولاه أن يكون مسلماً ووظيفته تسجيل الأجناد وخيولهم، واختيار الجيد منها لركوبهم ويساعده نقباء الأمراء فيمدونه بالمعلومات اللازمة عن أحوال الأجناد من الحياة والموت والغيبة والحضور [٣] وكان لصاحب ديوان الجيش مكانة مميزة لجلوسه بين يدى الخليفة داخل عتبة باب المجلس، وله الطرحة والمسند وبين يديه الحاجب، وكان راتب صاحب ديوان الجيش أربعين ديناراً شهرياً [٤] وكان يلحق بهذا الديوان " ديوان الرواتب " ويشتمل على أسماء جميع موظفى الدولة وخدمها وكل من يستحق راتب فيها، وكان يشرف عليه كاتب أصيل يعاونه عشرة كتاب وتأتى إلى هذا المجلس ما يستجد من أحوال الموظفين من تعيينات جديدة أو موت وغير

---

(١) صبح، ج ٢، ص ٤٨٧، ٤٨٨، حسن ابراهيم، الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٨١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٨، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك [١] وكان كل موظف من هؤلاء المعاونين يتراوح مرتبه بين عشرة وخمسة دنانير ومرتب رئيسهم عشرين ديناراً[٢].

وديوان الإقطاع وكان يختص بإقطاعات الأجناد ومخصصاتهم وكان مرتبطاً أيضاً في مهامه بديوان الجيش [٣] وللمشرف عليه راتب قدره عشرون ديناراً شهرياً [٤] وديوان النظر ويتولى صاحبه النظر في شئون جميع الدواوين المتعلقة بالأموال، ويصفه القلقشندى بأنه " رأس الكل وله الولاية والعزل وإليه عرض الأرزاق في أوقات معروفة على الخليفة وله الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة، وتخرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسي"[٥] وكان راتبه أعلى مرتب أرباب الدواوين حيث يتقاضى سبعين ديناراً شهرياً [٦] ويلحق بهذا الديوان ديوان آخر يعرف بديوان التحقيق، يتولاه كاتب خبير له الخلع والمرتبة والحاجب ووظيفته المقابلة على الدواوين [٧] ويلي في المرتبة صاحب ديوان النظر ويليه في الراتب الشهرى الذى يبلغ خمسين ديناراً [٨] كما يلحق أيضاً بديوان النظر، ديوان المجلس وكان يعمل به عدة كتاب ولكل واحد منهم مجلس مستقل ويعاونه موظف أو اثنين وكان صاحب هذا الديوان هو المشرف على الإقطاعات ويخلع عليه الخليفة في مناسبة تعيينه

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩، خطط، ج ١، ص ٤٠١.
(٢) خطط، ج ١، ص ٤٠٢.
(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩.
(٤) خطط، ج ١، ص ٤٠٢.
(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٠.
(٦) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١.
(٧) صبح، ج ٣، ص ٤٨٩، خطط، ج ١، ص ٤٠١.
(٨) صبح، ج ٣، ص ٥٣٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

ويخرج سجل من ديوان الإنشاء بذلك وله دواة تخرج من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولى رئاسة هذا الديوان أحد كتاب الدولة من المرشحين لأن يكون رأس الدواوين، وكان يشرف أيضاً على العطاء والرسوم التي تمنح في المناسبات من الأطعمة والتشريعات والغلات وما يخرج من الكسوات للأولاد والأقارب والجهات وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدول من الهدايا وما يرسل لهم من الملاطفات، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من حريم القصر، وضبط ما ينفق في ذلك ومقارنته بمصروفات السنين السابقة لمعرفة التفاوت بينها[١] وكان يتقاضى صاحب هذا الديوان أربعين ديناراً شهرياً أما صاحب دفتر المجلس فكان يتقاضى خمسة وثلاثين ديناراً وكاتبة خمسة دنانير [٢].

كما كان يوجد ديوان خزائن الكسوة والطراز [٣] بالإضافة إلى عدد من الدواوين الفرعية التي تشرف على الضرائب الواردة على الدولة من أنحاء القطر مثل ديوان الأحباس، وديوان الصعيد وديوان الوجه البحرى المعروف بأسفل الأرض وديوان الثغور وديوان الهلالى[٤] بالإضافة إلى ديوان الكراع التى يتولى شئون الحيوانات ودواب الركوب وديوان الجهاد أو العمائر وكان مقره دار الصناعة بمصر ويشرف على بناء الأسطول والنقل البحرى والإنفاق على الأسطولية [٥].

---

(١) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٨٩، ٤٩٠، خطط، ص ٣٩٧، ٣٩٨

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ٤٠٢.

(٣) سأتناولها بالتفصيل في الفصل الخاص بالملابس.

(٤) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٩٠ – ٤٩٢.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٩٢.

وكان راتب أرباب هذه الدواوين عشرين ديناراً شهرياً أما الكتاب والمعاونين فكانت تتراوح بين عشرة وخمسة دنانير لأدنى الوظائف [١].

٤ - أرباب الصنائع بالقصر :

كان بالقصر الفاطمى عدد كبير من أرباب الصنائع المختلفة مثل الخياطين والرفائين [٢] وغيرهم، وتشير المصادر إلى أن المعز أبدى اهتماما بجمع الصناع فى كل صنعة وعينهم " صناعاً للخاص " وخصص لهم حجراً لاقامتهم فى القصر [٣] وحدد لهم مرتبات مجزية، وكان أهم أرباب الوظائف الصناعية فى الدولة الأطباء، فكان للخليفة الفاطمى طبيب للإشراف على علاجه اذا مرض يعرف " بطبيب الخاص وأحياناً كان يخصص لهذه المهمة أكثر من طبيب [٤] بالإضافة إلى أربعة أطباء كانوا يجلسون بقاعة الذهب لعلاج أقارب الخليفة وحاشيته وخدمه فيخرج الأستاذون لاستدعاء من يحتاجونه منهم، فكان الطبيب يكتب للمريض رقعة بما يحتاجه من الدواء تصرف من خزانة الشراب بالقصر، وكان المشرف على خزانة الشراب يحتفظ بهذه الرقاع لاثبات ما خرج منها من الأدوية [٥] وكان يخلع على طبيب الخاص عند تعيينه، ويخرج فى موكب. ومن أمثلة ذلك خروج منصور بن مقشر النصرانى طبيب العزيز فى موكب فخم إلى الكنيسة تحف به الشموع المركبية [٦] وكان مرتب طبيب

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١ - ٤٠٢.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١، ٤٠٢.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤٣.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٩٢.

(٦) اتعاظ، ج ١، ص ٢٨١، وهى شموع ضخمة قد يصل وزن الواحدة منها أكثر من قنطار.

الخاص خمسين ديناراً فى الشهر أما الأطباء الآخرون بالقصر فكان مرتب الواحد منهم عشرة دنانير [(١)] وان كان هذا المرتب لا يعنى شيئا بجانب ما يحصل عليه طبيب الخاص من هبات عند شفاء الخليفة اذا مرض، فيذكر النويرى أن الحاكم عندما شفى من مرض ألم به سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م منح طبيبه عشرة آلاف دينار [(٢)] لذلك عاش بعضهم فى ثراء وبذخ وتركوا ثروات ضخمة بعد وفاتهم، فقد ترك يعقوب بن نسطاس طبيب الحاكم عند وفاته سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م ما يزيد على عشرين ألف دينار عينا سوى الثياب والتحف [(٣)].

ولم تكن وظائف الأطباء فى عصر الدولة الفاطمية قاصرة على القصر فقط، بل كان المارستان موضع رعاية الخلفاء وكانوا يحبسون عليه الأوقاف للانفاق عليه [(٤)] ولا شك أن الدولة كانت تعين الأطباء للقيام بمعالجة المرضى وتمنح لهم المرتبات نظير ذلك، ورغم أننا، لا نملك معلومات محددة عن هذا الموضوع إلا أن أبا الصلت أمية الذى زار مصر فى عهد الخليفة

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٢١.

(٢) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٥.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٤) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٥، ١٠٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٥٥، ويروى المقريزى فى حوادث سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م " نزل الظاهر إلى البيمارستان متنكرا فى عبيده، فطافه، وأطلق لكل من المجانين خمسين درهما، وللقيم عليهم خمسمائة درهم، ورسم بعمارته، واجراء الماء على رسمه، وأن يطبخ للمجانين كل يوم ما يأكلونه بعد أدويتهم " (راجع : اتعاظ، ج ٢، ص١٤٣).

الآمر يذكر رواية طريفة توضح أن المارستان فى عهد الدولة الفاطمية كان عامرا بالأطباء وكان المرضى موضع رعاية من الدولة (١).

وكانت الدولة الفاطمية تهتم بالشعراء وتجذبهم إليها لاستخدامهم كوسيلة للدعاية لمذهبها، لذلك كانت تلحق من يدخل فى خدمتها منهم بديوان الإنشاء (٢) وكانت تجزل لهم الأعطيات والهبات بالإضافة إلى مرتبات شهرية تتراوح بين عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير (٣).

٥ - أرباب الوظائف الدينية :

كان فى الدولة الفاطمية عدد من الموظفين لوظائفهم صبغة دينية كانوا يعرفون بأرباب العمائم، لأن العمائم الكبيرة كانت تميزهم عن غيرهم من الطوائف الأخرى، ومن أهم هذه الوظائف القضاة والدعاة والشهود العدول وقراء الحضرة والخطباء والقراء والمؤذنون فى الجوامع.

قاضى القضاة : وهى أجل الوظائف الدينية وأرفعها شأناً، ورتبته أجل رتب أرباب العمائم وأرباب الأقلام (٤)، ولا يتقدم عليه أحد فى محضر هو

---

(١) يذكر أبو الصلت أمية " ومن ظريف ما سمته أنه كان بمصر منذ عهد قريب رجل ملازم للمارستان يستدعى للمرضى كما تستدعى الأطباء، فيدخل على المريض فيحكى له حكايات مضحكة، وخرافات مسلية ويخرج له وجوها مضحكة.. فاذا انشرح صدر المريض وعادت إليه قوته تركه وانصرف " (راجع الرسالة المصرية، ص ٣٤) وهذه طريقة للعلاج عن طريق الضحك فى هذا العصر، ولعلها أول اشارة إلى مثل ذلك الأمر الذى يعد حاليا من وسائل العلاج الحديث.

(٢) صبح. ج ٣، ص ٤٩٣.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٠١.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٠٣، اتعاظ. ج ٣، ص ٣٣٦.

حاضره من رب سيف أو قلم [١] وكان تعيينه يصدر عن الخليفة في العصر الفاطمي الأول عندما كان الوزراء من أرباب الأقلام، أما في العصر الفاطمي الثاني عندما أصبح الوزراء من أرباب السيوف، كان الوزير يعين القاضي لأنه ينوب عنه، وفي هذه الحالة كان لا يلقب بقاضي القضاة لأن هذا كان من ألقاب الوزير [٢]، وكان من الرسوم المتبعة في الدولة الفاطمية إصدار سجل بتولية القاضي من ديوان الإنشاء ويقرأ هذا السجل على الملأ في جوامع القاهرة والفسطاط وغيرها [٣].

أما عن اختصاصات القاضي، فكان بالإضافة إلى وظيفته الأصلية وهي النظر في الأحكام الشرعية [٤] فكان يتولى الصلاة والخطابة بحضرة الخليفة، والإشراف على دور الضرب في كل أقاليم الدولة، والنظر في أحباس الجوامع والمساجد، ووجوه البر، وتعيين النواب عنه في الأقاليم[٥].

وأحياناً كان يجمع بين القضاء والدعوة، فيكتب بقاضي القضاة وداعي الدعاة، فإذا جمع بين الوظيفتين خرج موكبه عند التعيين بالطبول والأبواق والبنود، أما اذا كان يتولى القضاء فقط، فان موكبه يخلو من ذلك، فيسير وحوله الجند مترجلون والمؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير إن كان صاحب سيف [٦].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٠٤.

(٢) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٨٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧، ماجد، نظم، ج ١، ص١٤٢، ١٤٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني، رفع الأصر، القسم الأول، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٧٨، الدرة المضية، ص ١٧٤.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٦.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٦) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٧٧.

وكان من رسوم القاضى أن يخرج له من اصطبل الخليفة بغلة شهباء لركوبه، وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون غيره من موظفى الدولة. وتخلع عليه الخلع المذهبة (١).

وكان القضاة يتمتعون باحترام الخلفاء وتقديرهم لما لوظائفهم من أهمية لدى جميع الناس. فعندما اصدر الحاكم بأمر الله أوامره بإسقاط الألقاب عن جميع موظفى الدولة، لم يستثن من هذا القرار سوى ولى العهد وقاضى القضاة وداعى الدعاة (٢).

وكان راتب قاضى القضاة مائة دينار فى الشهر (٣) هذا ما رواه القلقشندى والمقريزى، ولكن يبدو أن مرتب القاضى لم يكن جامدا، بل كان يختلف من وقت لآخر فيروى ناصر خسرو الذى زار مصر فى عهد الخليفة المستنصر " ويتقاضى قاضى القضاة ألفى دينار مغربى فى الشهر، ومرتب كل قاض على قدر مرتبته، وذلك حتى لا يطمع القضاة فى أموال الناس أو يظلمونهم"(٤) والعبارة الأخيرة هى التى دفعت الخلفاء إلى زيادة مرتبات القضاة، فعند تعيين القاضى الحسين بن النعمان سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ / ضاعف له الخليفة الحاكم مرتبه وصلاته وإقطاعاته وحذره من التعرض لدرهم من أموال المسلمين (٥).

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٨٢، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧.
(٢) ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨، ابن حجله التلمسانى، سكردان السلطان، القاهرة ١٣١٧ هـ، ص١٧٥.
(٣) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢، خطط، ج ١، ص ٤٠١، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠.
(٤) سفرنامه. ص ٦٥.
(٥) اتعاظ. ج ٢. ص ٢١

وكان يعاون القاضي في أداء وظيفته في الحكم عدد من الشهود العدول أو المعدلين[١] وكانوا يختارون بعناية من بين الأشخاص المشهود لهم بالأمانة والتفقه في الدين، ولا يسمح للقاضي أن يعدل شاهداً إلا باذن من الخليفة بعد أن يزكيه عشرون عدلاً ممن سبقوه في هذه الوظيفة ويرضاه سائر الشهود[٢]. وكان الخلفاء يهتمون باسناد هذه الوظيفة لمن هم أهل لها لأهميتها في إظهار البينة ومساعدة القضاء في تحقيق العدالة[٣].

وجاء في سجل صادر عن الخليفة الحافظ في ذي الحجة سنة ٥٤١ هـ إلى قاضي عسقلان ما يؤكد هذه الأهمية للشهود العدول وضرورة تزكيتهم من سبقوهم، فيقول السجل :

".. إلى القاضي الأشرف أبي المجد علي بن الحسن البستاني[٤]، قد انتهى إلى حضرة أمير المؤمنين أن قوماً من أهل ثغر عسقلان حماه الله قد صاروا يؤدون توقيعات بقبول أقوالهم من غير تزكية من شهوده المعروفين بالتزكية لهم.. فأنكر أمير المؤمنين ذلك من فعلهم، وخرج عالي أمره بأن لا يسمع قول شاهد ولا يتقدم لخطابة ولا لصلاة بالناس، ولا لتلاوة في موضع شريف إلا من زكاه أعيان شهود الثغر وهم فلان وفلان وعد ثمانية أنفس "[٥].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٣٨٦.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٤٨٢، ٤٨٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧، خطط، ج ١، ص ٤٠٤.

(٣) ماجد، نظم، ج ١، ص ١٤٧.

(٤) هو والد القاضي الفاضل وكان يتولى القضاء في ثغر عسقلان في ذلك الوقت (أبو شامة الروضتين، ج ١، القاهرة، ١٢٨٧هـ، ص ٥٠).

(٥) أبو شامة، الروضتين، ج ١، ص ٥٠.

والسجل يوضع وظائف متعددة للشهود العدول منها الإمامة فى الصلاة والخطابة وتلاوة القرآن بالإضافة إلى ما عرف من وظائف أخرى مثل وظيفة المحتسب ووكالة بيت المال، ونائب صاحب الباب(١) ونقابة الأشراف الطالبيين(٢).

ولم تذكر المصادر شيئاً عن مرتب الشاهد العدل، وإن كان من المحتمل أن مرتباتهم تتفق مع سبقهم فى التعديل أو إلى الوظائف التى تسند إليهم بالإضافة إلى وظيفتهم الأصلية، فالمحتسب كان يتقاضى راتباً قدره ثلاثون دينارا فى الشهر (٣) وكان راتب نائب صاحب الديوان خمسين ديناراً(٤)، وإن كنا لا ندرى مرتبات باقى الوظائف التى تسند إلى العدول فإنها قريبة من ذلك.

داعى الدعاة :

ومن أرباب الوظائف الدينية داعى الدعاة، ورتبته تلى رتبة قاضى القضاة وغالبا ما كان يجمع شخص واحد بين الوظيفتين، وكان يشترط فى داعى الدعاة أن يكون ملماً بأصول المذهب الإسماعيلى متفقهاً فى علوم الدين ويحمل بين يديه اثنا عشر نقيباً وله نواب فى سائر أقاليم الدولة.

وكانت مجالس الدعوة الفاطمية تعقد فى القصر وفى المساجد وفى دار العلم وكان يرأسها داعى الدعاة أو أحد نوابه، فيقرأ على الأتباع تعاليم المذهب الاسماعيلى، ويأخذ العهد على من يعتنق مذهبهم ويجمع منهم مال النجوى ومقداره ثلاثة دراهم ونصف ويحمل هذه الأموال إلى الخليفة (٥) وكان داعى الدعاة يتقاضى مرتباً مساوياً لقاضى القضاة مقداره مائة دينار فى الشهر (٦).

---

(١) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٨٣، ٤٨٤.
(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٦.
(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.
(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٢.
(٥) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٨٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧، وراجع تفاصيل وصف الدعوة وترتيبها : خطط، ج ١، ص ٣٩١ - ٣٩٧.
(٦) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢. اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠.

المحتسب :

وهى من الوظائف الدينية التى لا تسند إلا إلى وجوه المسلمين وأعيان المعدلين [١] وكان يخرج للمحتسب عند تعيينه سجلاً من ديوان الإنشاء مثل القاضي ويقرأ في جوامع القاهرة والفسطاط ويطاف به في موكب بالطبول والبنود [٢] وكانت الحسبة تسند في بعض الأحيان إلى صاحب الشرطة [٣] كما كانت تضاف إلى ولاية القاهرة [٤] أو الفسطاط [٥] كما كانت تسند أحيانا إلى أحد أعيان التجار الذين لهم خبرة بالأسواق [٦].

وكان للمحتسب نواب في القاهرة والفسطاط وجميع الأعمال لمساعدته فى أداء اختصاصاته التى تتلخص فى مراقبة الأسواق وأرباب الحرف والمعايش والطباخين وصناع الهريسة[٧] كما كان يقوم بمراقبة الأخلاق العامة ويمنع تعرض الشباب للنساء أو اختلاء رجل بامرأة ليست بذات محرم [٨] كما كان يشرف على نظافة الأسواق والطرقات والماء الذى يحمله السقاءون ومراعاة الرفق بالحيوان، ومنع معلمى الصبيان من ضربهم ضرباً مبرحاً وتحذير " معلمى العوم " من التغرير بأولاد الناس، بالإضافة إلى مراقبة المكاييل والموازين وضبط عيارها منعا للغش [٩].

---

(١) خطط. ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧١.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٨٣.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٥٥.

(٥) راجع : صبح، ج ١٠، ص ٣٥١، ٣٥٢ (سجل تولية والى مصر فى العصر الفاطمى).

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٤٣.

(٧) راجع التفاصيل فى الفصل الخاص بالطعام والشراب.

(٨) صبح، ج ١٠، ص ٣٥٢.

(٩) راجع التفاصيل، خطط. ج ١، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

وكالة بيت المال :

وكانت من الوظائف الدينية التي تسند لذوى الهيبة من الشهود العدول، وكان ينوب عن الخليفة في التصرف في أملاكه بالبيع والشراء وعتق العبيد وتزويج الاماء، وإنشاء ما يرى إنشاءه من المباني أو المراكب [١] ويمكن أن يطلق عليه وكيل أعمال الخليفة.

النائب :

والمراد به نائب صاحب الباب وكانت تعرف بالنيابة الشريفة ويتولى تلك الوظيفة أعيان العدول وأرباب الأقلام ومهمة صاحبها النيابة عن صاحب الباب في استقبال الرسل القادمين على الخليفة ويعمل على راحتهم ويمنع أحد من الاتصال بهم ويصاحب الرسول مع صاحب الباب لاستقبال الخليفة أو الوزير[٢].

ومن أرباب الوظائف الدينية أيضاً قراء الحضرة، الذين يقرأون القرآن في مجلس الخليفة وفي المناسبات والمواسم والأعياد، وكانوا يتقاضون عن هذه الوظيفة مرتبا يتراوح بين عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير للفرد [٣].

وكانت الدولة الفاطمية تخصص لكل جامع خطيباً وإماماً واثنين من المؤذنين [٤] وكان خطيب الجامع يتقاضى مرتباً يتراوح بين عشرين وعشرة دنانير في الشهر [٥] وكانت أسماء الفقهاء والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر تثبت في كشوف تحدد فيها مرتباتهم ويعتمدها الخليفة، وبلغت مجموع

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٨٣، ٤٨٤.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٤٨٤.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٨٨.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٠١.

مرتباتهم في عام ٤٠٦ هـ/ ١٠١٦م ما يزيد على واحد وسبعين ألفا وسبعمائة دينار [(١)].

وبإلقاء نظرة عامة على طبقة الخاصة وأتباعها وأرباب الوظائف في الدولة الفاطمية نلاحظ ما يأتي :

أن هذه الطبقة في معظمها كانت تتخذ من مدينة القاهرة مقراً لها، فالقاهرة في العصر الفاطمي كانت " منزل سكنى الخليفة وحرمه وجنده وخواصه " [(٢)] و " أهل القاهرة أكثرهم الجند وأهل الدولة وأتباعهم " [(٣)]، فالقاهرة كانت مدينة الخاصة، والفسطاط وملحقاتها كانت مدينة العامة، وكان معظم موظفي الدولة يقطنون القاهرة حيث مقر وظائفهم، وكان بعضهم يقطن القصر الخلافي وخاصة الخدم والحاشية. وكان الخلفاء يهتمون بسكنى الحاشية وأرباب الوظائف، ومثال ذلك ما قام به الخليفة الآمر الذى أصدر أوامره بإخلاء الدور المطلة على شاطئ الخليج جنوب منظرة اللؤلؤة من مستأجريها ليسكن بها حواشي الخليفة [(٤)].

كما نلاحظ أن سياسة الفاطميين الداخلية كانت تقوم على إغراق رعاياهم بجودهم وبذخهم، وخاصة حاشيتهم وأرباب الوظائف في دولتهم، بهدف كسب قلوبهم والاحتفاظ بولائهم، فالخليفة العزيز يصرح بقوله ".. أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١١٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٤.

(٣) اتعاظ، ج ١، ص ٢٩٩.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٨.

الذهب والفضة والجواهر، ولهم الخيل واللباس والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كله من عندى"[١].

وعندما عوض عليه العزيز بعض وجوه الإنفاق فى الدولة لاعتمادها، وكانت تحتوى على نفقاته الخاصة بمطابخه وموائده، فحذف ذلك ولعن من عمله وقال :

" أشبع أنا ويجوع الناس، أطلقوا أرزاق الناس " [٢].

والواقع أن هذا السخاء، والرغبة في سد حاجة الرعية، كان فى معظمه من نصيب موظفى الدولة وأصحاب الرواتب والرسوم المقررة، ولم يكن يصيب العامة من كرم الدولة وبذخها إلا النذر اليسير الذى قد يحصلون عليه فى مناسبات الأعياد والمواسم المختلفة، وهى أمور متغيرة ليست لها صفة الدوام.

وبمراجعة مرتبات موظفى الدولة وأرباب الرتب فيها، نجد على قمة الوظائف الوزير بمرتب قدره خمسة آلاف دينار فى الشهر، ثم تتدرج الرواتب حتى تصل إلى خمسة دنانير مرتب الرشاشين داخل القصر وخارجه [٣]، وكانت هذه الرواتب لا تقتصر على الموظف، بل تمتد لتشمل أفراد أسرته وحاشيته

---

(١) خطط، ج ص، ص ٢٨٤، وكانت الدولة الفاطمية تسير على نفس السياسة تجاه رعاياها فى المغرب، فالخليفة المعز كان يسوؤه أن يرى أحد رعاياه فى فاقة، ويريد للجميع أن ".. يكونوا أغنياء تظهر نعمة الله عليهم " وكان يحث عماله أن يأخذوا من أموال الأغنياء ما يسد حاجة الفقراء ويحسنوا إلى الرعية، ويأمرهم بتوخى العدل والانصاف وحسن السيرة فى الرعية والرفق والإحسان إليها " (راجع : النعمان : المجالس، والمسايرات، تونس ١٩٧٨، ص ٥٥٩).

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧٧.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٥٢٢.

فالوزير إذا كان له ولد أو أخ كان يحصل على راتب من الدولة يتراوح بين ثلاثمائة إلى مائتي دينار، وحاشيته أيضاً تتراوح رواتب الفرد منها بين خمسمائة إلى ثلثمائة دينار [(١)] ولم يكن هذا قاصرا على الوزير فقط، بل كان يشمل جميع موظفي الدولة والخدم والحاشية فيذكر صاحب الدول المنقطعة أن الخليفة العزيز " هو أول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم وبناتهم ونسائهم وكساويهم " [(٢)]. كما عرفت الدولة الفاطمية نظام المعاش لورثة من يموت من أرباب الوظائف، فيذكر القلقشندى " ويراعون من يموت في خدمتهم من عقبه، وان كان له مرتب نقلوه إلى ذريته من رجال أو نساء " [(٣)].

بالإضافة إلى هذه الرواتب المستقرة، فإن الدولة كانت تتكفل بجميع مطالب موظفيها وخدمها بلا استثناء فتسد جميع احتياجاتهم من الغذاء والكساء والعلاج والركوب بحيث لا يحتاج الواحد منهم فى مرتبة إلا النذر اليسير، بل إن فائض ما يغدق عليهم فى المناسبات يجعل البعض منهم يدخر ثروة كبيرة على مر السنين.

فكانت الدولة تعرف من خزانة الطعم الخاصة بقصر الخليفة لموظفيها حاجتهم من الطعام[(٤)]، كما كانت تصرف من المخازن التابعة للدولة حاجة أرباب الوظائف من الغلال بالإضافة إلى أرباب الصدقات وجرايات العبيد السودان [(٥)].

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٢١، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٠.

(٢) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣، خطط، ج ١، ص ٤٠٢.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٥٢٠، ويبدو أن هذا التقليد كان متبعاً فى المغرب قبل انتقال الفاطميين إلى مصر، فيذكر النعمان أن المعز كان " يسبغ على أوليائه وعبيده الصلات والأرزاق.. على نسائهم وأبنائهم، ومن استشهد منهم أو مات أبقى ما كان يجرى عيه لمخلفيه " (راجع : المجالس، ص ٥٣١، ٥٣٢).

(٤) صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، وراجع أيضاً، خطط، ج ١، ص ٤٠٩، ص ٤٢٢.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٦٥.

أما الملابس، فإنه منذ قدوم المعز إلى مصر أنشأ دار الكسوة، وكانت تخرج منها جميع أنواع الثبات إلى جميع أرباب الوظائف في الدولة من فاخر الملبوس في الصيف والشتاء وبمناسبة عيد الفطر[١] وغيرها من المناسبات.

بالإضافة إلى ما ذكرنا فقد كانت الدولة توفر الدواب التي يستخدمها الموظفون في تنقلاتهم وتصرف لهم حاجتها من العلف والطعام [٢] وكانت الدولة أيضاً تتكفل بعلاج تلك الطبقة، حتى أكفان من يموت منهم كانت تمنح لهم من خزائن الدولة [٣].

ويروى المقريزى تفاصيل مدهشة لما يحصل عليه أحد كتاب الدواوين من الرواتب والهبات والرسوم المقررة له من الطعام والشراب والمركوب، وما يحصل عليه في المواسم والأعياد من المنح والكساوى هو وزوجته وأولاده [٤] ويعلق المقريزى على ذلك قائلا :

" فانظر أعزك الله إلى سعة أحوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها، يتبين لك من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلاً على باقي أحوال الدولة " [٥].

---

(١) راجع تفاصيل ما يوزع من دار الكسوة في الفصل الخاص بالملابس في العصر الفاطمي.

(٢) راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣، ٧٨.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٩٨.

(٤) راجع التفاصيل، خطط، ج ١، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٥) نفسه، ص ٤٠٠.

الفصل الثاني

طبقة العامة

أولاً : التجار.

ثانياً : أصحاب الصناعات والحرف.

ثالثاً : العامة.

رابعاً : العبيد.



مدخل :

يمثل العامة أغلبية سكان مصر في العصر الفاطمي وغيره من عصور مصر الإسلامية ويمكن تحديدهم بأنهم أصحاب الأعمال الحرة على اختلاف أنواعها الذين لا ينخرطون في سلك أرباب الوظائف في الدولة وليس لهم دخل اقتصادى ثابت يحصلون عليه من نتاج أعمالهم، وكانت الفسطاط تزدحم بالعامة فعكس القاهرة، وقد تعجب المقدسي من كثرة أعداد المصلين الذين يحتشدون عند صلاة الجمعة في جامع عمرو بن العاص الذى يقدر عددهم بعشرة آلاف، ولم يصدق هذا العدد إلا عندما حضر بنفسه الصلاة في جامع عمرو [١].

ولما كانت الفسطاط هى المقر الرئيسى للعامة ومركز سكانهم، وكان من الضرورى القاء الضوء على دورها وبيوتها في العصر الفاطمى :

يستفاد من أقوال المؤرخين والرحالة الذين زاروا مصر في العصر الفاطمى أن مدينة الفسطاط كانت مكتظة بمبانيها المرتفعة التى تزيد كثيراً في ارتفاعها عن منازل القاهرة [٢] ويبدو أن ذلك راجع إلى ازحامها بالسكان أو ضيق مساحة الأراضى الصالحة للبناء، ويذكر لنا ناصر خسرو أن عدد طبقات المنازل كانت تتراوح ما بين سبعة أدوار وخمسة أدوار [٣] وكان الناس في معظم الأحيان يعزفون عن الاقامة في الأدوار السفلى [٤] وكان غالباً ما يقطنها أدنى طبقات العامة من الفقهاء [٥].

---

(١) راجع : المقدسى، أحسن التفاسيم، ص ١٩٨.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٦٥.

(٣) سفرنامه، ص ٥٩، خطط، ج ١، ص ٣٤١.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٤١.

(٥) نفسه، ص ٣٣٧.

ونلاحظ أن ناصر خسرون يبالغ في ذكر طبقات بعض بيوت الفسطاط التي يقرر أنها مكونة من أربع عشرة طبقة [١] ولكن من المحتمل أن شدة الزحام قد ألجأت بعض ملاك المباني إلى مثل ذلك. حتى أنه كان يسكن في الدار الواحدة مائتا فرد [٢] وكان يستخدم سكان بعضها من الماء في اليوم الواحد ما يقدر بأربعمائة راوية ماء [٣].

وكانت المنازل من الخارج متشابهة بشكل عام من حيث الشكل والبناء وكان يستخدم في بنائها غالباً الحجر والآجر، وكان تخطيطها الداخلي يعتمد على المحافظة على الحرمات وتحتوى على أشكال بسيطة من البناء حيثي الفناء في الوسط وحوله الحجرات والقاعات، مما يوصى بأن الدور بأكمله كان يعتبر وحدة سكنية مستقلة، مع الاهتمام بتزيين الفناء بالفسقية وأحواض الزرع [٤].

وكان الناس يهتمون بتأثيث دورهم ولا شك أن هذا التأثيث كان يختلف باختلاف الحالة الاجتماعية والاقتصادية، ونلاحظ من أقوال ناصر خسرو اهتمام الناس في العصر الفاطمى بمصر تزيين دورهم بالورد وزرع الحذائق على أسطح المنازل [٥] بالإضافة إلى الاهتمام بتوصيل المياه إلى أنحاء الدار عن طريق قنوات من الفخار واشتمال الدار على المرافق الصحية الضرورية [٦].

---

(١) سفرنامه، ص ٥٨.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٤١.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٣١.

(٤) راجع : جمال محرز، منازل الفساط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط، مقال في كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٥) سفرنامه، ص ٥٨.

(٦) جمال محرز، نفسه، ص ٣٩٩.

وكانت معظم طرقات الفسطاط ضيقة حتى أنه كان من الصعب على جمال السقائين أن تخترقها فكان الماء يصل إليها عن طريق حمله في جرار النحاس أو القرب [١] ونتيجة لذلك كانت الشمس لا تصل إلى الطرقات ويضطر الناس إلى إضاءة القناديل أمام حوانيتهم ودورهم نهاراً للاضاءة[٢].

ومن الإشارات القليلة التي وصلتنا يمكن القول بأن منازل الفسطاط كانت أكثر ارتفاعاً من منازل القاهرة، وإن كانت القاهرة أكثر نظافة في شوارعها ومرافقها من مدينة الفسطاط [٣] وهذا يبدو منطقياً كنتيجة لازدحام الفسطاط بالعامة وقلة المستوى الاقتصادى بين أهلها عن أهل القاهرة، كما نلاحظ أنه لم يكن مسموحاً في القاهرة بامتلاك العقارات إلا لطبقة الخاصة فقط، فيروى ناصر خسرو أن في القاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك للخليفة وكانت تؤجر للراغبين بإيجار يتراوح بين عشرة دنانير ودينارين [٤] ومع التغاضي عن المبالغة الواضحة في هذا العدد الضخم إلا أنه يوضح أن تجار الفسطاط وأرباب الحرف الذين كانوا يقضون نهارهم في القاهرة لممارسة نشاطهم ومعايشهم لم يكن يحق لهم امتلاك العقارات.

ويذكر ناصر خسرو ذلك بوضوح في قوله : " إذ ليس لأحد أن يملك عقاراً أو بيتاً غير المنازل وما يكون قد بناه لنفسه " [٥] وأعتقد أن هذا الأمر الأخير كان قاصراً على طبقة الخاصة من أهل القاهرة.

---

(١) سفرنامه، ص ٥٩.

(٢) سفرنامه، ص ٥٨.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٦٥.

(٤) سفرنامه، ص ٤٨.

(٥) سفرنامه، نفسه.

وكانت الدولة تبني المنازل في القاهرة والفسطاط وتؤجرها لمن يرغب في ذلك وقد بلغ عدد البيوت التي يملكها الخليفة لهذا الغرض زمن ناصر خسرو ثمانية آلاف [١] وكانت بيوت الفسطاط بوجه عام تتسم بالنظافة وحسن البناء، وكان يشترط عدم تلاصق الدور حتى يمكن إجراء الهدم والإصلاح دون مضايقة الجار [٢]، وكان المحتسب يراقب مثل تلك الأمور، وخاصة ما يتعلق منها بالمرافق الصحية وما يخرج من الدور من الفضلات للمحافظة على الصحة العامة ومنع الأضرار بالمارة في الطرقات وأصحاب الحوانيت [٣].

ورغم أن العامة كانوا يمثلون أغلبية السكان في المجتمع، ويعدون العنصر المنتج بين طبقاته " الذين بهم قوام العيش في الأيام " [٤] إلا أنهم كانوا في أغلب الأحيان مغلوبين على أمرهم، خاضعين لسلطة مسيطرة تملك بيدها كل أمور السياسة والاقتصاد، وتتحكم في توجيهها وفق مصالحها الخاصة، ولكن هذا لم يمنع العامة من التعبير عن آرائهم أحياناً في صورة شكاوى عنيفة أو سخرية لاذعة من حكامهم.

وكانت السجلات الرسمية الصادرة عن الدولة الفاطمية إلى الولاة تحثهم على المساواة بين جميع فئات المجتمع، وتطالبهم أن يتوخوا " المساواة بين الناس فيما هو محكم، ولا تجعل بين الغني والفقير في الحق فرقا " [٥] وتحث على

---

(١) سفرنامه، نفسه.

(٢) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٥٠.

(٣) راجع : الشيزري، نهاية الرتبة، ص ١٤.

(٤) صبح، ج ١، ص ٣٥١، (من سجل تعيين والى الفسطاط فى العصر الفاطمى) ويمكن تقدير عدد سكان الفسطاط بأكثر من ضعف سكان القاهرة، وذلك بمقارنة استهلاك القمح، في المدينتين زمن الخليفة المستنصر (راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٢٦٦).

(٥) صبح، ج١٠، ص٣٥٠، ص٣٥١ (من سجل تعيين والى الفسطاط فى العصر الفاطمى).

المساواة في الحق، بين طبقات الناس، ولا تميز فيه رفيعا على حقير، ولا غنيا على فقير " (١) ولكن رغم ذلك فإن هذه المساواة كانت معدومة في معظم الأحيان، ومن الصعب تطبيقها في مجتمع يعتمد على الثروة والقوة والنفوذ في تحديد المكانة الاجتماعية لأفراده.

ونلاحظ أن المؤرخين وكتاب النظم وغيرهم قد أغفلوا ذكر طبقات العامة، وحياتهم الاجتماعية ونشاطهم، ومن إشار منهم إلى هذا الأمر نجده يتكلم عنهم بازدراء، فيذكر الدمشقي في معرض تقسيمه للوظائف ومكانة أصحابها الاجتماعية أن " الرياسة التي تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم : فأما رياسة السيف فللملوك والأمراء والحجاب وقواد العساكر، وأما رياسة القلم فللوزراء (٢) والكتاب والقضاة والخطباء ومن يجرى مجراهم، وأصحاب السيوف هم الحماة وأصحاب الأقلام هم الكفاءة، وكل صناعة غير هاتين فليس ذكر صاحبها بعز " (٣) ويضع الصنائع اليدوية في أدنى الطبقات بين الناس (٤).

---

(١) صبح، ج ١٠، ص ٣٣٦ (من سجل تعيين والى الفسطاط في العصر الفاطمي.

(٢) يلاحظ أنه يقصر حديثه عن الوزراء من أرباب الأقلام، ويغفل أنهم كانوا أحياناً من أرباب السيوف خاصة في العصر الفاطمي الثاني (راجع ما سبق ذكره عن طبقة الوزراء في الفصل الأول).

(٣) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، القاهرة، ١٣١٨ هـ ص ٤٢ - وهذا الرأى يؤكده الخليفة الفاطمي المعز، فعندما افتخر عليه الخليفة الناصر الأموى بصناعة الملابس الراقية في الأندلس، رد عليه المعز بسخرية قائلا ان " الحاكة وأهل الصنائع إذا كانوا أغلب على أهل بلد نقضوا بهم " (راجع : النعمان، المجالس والمسايرات، ص ١٨٠، ١٨١).

(٤) الدمشقي، الإشارة، ص ٤٣.

ويمكن أن نميز بين طبقة العامة والفئات التالية :

أولاً : التجار :

كانت التجارة من المهن التى حظيت باحترام المجتمع الإسلامى على مر العصور فكانت تعد من المهن التى " إذا ميزت من جميع المعايش كلها وجدتها أفضل وأسعد للناس فى الدنيا، والتاجر موسع عليه وله مرؤة " [١].

وكانت ممارسة التجارة على جميع مستوياتها من أهم الأنشطة التى يباشرها العامة وكان لوجوه التجار مكانة اجتماعية مميزة فى العصر الفاطمى، فكانوا يحضرون الاستقبالات الرسمية للخلفاء ومناسبات التهيئة بالأعياد ضمن كبار رجال الدولة من أرباب الوظائف والأشراف وعلية القوم [٢]، كما كانوا يتعاملون تجارياً مع الخلفاء وكبار الأمراء ورجال الدولة، فيعرضون عليهم بضائعهم ويلبون طلباتهم الخاصة [٣] وقد حظى كبار التجار باحترام وتقدير الخلفاء وكبار رجال الدولة، ونالت لهم كلمة مسموعة لديهم، وكانوا يتقبلون منهم الهدايا والطرائف الثمينة [٤].

وكان التجار يمارسون أعمالهم فى حرية كاملة فى ظل الأمن والاستقرار الذى نعمت به الدولة الفاطمية خاصة خلال العصر الفاطمى الأول حيث " بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر، ولم يكن

---

(١) الدمشقى، الإشارة، ص ٤٧ – مع ملاحظة رأيه السابق فى أرباب الوظائف وأصحاب الصنائع اليدوية.

(٢) راجع أمثلة على ذلك فى : اتعاظ، ج ١، ص ١١٠، ص ١٣٣.

(٣) الأنبا ميخائيل، مخطوط سير البيعة المقدسة، لوحة ٤١.

(٤) مخطوط سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٥٢.

احد يجرؤ على مد يده إلى شئ منها " [١] وفى ظل هذا الأمان والاستقرار أزدادت ثروات التجار دون خوف من مصادرة أو ظلم يحيق بهم، معتمدين على أن الخليفة " لا يظلم أحدا ولا يطمع فى مال أحد " [٢]، وحتى فى الأزمات الشديدة والمجاعات فلم يكن من السهل على الدولة مصادرة أموال التجار، فعندما حدثت مجاعة شديدة سنة ٤١٥ هـ ونـدرت الأقوات، واضطربت أحوال الناس " وتحدثت زعماء الدولة فى مصادرة التجار، فاختلف بعضهم على بعض" [٣] ولم تهتم هذه المصادرة رغم هذه الظروف.

ويروى صاحب سيرة البيعة المقدسة حادثة فى غاية الأهمية، توضح مدى ما كان يتمتع به التجار من أمان فى عصر الدولة الفاطمية، وأيضاً ما كان للقضاء فى ذلك الوقت من حرمة واحترام، فالمعروف أن الخليفة الحاكم قد أصدر عدة قرارات تتعلق بمنع صنع الخمور واتلاف العنب وكسر جرار العسل حتى لا تستخدم فى صناعة الخمور " وأن أحد التجار خسر جملة مال ثمن عسل وزبيب، وأنه حاكم مولانا الحاكم عند قاضى القضاة ابن النعمان وقال له : أنه وصل إلى مصر ببضاعة وهى زبيب وعسل للأكل وعمل الحلاوة وأنها أحرقت وكسرت ورميت فى البحر، فساواهما القاضى فىالجلوس فى المحاكمة فالتمس التاجر من الحاكم ماله وقيمة ثمن البضاعة ألف دينار " والطريف أن الحاكم قد رد للتاجر ثمن بضاعته بعد أن أقسم على صدق قوله [٤].

وكان التجار من جانبهم غالباً ما يلتزمون جانب الأمانة والصدق فى معاملاتهم وإذا غش أحدهم فإنه كان يعاقب بالتشهير، فيوضع على جمل،

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٦٤.

(٢) سفرنامة، ص ٦٢.

(٣) راجع : خطط، ج ١، ص ٣٥٤

(٤) راجع : سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٥٤، ٥٥.

ويعطى جرساً في يده، ويطوف به في الأسواق وهو يدق الجرس، ويعلن عن غشه بين الناس (١) حتى يكون هذا رادعاً لغيره.

وكانت الحروب والقلاقل تضر بمصالح التجار، وتوقف نشاطهم خاصة فى مجال التجارة الخارجية (٢). ونلاحظ أنه في الوقت الذى كانت فيه الدولة تعانى من وطأة المجاعة خلال الشدة العظمى فى عهد الخليفة المستنصر، فإن تجار الأقاليم كانوا فى حالة من اليسر وسعة المال حتى أنهم أقرضوا بدر الجمالى حاجته من المال والغلال وهو فى طريقه من عكا إلى القاهرة، فعندما نزل تنيس ودمياط اقترض المال من تجارها ومياسيرها وقاموا بأمر ضيافته وما يحتاجه من الغلال (٣).

وكان بعض التجار يستغلون فترات المجاعات وندرة الغلات فيخفون ما لديهم من بضائع بهدف رفع أسعارها وزيادة أرباحهم (٤) ولكن الخلفاء كانوا يتخذون مواقف إيجابية فيكبسون مخازن القمح ويصادرون ما بها وتوزع على الأسواق. وقد واجه القائد جوهر مشكلة المجاعة عند دخوله مصر سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٨م فضرب جماعة من الطحانين وشهر بهم وجمع سماسرة الغلات وأمر ألا تباع الغلة إلا فى مكان واحد وتحت إشراف المحتسب (٥) كما كانت الدولة الفاطمية تعمل على التخفيف عن العامة أثناء المجاعات، وكانت تصدر تسعيرا جبريا للمواد الضرورية فى حالة الأزمات الاقتصادية، فعندما حدثت مجاعة فى عهد الحاكم سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦م، صادر الغلال وأمر ببيع القمح والشعير

---

(١) سفرنامة، ص ٦١.

(٢) راجع : اتعاظ، ج ٣، ص ٤٦.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٣.

(٤) راجع : مخطوط درر التيجان، ورقة ٧١، (تأليف أبى بكر الداودارى، مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية ٣٨٢٨).

(٥) المقريزى، 'غاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق زيادة والشيال، القاهرة، ١٩٥٧،ص١٢ –١٤.

وسائر الحبوب بتسعير حدده لذلك [1] وعندما اشتد الغلاء في العام التالى واستغاث الناس بالخليفة الحاكم، هدد الحاكم التجار الذين يخفون الغلات بأن كل من عنده غلة يخفيها سيكون جزاؤه القتل وحرق داره ومصادرة أمواله فاضطر التجار إلي إخراج ما عندهم من غلة، وخير الحاكم التجار في البيع بالسعر الذى يحدده لهم، وبين أن يمتنعوا فيختم على غلاتهم أى يقوم بالحجز عليها حجزاً مؤقتاً، ولا يمكنهم بيع شئ منها إلى حين دخول الغلة الجديدة، فاستجابوا لأوامره [2].

وهذا الموقف يوضح أنه رغم استغلال التجار لظروف الأزمات لرفع الأسعار إلا أن الدولة لم تكن تصادر أموالهم وتجارتهم، بل تترك لهم حرية الاختيار بين اليوم بالسعر الرسمى أو ترك غلاتهم لحين ظهور المحصول الجديد وانحلال السعر. كما كانت الدولة تضطر في بعض الظروف إلى شراء الغلات من التجار بالأسعار المحددة بعد أن تمنحهم نسبة من الربح، وتخزن في المخازن التابعة للدولة ثم توزع على الخبازين مباشرة [3] حتى تمنع ارتفاع أسعار القوت الأساسى للعامة، لكن في بعض الأحيان كانت تضطر للجوء إلى مهاجمة مخازن المختزنين وتفرق ما فيها من غلال على الطحانين بالسعر المحدد.

---

(١) المقريزى، إغاثة، ص ١٦ - وكان من حق المحتسب منع احتكار المواد الغذائية دون سائر البضائع، والزام التجار ببيعها اجبارا (راجع : الشيرزى، نهاية الرتبة، تحقيق الباز العرينى، القاهرة، ١٩٤٦، ص ١٢).

(٢) المقريزى، اغاثة، ص ٢٨.

(٣) راجع : يحيى بن سعيد الاقطاكى، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، ١٩٠٤، ص ١٩١، اتعاظ، ج ٢، ص ٢٦٦.

وكان التجار يتميزون بلبس الثياب الواسعة والعمائم المدورة ويضعون على أكتافهم الطيالس الطويلة (١) وكانوا يستخدمون في تنقلاتهم الحمر ذات السروج الغالية الثمن (٢) وكان للتجار نقيب أو وكيل (٣) يقوم بالإشراف على أمورهم ويتحدث بلسانهم لدى كبار رجال الدولة عند الضرورة.

ثانياً : أصحاب الصناعات والحرف :

كانت المدن المصرية في العصر الفاطمي مركزاً مهماً للصناعات المختلفة والحرف المتعددة التي يعمل بها أعداد كبيرة من العامة، بالإضافة إلى صغار الباعة وأصحاب الحوانيت في الأسواق التي انتشرت في البلاد في ذلك الوقت لبيع جميع أنواع السلع، وكانت الظاهرة الواضحة أن يتخصص كل سوق غالبا بصناعة نوع معين من الصناعات أو يشتهر بسلعة محددة أو بيع نوع من الطعام(٤) وكانت تلك الأسواق في حركة ونشاط يقبل عليها الناس على اختلاف طبقاتهم لشراء حاجتهم، والطريف أن الأسواق في العصر الفاطمي

---

(١) الطيالس جمع طيلسان وهو الطرحة، وكان الزى الرسمي للقضاة (راجع المقريزى، اغاثة. ص ٢٦، خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

Dozy: Dictionnaire detaille nome des vetements chez les Arabe, Amesterdam, 1845, P. 279.

(٢) راجع : ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٦١، ٦٢ حيث يروى أن أهل الأسواق وأصحاب الحوانيت من التجار كانوا يستخدمون من الحمر المسرجة في تنقلاتهم، ولا يركب الخيل إلا الجند والعلماء، ولا يركبها التجار أو القرويون أو أصحاب الحرف.

(٣) خطط. ج ٢. ص ٤٥٥.

(٤) راجع تفاصيل ذلك.. خطط. ج ١. ص ٢٧٣ - ٢٧٥. ج ٢، ص ٩٦ - ١٠٥.

كان بها حوانيت يقيم بها بعض الأطباء ومجبرى العظام لاسعاف المترددين على الأسواق عند الضرورة (١).

وكانت تقام لأرباب الحرف المختلفة تجمعات كبيرة فى العصر الفاطمى. فيروى ناصر خسرو أنه شاهد فى الفسطاط رباطاً ضخماً فى الدور الأسفل فيه يجلس الخياطون، وفى الأعلى الرفاءون، وأنه أحصى فى هذه المدينة مائتى بناء تؤدى نفس الغرض (٢).

كما يذكر أن سوق القناديل الواقع بالقرب من جامع عمرو كان يحوى طوائف الصناع المهرة فى صناعة أنواع البلور الراقى والتحف العاجية من أنياب الفيل، والإسكافية الذين يصنعون النعال الراقية من جلد البقر المستورد من الحبشة (٣).

وكان لكل طائفة من الصناع وأرباب الحرف عريف يتولى أمورهم (٤) ويشترط فيه أن يكون على دراية بأمور الصناعة أو الحرفة التى يشرف عليها ومشهوداً له بالثقة والأمانة وكان العريف بمثابة عين للمحتسب يطلعه على أخبار أهل صنعته، ويدله على مواطن الغش والتدليس التى قد يلجأ إليها البعض لغش الصنعة أو السلعة أو ما يصنع من أصناف الأطعمة فى أسواق الطباخين(٥).

وكانت الدولة تستخدم أحياناً الأجراء من أرباب الحرف من غير موظفيها، وفى هذه الحالة كان يحصل العامل على أجر مقابل ما أداه من عمل،

---

(١) خطط، ج ٢، ص ١٠٠.

(٢) سفرنامة، ص ٦٣.

(٣) راجع : سفرنامة، ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٥) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ١٢.

وكانت الدولة الفاطمية تحارب تسخير العمال وتنهى رجالها عن ذلك [١]. ونحن لا نملك معلومات كافية عن الأجر الذى كان يتقاضاه العامل فى ذلك الوقت أو عن مكاسب أصحاب الحرف المختلفة، ولكن من البديهى أن العمال كانت أجورهم تتفاوت تبعا لنوع العمل الذى يؤدونه ومدى دقته وأهميته، وكان هناك أصحاب أعمال يديرون حوانيتهم بأنفسهم، وقد يعمل عندهم بعض الأجراء وأصحاب الأعمال كان دخلهم أكثر من غيرهم.

وفى بردية ترجع إلى القرن الرابع الهجرى نجد أن أحد العمال يتقاضى أجراً عن عمله مقداره ديناراً فى الشهر [٢] وتغفل البردية تحديد نوع العمل الذى أسند إلى هذا العامل، ويؤكد ما ذكرته البردية، أن أحد شعراء الإسكندرية فى العصر الفاطمى [٣] يذكر أبياتا يتعجب فيها من حال عامل

---

(١) يروى المقريزى : أنه رفعت ظلامة إلى الوزير المأمون سنة ٥١٧ هـ مفادها أن واليى القاهرة ومصر يأمران السقاءين من أصحاب الجمال والدواب برش ما بين المدينتين فى طريق موكب الخليفة فى اليومين اللذين يركب فيهما الخليفة كل أسبوع، وأن الواليين يسخران السقاءين لهذا العمل، ولا يمنحانهما ما يستحقونه من أجر، فأصدر المأمون أوامره ببطلان ذلك، وأن يصرف للسقاءين أجورهم عن هذا العمل. (راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٠، ١٠١).

(٢) راجع : أدولف جروهمان، أوراق البردى العربية، ج ٥، ترجمة عبد الحميد حسن، القاهرة، ١٩٦٨، لوحة ٢٢، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣) ذكر العماد أن هذا الشاعر اسمه ابن عبد الودود، ولم يترجم له، ولكنه ذكر أنه كان صديقا للشاعر أبو طاهر اسماعيل المعروف بابن مكنسه وابن مكنسه هذا توفى سنة ٥١٠ هـ، مما يؤكد معاصرة الشاعر للعصر الفاطمى. (راجع : العماد الأصفهانى. جريدة القصر، قسم شعراء مصر، القاهرة، ١٩٥١، ج ٢. ص ٢٠٣).

دخله دينار واحد فكيف يمكنه العيش بهذا الرزق الضئيل بالقياس إلى رزقه الذى يتراوح بين سبعين وثمانين ديناراً ولا يكفيه [١].

وأحياناً كان يقدم للعامل وجبة الغذاء كجزء من الأجر، وخاصة إذا كانت طبيعة عمله فى داخل الدور مثل البنائين والفعلة وغيرهما، والطريف أن الطعام كان يقدم فى هذه الحالة حسب مكانة العامل الفنية، فالبناء كان يقدم له طعاماً ثمنه ضعف ثمن الطعام المقدم للفاعل [٢].

ثالثاً : العامة : حياتهم وعلاقتهم بالدولة :

حرصت الدولة الفاطمية قدر استطاعتها على إرضاء رعاياها فى مصر وجذب أفئدتهم وعقولهم لتأييدها ونشر مذهبها الشيعى بين جمهور الناس الذين كانوا فى معظمهم من أهل السنة [٣] وكان لهم فى ذلك وسائل متعددة لعل أهمها إشباع بطون الناس حتى تكسب قلوبهم، ونرى بوادر هذه السياسة منذ اليوم الأول لدخول جوهر الصقلى إلى مصر على رأس جيوش الفاطميين، وكانت البلاد تعانى من الغلاء وندرة الأقوات، فنادى أعوانه فى مصر أن من عنده قمح فليخرجه، وأنفذ قاضى العسكر ومعه أحمال المال إلى دار الشريف

---

(١) الأبيات هى :

أنا رزقى سبعون بل وثمانو ... ن وما تلحق البقول الحلول

كل هذا وكل رزقك دينا ... ر وفى مثل ذا تحار العقول

(راجع : خريدة القصر، ج ٢، ص ٥٤).

(٢) راجع : أوراق البردى، ج ٦، ترجمة عبد العزيز الدالى، القاهرة، ١٩٧٤.

(٣) راجع : صبح، ج ٣، ص ٥٢٠.

أبو جعفر مسلم ونودى على الناس بأنه مـن أراد الصدقـة فليتوجـه إلى دار أبـو جعفر فاحتشد جمع كبير من الفقراء والمحتاجين وزعت عليهم الأموال [١].

وكان الخلفاء يغدقون بسخاء على الفقراء والمحتاجين وخاصة فى المواسـم والأعياد وأثناء خروجهم فى المواكب الكبـيرة أو المختصرة. وكـان من عـادة الخلفاء عند ركوبهم للنزهة فى ضواحى القاهرة يومى السبت والثلاثاء من كـل أسبوع، توزيـع الصدقـات والهبات علـى طـول الطريـق التـى يسـلكونها علـى المساجد وقراء القرآن والفقـراء والمحتـاجين الذيـن يقفـون فـى طريـق الموكـب، وكان لذلك رسوم مقـررة مـن الأمـوال تخرج مـع الموكـب، فيحمـل " متـولى صناديق الإنفاق " حقيبة بها خمسـمائة دينـار لتكـون رهـن تصـرف الخليفـة إذا رغب فى الأنعام أو التصدق على أحد [٢].

والواقع أن سياسة العطف على العامـة ومنحهـم الهبـات والصدقـات فـى المناسبات لم تكن حلاً لمشاكلهم اليومية، ورغم ثراء الدولة العريض فـإن العامـة كانوا يعيشون عيشة الكفاف ولا يستطيعون سد حـاجتهم الضروريـة، ويـروى المسبحى أن رجلاً سرق قنديلاً من الفضة مـن جـامع عمـرو بـن العـاص، فرفـع القاضى الأمر إلى الخليفة الحاكم، فقال الحاكم للرجل : " ويلك، سـرقت فضـة الجامع فقال : إنما سرقت مال ربى، وإنى فقير ولى بنات جياع، والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا فى الجامع. فدمعت عيناه.. وأمر بإحضار بناتـه فحضـرن، فـأمر القـاضى أن يجهـزن بثلاثـة آلاف دينـار ويزوجهـن وأعـاد القنديـل إلى الجامع" [٣].

---

(١) راجع : مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٠، مخطوط زبـدة الفكـرة، لوحـة ٢٠٤ ب، المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ١١٤.

(٢) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٨١، ص ٤٨٤.

(٣) راجع : ذيل كتاب القضاة للكندى، نقلا عن المسبحى، ص ٦٠٧.

وهذه الرواية توضح حالة العامة اليائسة رغم ثراء الدولة واهتمامها بالمظاهر، وإن كانت من جهة أخرى تبرز عطف الخلفاء ورغبتهم فى سد احتياجات الناس، ولكن تلك العصور لم تكن تعرف وسائل منظمة لتحقيق هذا الهدف.

ولكننا نلاحظ أن صوت العامة كان يصل قوياً إلى كبار رجال الدولة، وإلى الخلفاء أنفسهم، فيعرضون مظالمهم ويطالبون بإصلاح أحوالهم، وكان الخلفاء من جهتهم يسهلون للناس طريق الشكوى حتى تصل إليهم دون عائق، فيروى المقريزى أنه بالقصر الكبير الذى يقطنه الخليفة موضع يعرف بالسقيفة، يقف عنده المتظلمون، وكان من عادة الخليفة الجلوس فى هذا المكان كل ليلة ليسمع شكاوى المتظلمين، فإذا ظلم أحد وقف تحت السقيفة وقال بصوت مرتفع : لا إله إلا الله محمد رسول الله، على ولى الله، فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره إليه أو يفوض أمره إلى الوزير أو القاضى أو الوالى [١].

وكان الخليفة العزيز قريباً من الناس [٢] يأخذ رقاع المتظلمين بيده فى المواكب ويقرأ بعضها أثناء الطريق [٣] بهدف حل مشاكل الناس والقضاء على متاعبهم، وكان الخليفة الحاكم أيضاً يسير بين الناس ويأخذ منهم بنفسه ما يقدمونه من أوراق فيها شكاواهم، بل كان يقف بين الأهالى ويسمع كلامهم ويحادثهم ويضاحكهم حتى أنه كان يترك موكبه لهذا الغرض [٤] وقد أصدر الحاكم أوامره بألا يمنع الناس فى بعض الأحيان من الدخول إليه فى القصر لتقديم شكاواهم لينظر فيها بنفسه[٥] وكانت شكاوى العامة بوجه عام تتركز على غلاء الأسعار ورداءة

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٥.

(٢) النويرى : نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٢٨٠.

(٤) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ١٤، ص ٩٦، ص ١٠٤.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٩.

الخبز الذي يباع في الأسواق وسواده، حتى أنهم رفعوا شكوى للحاكم ومعهم رغيف ليدللوا به على سوء صناعته ورداءة دقيقه[١]

وعندما يشتد الغلاء كانت صيحات الجماهير الجائعة تنطلق في وجه الخلفاء مطالبة بالخبز، وغالباً ما يتحرك الخلفاء ويطالبون المسئولين عن المواد التموينية وعلى رأسهم المحتسب بتلافي أسباب الشكوى، فعندما حدثت المجاعة سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤م في عهد الخليفة الظاهر، استدعى إليه المحتسب، وهدده وتوعده إذا لم يتلاف الأمر، فنزل المحتسب إلى الأسواق وهاجم مخازن القمح ووزع ما وجده منه على المطاحن [٢].

وكانت شكوى العامة أحياناً تأخذ طابعاً من النقد العنيف الذي يصل إلى حد توجيه السب إلى الخلفاء وذلك عندما تضيق بهم السبل وتشتد وطأة الظلم، ومن أمثلة ذلك ما حدث في عهد الخليفة العزيز با لله الذي أطلق يد النصارى في حكم البلاد فطغوا وتكبروا وأساءوا معاملة المسلمين[٣]، فاندست امرأة بين الناس تحمل رقعة إلى العزيز أثناء مرور موكبه وكان مضمون الرقعة " يا أمير المؤمنين، بالذي أعز النصارى بعيسى ابن نسطورس واليهود بمنشا بن إبراهيم وأذل المسلمين بك، ألا نظرت في أمري " [٤] واستطاعت المرأة الهرب وسط الزحام بعد أن سلمت الخليفة الورقة، ولما اطلع الخليفة على فحوى الظلامة أمر بالقبض على عيسى ومنشا والكتاب من اليهود والنصارى، وأمر برد الدواوين والأعمال إلى المسلمين [٥].

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٤.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٦٤.

(٣) سنذكر التفاصيل في فصل أهل الذمة.

(٤) راجع : أبو شجاع (محمد بن الحسين)، ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٥، ١٨٦، أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، قارن، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

وإذا كان العزيز قد قابل هذا النقد العنيف بصدر رحـب، وأزال أسباب الشكوى، فإن الحاكم كان عنيفاً فى رده على مثل هذا الأمـر، " وكـان النـاس يدسون للحاكم الرقاع المختومـة التـى تحمـل بـين طياتهـا السـب لـه ولأسـلافه والدعاء عليه " [(١)] وبلغ بهم الأمر أن عملوا تمثالا لامـرأة مـن ورق وألبسـوها ملابس النساء، ونصبوها فى طريق الحاكم وبيدها رقعة كأنهـا شـكوى، فتقـدم الحاكم أثناء موكبه وأخذ الرقعة من يدها.فلما اطلع عليها وجد بها سـباً قبيحـاً فأمر رجاله بالقبض على المرأة، فاكتشفوا أنها تمثال من ورق، فعلم أن الناس قد سخروا منه، فغضب لذلك وأصدر أوامـره إلى العبيـد بمهاجمـة الفسـطاط حيـث يحتشد العامة وإشعال النار فيها ونهبها وقتل من يقع فى يدهم من أهلها، وقـاوم أهل المدينة دفاعاً عن أنفسهم وأملاكهم وحرمهم، وعـاونهم فـى ذلـك المغاربـة والأتراك الذين كان لهم صلات نسب ومصاهرة بأهل المدينة، ولم يكف الحـاكم يد العبيد عن المدينة إلا بعد أن أيقـن عـزم الأهـالى نقـل المعـارك إلى القـاهرة [(٢)] فاضطر الحاكم إلى إصدار أوامره للعبيد بالكف عما أمرهم به [(٣)].

ويبـدو أن العامـة لم يكونـوا يطيقـون الصمـت إزاء القـرارات العنيفـة والمضطربة التى كانت تمس حياتهم والتى صدرت عن الخليفة الحاكم، مما اضطر الحاكم إلى إصدار عدة سجلات كانت تقرأ على الناس فى الجوامع ينهاهم عـن معارضته فيما يفعله، وترك الخـوض فـى الأمـور التـى تخـص الخليفـة والاهتمـام بأعمالهم [(٤)].

---

(١) أبو شاكر المعروف بابن الراهب، تاريخ ابن الراهب، بيروت، ١٩٠٣، ص ٨٢.

(٢) راجع : تـاريخ ابن الراهـب، ص ٨٢، ابـن الأثـير، الكـامل، جـ ٩، ص ١٠٨، أبـو المحاسن، النجوم، ج ٤، ص ١٨١.

(3)Lone-pool : Ahistory of Egypt { London 1901 }, P. 133

(٤) راجع أمثلة من هذه السجلات فى اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٧، ٢٨، ٨٢، ٨٦.

وكثيراً ما كان يقابل عامة المصريين بعض القرارات الشاذة بما عرف عنهم من روح الدعابة والسخرية التي تميز بها الشعب المصرى على مر العصور، وقد روت المصادر بعض هذه المواقف التي تكشف عن روح المرح عند المصريين حتى فى أحلك لحظات التعاسة. ومن أمثلة ذلك، أن الحاكم أصدر فى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م قراراً بأن الشئ المغطى لا يكشف، فسكر رجل وأثناء توجهه إلى داره صادف أحد رجال الشرطة، فخلع عمامته وغطى بها نفسه ونام فى وسط الطريق وصار الناس يمرون به ولا يجرؤ أحد أن يكشف عنه، فمر به الخليفة الحاكم وهو على هذه الحال، فوقف وسأله من أنت، فقال: أنا مغطى، وقد أمر أمير المؤمنين ألا يكشف مغطى، فضحك الحاكم وألقى إليه بعض المال وانصرف (١).

والمعروف أن الحاكم أصدر عدة سجلات بمنع صنع النبيذ أو بيعه وإتلاف ما يصنع منه من العسل والعنب، وأمر رجاله بتتبع من يبيع أو يقتنى شيئاً منه فاتفق أن رجلاً حمل خمراً له على حمار وهرب به، فتصادف أن قابله الحاكم أثناء مروره على جسر ضيق، فسأله الحاكم، من أين أقبلت؟ قال الزجل: من أرض الله الضيقة. فقال : يا شيخ أرض الله ضيقة ؟ فقال : لو لم تكن ضيقة ما جمعتنى وإياك على هذا الجسر، فضحك الحاكم منه وتركه (٢).

وكان الحاكم قد ألزم الناس بغلق الأسواق نهاراً وفتحها ليلاً مما أدى إلى حدوث انقلاب كبير فى حياة المجتمع المصرى، فصارت جميع الأعمال والمعاملات تؤدى ليلاً (٣)، واستجاب الناس لذلك وسارت الأمور على هذا

---

(١) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ١١٩، قارن : مخطوط درر التيجان لأبى بكر بن عبد الله، مكتبة محافظة الإسكندرية، رقم ٣٨٢٨ ج، ورقة ٢٧٢، الدرة المضية، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٩١.

(3)Lane - pool : Ahistory of Egypt, PP. 125 - 126.

المنوال. ومر الحاكم يوما أثناء تجواله فى الأسواق بنجار يعمل بعد العصر، فوقف عنده وسأله عن سبب مخالفته للأوامر التى تمنع العمل بالنهار، فرد عليه الرجل : يا سيدى، لما كان الناس يتعيشون بالنهار كانوا يسهرون بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار، فهذا من جملة السهر. فضحك الحاكم وتركه وأمر بإعادة الحالة إلى طبيعتها[١].

وكان العامة لا يخضعون للظلم ويثورون فى سبيل الدفاع عن حقوقهم، فعندما حاول جند المغاربة نهب بعض المواضع فى مصر اعتماداً على قوتهم العسكرية، ثار المصريون في وجوههم مما اضطر جوهر الصقلى إلى كف يد المغاربة عنهم وتعويضهم عما نهب منهم [٢].

كما كانوا لا يتورعون عن حمل السلاح دفاعاً عن أنفسهم وأملاكهم وخاصة عندما تضطرب الأمور وتزداد القلاقل بين طوائف الجند [٣] فكان الناس يكثرون من إقتناء السيوف والسكاكين وخاصة " العوام والصناع " [٤].

وكان للاضطرابات تأثير خطير على حياة الناس ومعاشهم اليومى، فإن الاضطرابات والقلاقل التى تصاحب المعارك غالباً ما تؤثر على حركة التجارة الداخلية والخارجية، مما يؤثر بالتالى فى أسعار الضروريات وخاصة الخبز بالإضافة إلى معاناة الناس وازدياد الشعور بالقلق والرهبة من بطش العسكر المعادى سيما إذا كانت المعارك على أبواب المدن المكتظة بالسكان، ولا يخلو

---

(١) راجع : ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٩، ابن اياس، بدائع الزهور، بولاق، ١٣١٩ هـ، ص ٥٢، ٥٣.

(٢) اتعاظ. ج ١. ص ١٣١.

(٣) اتعاظ. ج ٢. ص ٩٧.

(٤) اتعاظ. ج ٢. ص ٩٣.

الأمر من موت قريب أو عزيز خلال ذلك. وعلى العكس من ذلك يكون التعبير عن الفرح والابتهاج بالانتصار قويا ومثيرا كرد فعل لمعاناة الناس أثناء المعارك، ولعل أهم مثال على ذلك ما رواه المقريزى فى وصفه لمعارك الجيش الفاطمى ضد جيش الثائر أبى ركوة سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م [(١)] فيصور اضطراب الأسعار وندرة الخبز عندما اقتربت قوات أبى ركوة من مصر [(٢)] وكان الناس يجلسون فى الشوارع وعلى أبواب الدور طوال الليل يبتهلون بالدعاء بالنصر للجيش الفاطمى [(٣)] وعندما وصلت قوات أبى ركوة إلى الجيزة وهاجمت جيوش الفاطميين بقيادة على بن فلاح " عظم البكاء والضجيج على شاطئ النيل لكثرة القتلى فى العسكر.. فمنع ابن فلاح من حمل الموتى إلى مصر، وأمر بدفنهم فى الجيزة.. فغلقت الأسواق وجلس الناس بالشوارع غما لما جرى على العسكر، وتزايد البكاء من الناس على فقد آبائهم ومعارفهم "[(٤)].

وعندما سقط أبو ركوة فى قبضة الفاطميين أظهر الناس السرور والبهجة واحتشدت أعداد كبيرة منهم لمشاهدة موكب التشهير به حتى أن الحوانيت والدور التى فى طريق مسيرته كان تؤجر للمشاهدين، وأقام الناس ليلتهم فى الشوارع وعلى أبواب مساكنهم يظهرون المسرة والفرح [(٥)].

---

(١) هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموى، وكنى أبا ركوة، لركوة من الجلد كان يحملها فى أسفاره على طريقة الصوفية، (راجع تفاصيل هذه الثورة فى : الكامل، ج ٩، ص ٦٨ وما بعدها، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٤، ٥٥، اتعاظ، ج ٢، ص ٦٠ وما بعدها).

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٦٢.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٦٣.

(٤) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٦٣، ٦٤.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٦٥، ٦٦.

وكان العامة في بعض الأحيان يمثلون مركز الثقل في الأحداث، ويلجأ إليهم الخلفاء والقواد طلبا لتأييدهم ومعاونتهم ضد خصومهم ومن هذا القبيل. عندما نشب الصراع بين الأتراك والمغاربة في عهد الخليفة الظاهر سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م، وكانت الغلبة في أول الأمر للأتراك، ولكن المغاربة تمكنوا في النهاية من الانتصار " بمعاونة العامة لهم، فقتلوا عدة كثيرة من الأتراك، وأخرجوا من بقي منهم عن مصر " [١].. وهكذا يظهر دور العامة في تأييد أحد عناصر الجيش الفاطمي ضد الآخر، ولعل المغاربة بحكم إقامتهم الطويلة بمصر منذ الفتح الفاطمي وقبله خلال الحملات المتعددة للفاطميين على مصر، كانوا أكثر امتزاجاً وقرباً من المصريين عن غيرهم من طوائف الجند.

ونلاحظ أيضاً دور العامة إبان الصراع الذى نشب بين الأتراك والعبيد في عهد الخليفة المستنصر، وتمكن الأتراك بقيادة ابن حمدان من كسر العبيد الذين كانوا يحظون بتأييد أم الخليفة المستنصر التى تنسب إليهم، ولم يتورع الأتراك عن التصدى للخليفة ومهاجمة القاهرة مما دفع المستنصر إلى استنفار أهل مصر، فيروى أبو المحاسن :

" فاستنجد المستنصر وأمه بأهل مصر، وأذكرهم حقوقهم عليهم، ووعدهم بالإحسان، فقاموا معه، ونهبوا دور أصحاب ابن حمدان، وقاتلوهم، فخاف ابن حمدان وأصحابه، ودخلوا تحت طاعة المستنصر " [٢] ورغم ذلك فإن ابن حمدان عاد إلى سياسة التسلط وتحدى سلطان الخليفة، واستمر في أعمال النهب والسلب في أنحاء البلاد وخاصة في الوجه البحرى [٣] وظلت أمور

---

(١) اتعاظ. ج ٢، ص ١٧٧.

(٢) النجوم، ج ٥، ص ٨٣، قارن، خطط، ج ١، ص ٣٣٦.

(3)Lane - pool, op. cit., P. 146.

الدولة الفاطمية فى اضطراب إلى أن استدعى الخليفة المستنصر، وإليه على عكا بدر الجمالى سنة ٤٦٦ هـ/ ١٠٧٣ م الذى تمكن من ضبط الأمور وإعادة النظام إلى البلاد (١).

ومما سبق يتضح لنا أن العامة رغم ما كانوا يعانونه من مظاهر الإهمال السياسى فى تلك العصور، إلا أنهم كانوا يمثلون قوة لها شأنها أحياناً.

رابعاً : العبيد :

كان الرق منتشراً فى المجتمع الفاطمى كما كان الحال فى مجتمعات العصور الوسطى وكان سوق الرقيق فى الأسواق الدائبة الحركة والنشاط فى العصر الفاطمى، وكان السوق يحوى أجناساً متعددة من العبيد، ولكن العدد الأكبر منهم كان من العبيد السود الذين يجلبون من بلاد النوبة، فكانت الأسواق تكتظ بهم، وهناك رواية طريفة عن طريقة حصول أهل أسوان على العبيد من بلاد النوبة، فيذكر الرحالة بنيامين التطيلى الذى زار مصر فى أواخر الدولة الفاطمية " وأهل أسوان يخرجون لصيد العبيد فى أراضى هؤلاء الزنوج.. وهم إذا خرجوا حملوا معهم الخبز والزبيب والتين، فيجذبون الزنوج ويرغبونهم حتى يتبعوهم ثم يبيعونهم فى أسواق النخاسة بمصر وما جاورها من البلدان " (٢).

ويبدو أن الناس كانوا يزدحمون فى سوق الرقيق للفرجة وخاصة على الإماء دون أن يكون لديهم رغبة الشراء، مما دفع الخليفة الحاكم إلى إصدار قرار بتخصيص يوم لبيع الجوارى ويوم لبيع الغلمان، ومنع التزاحم للفرجة،

---

(١) راجع التفاصيل، اتعاظ، ج ٢، ص ٣٠٦، ٣١٣.

(٢) رحلة بنيامين التطيلى، ترجمة وتحقيق عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥، ص ١٧٠.

واشترط على من يذهب إلى سوق الرقيق إما أن يكون بائعاً أو مشترياً [١] كما استثنى في قراره الخاص بمنع النساء من الخروج من دورهن، الإماء اللواتي يبعن في سوق الرقيق [٢].

وكان للعبيد في الدولة الفاطمية حارات خاصة بهم في القاهرة والفسطاط ولهم عرفاء يشرفون على مصالحهم [٣] وكان القصر الفاطمي يكتظ بعدد كبير من العبيد والجوارى للقيام بالوظائف المختلفة، وكان من بين الجزية المفروضة على بلاد النوبة في هذا العصر ثلثمائة وستون رأساً من الرقيق كل عام [٤] كان معظمهم يعمل في القصر. كما كان لكل فرد من الأسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة من الوزراء والكتاب وأرباب الرتب عدد من الجوارى والعبيد، وقد أسهب المؤرخون في ذكر ما خلفه هؤلاء من الجوارى والعبيد بعد وفاتهم [٥] وبالإضافة إلى ذلك فان الأسرة المصرية المتوسطة كانت تحوز من بين ممتلكاتها بعض العبيد [٦].

وقد ازداد عدد العبيد السودان في عهد الخليفة المستنصر زيادة كبيرة حتى بلغ عددهم خمسين ألفاً [٧] وازداد نفوذهم حتى أصبحوا يمثلون " أركان الدولة " [٨] والسبب في ذلك أن أم المستنصر كانت جارية سوداء، فأكثرت

---

(١) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، في حلى حضرة القاهرة، ص ٦١.

(٢) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٨، اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٩.

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ٤١.

(٥) راجع ذلك في طبقات الخاصة.

(٦) راجع : جروهمان، أوراق البردى، ج ١، ص ٦٧.

(٧) خطط، ج ١، ص ٩٤.

(٨) سفرنامة، ص ٤٩.

من شراء العبيد من بنى جنسها وجعلتهم طائفة لها وبسطت لهم فى الأرزاق والوظائف " وصار العبد بمصر يحكم حكم الولاة "[١].

وكان العبيد في بعض الأحيان وخاصة عندما تتعرض البلاد للمجاعات، يمثلون مصدر متاعب واضطرابات في الدولة، ويعاني من ذلك العامة بوجه خاص، فكان العبيد لا يتورعون في هذه الظروف عن مهاجمة الدور والحوانيت لنهب ما فيها ويشتبكون مع العامة الذين يذودون عن أموالهم وممتلكاتهم، وكانت الدولة في مثل هذه الأحوال تحل دم العبيد وتصدر أوامرها بأن من يتعرض له أحد من العبيد فليقتله[٢].

وكانت من الأمور المعتادة أن يتزوج الخليفة الفاطمى من إحدى الجوارى، فالمعروف أن زوجة الخليفة العزيز وأم الحاكم كانت جارية رومية مسيحية[٣] كما تزوج الحاكم من إحدى جوارى أخته ست الملك[٤] وتزوج الظاهر من جارية سودانية ولدت له ابنه المستنصر با لله[٥] وهذا يمكن القول أن الجوارى كن يعملن إلى أعلى المراتب فى السلم الاجتماعى بزواجهن من الخلفاء، فيصبحن زوجات خلفاء وأمهات خلفاء ويتسلطن على أمور الدولة من هذا الطريق.

---

(١) اتعاظ. ج ٢، ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) راجع تفاصيل ذلك : اتعاظ، ج ٢. ص ١٦٤ - ١٧٢ عند الحديث عن أحداث المجاعة فى عهد الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ.

(٣) سير البيعة. لوحة ٥١. تاريخ الانطاكى. ص ١٦٤

(٤) مخطوط درر التيجان. ورقة ٢٦٩، الدرة المضية. ص ٢٦٥.

(٥) النويرى. نهاية الارب. ج ٢٦، لوحة ٦٤

وكان من مظاهر الصدقة في العصر الفاطمي شراء الجواري وكتب عتقهن وإطلاق سراحهن [١] وكان عيد غدير خم الأعياد الشيعية [٢] التي تعتق فيها الإماء ويزوجن لمن يرغب في ذلك من العامة، الذين كانوا يتجمعون في هذه المناسبة عند دار الوزير لهذا الغرض [٣]

وكان الخلفاء يقومون بعتق العبيد في المناسبات المختلفة، وقد أكثر الحاكم من ذلك حتى أنه أعتق في سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣م جميع ما كان يمتلكه من العبيد والإماء وملكهم ما كان تحت يدهم في حالة الرق من الأموال[٤].

كما كان الأفراد من الأسر المتوسطة يقومون بعتق العبيد، وكان العتق يتم غالباً بكتابة وثيقة يوقع عليها الشهود [٥]، وأحياناً كان يفرض على بعض عناصر المجتمع عدم امتلاك العبيد وخاصة أهل الذمة، فقد أصدر الحاكم أوامره مشددة في سنة ٣٩٥ هـ/١٠٠٤م إلى النخاسين بعدم بيع العبيد والإماء لهم[٦].

وكان يسند إلى العبيد بعض الوظائف المهمة في الدولة الفاطمية، وكان هذا يتوقف على ما يظهره العبد من نشاط ونجابة، ومن أمثلة ذلك زيدان "صاحب المظلة" الذي أعتقه الخليفة الحاكم سنة ٣٩١ هـ/١٠٠٠م [٧]، والمعروف أن حامل المظلة كان من كبار موظفي الدولة الفاطمية لحمله ما يعلو رأس الخليفة وهذا شرف كبير لا يناله إلا من كان يتمتع بثقة الخليفة وتقديره.

---

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ٨٦.
(٢) راجع التفاصيل في الفصل الخاص بالأعياد الشيعية في العصر الفاطمي.
(٣) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.
(٤) تاريخ الافطاكي، ص ٢٠٦، الدرة المضية، ص ٢٨٨.
(٥) راجع وثيقة عتق جارية مؤرخة في رمضان سنة ٣٩٣ هـ في أوراق البردى، ج ١، ص٦٧.
(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣.
(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٩.

وكانت الجوارى فى الدولة الفاطمية يحتفظن بأملاك خاصة وثروات كبيرة نتيجة ما يمنح لهن من عطايا وهبات، فيروى المقريزى فى حوادث سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤م: " توفيت عائشة جارية الأمير عبدا لله بن المعز وكانت من وجوه عجائز القصر، وخلفت أربعمائة ألف دينار " [١] ورغم أن العبيد لا يحق لهم الميراث ولا تجوز لهم الوصية شرعاً، لأن أموالهم لمولاهم لا يرثهم أحد، إلا أن الدولة الفاطمية، كانت تعتبر العبيد المناصرين للدعوة الإسماعيلية، حتى وإن لم يحصلوا على حريتهم، من حقهم الإرث وتقبل شهاداتهم ويسمح لهم بالبيع والشراء والتصرف فى ممتلكاتهم[٢].

---

(١) اتعاظ. ج ٢. ص ١٧٣.

(٢) راجع النعمان. المجالس والمسايرات، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

الفصل الثالث

أهل الذمة



كان أهل الذمة [١] يمثلون قطاعاً رأسياً في المجتمع المصرى في عصر الدولة الفاطمية، فقد تولى بعضهم أرفع المناصب في الدولة مثل الوزارة [٢] ورياسة الدواوين، وبرع منهم العديدون في مجالات الطب بوجه خاص [٣]، كما كان الكثيرون منهم يمثلون الطبقات الدنيا من عامة الشعب.

ورغم هذا فإن أهل الذمة كانوا طبقة مستقلة في المجتمع لما هم من حياة دينية واجتماعية وأعياد خاصة بهم، ولما كان بينهم وبين المسلمين في المجتمعات الإسلامية في العصور الوسطى بوجه عام من شعور متبادل من الحذر والريبة والتوجس في معظم الأحيان، فتلك العصور كانت تعانى من التعصب الدينى بين الأديان المختلفة، بل وبين أصحاب المذاهب المعتنقين لعقيدة واحدة.

ومن المحتمل أن القبط بوجه خاص، كان يتملكهم شعور بأحقيتهم في إدارة بلادهم من أى عنصر آخر كانوا يعتبرونه دخيلاً عليهم، وهذا الشعور قد أدى إلى تكتلهم وتماسكهم ومحاباتهم بعضهم بعضاً، واقتناصهم لأية فرصة تسنح لهم لاظهار سيطرتهم وسطوتهم وإعلان ما في نفوسهم. والواقع أن النظام الإدارى في مصر قد منح أهل الذمة هذه الفرصة لإظهار ما في نفوسهم تجاه المسلمين [٤].

---

(١) كان أهل الذمة في مصر من الأقباط بالإضافة إلى قليل من اليهود بالنسبة لعدد القبط، وللأسف ليس لدينا أعداد يمكن تحديدها عن أهل الذمة في ذلك العصر (راجع : ابن حوقل، صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨، ص ١٦١، المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ١٩٣، ص ٢٠٢).

(٢) راجع : الكامل، ج ١١، ص ١٨، ابن حجر، رفع الإصر، ص ١٩٨.

(٣) تاريخ الأنطاكى، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(4) O, Leary; Ashort History of the Fatimid Khalifate. (London, 1925), P. 114.

فالمعروف أن معظم كتاب الدواوين وموظفي الخراج عند الفتح الفاطمي لمصر كانوا من أهل الذمة، ولم يجد جوهر الصقلي مناصا من تركهم في وظائفهم حتى لا يهتز النظام الإدارى في الدولة وترتبك شئونها. وكل ما استطاع عمله هو أن أشرك بين " المغاربة والمصريين، وجعل في كل ديوان مغربياً ومصرياً " (١). والواقع أن هذه المشاركة كانت صورية وكانت من جانب المغاربة تتسم بطابع المراقبة والإشراف غير الفنى لعمل لا يدركونه ولا يعرفون خباياه.

ويذكر النويرى رواية خطيرة تكشف عن مشاعر القبط تجاه الدولة والمسلمين في ذلك الوقت، فعندما تسلط عيسى بن نسطورس على شئون الإدارة في عهد الخليفة العزيز، كتب إليه أحد رؤساء المصريين يعاتبه على سوء معاملته للمسلمين، فأجاب عيسى عليه قائلاً :

" إن شريعتنا متقدمة، والدولة كانت لنا ثم صارت إليكم، فجرتم علينا بالجزية والذلة، فمتى كان منكم إلينا إحسان حتى تطالبونا بمثله، إن ما منعناكم قتلتمونا، وإن سالمناكم أهنتمونا، فإذا وجدنا لكم فرصة، فما تتوقعون أن نصنع بكم، ثم تمثل في آخر كتابه بيتين :

بنت كرم غصبوها أمها ∴ ثم داسوها هوانا بالقدم
ثم عادوا وأحكموا فيهم ∴ وأناهيك بخصم قد حكم (٢)

---

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤١، زبدة النكرة، لوحة ٢٠٤، اتعاظ، ج ١، ص ١١٩.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٠ - ولكن القلقشندى ينسب هذه الرواية إلى الراهب أبي نجاح قنا الذى تولى رياسة الدواوين في عهد الآمر (راجع مخطوط أخبار الدول المنقطعة لوحة ٧٧) وقد حذره أحد كتاب المسلمين من مغبة ظلمة وتعديه=

وهذه الرواية الخطيرة توضح مدى ما كان يشعر به أهل الذمة وخاصة النصارى تجاه المسلمين، مما جعلهم ينتهزون الفرصة للإنقضاض على المسلمين والتسلط عليهم ومحاولة تكتلهم وبروزهم كطبقة مميزة فى العصر الفاطمى. وكانت سياسة الفاطميين تجاه رعاياهم من أهل الذمة بوجه عام تتسم بالكثير من مظاهر التسامح التى وصلت فى بعض الأوقات إلى الإغراق فى المحاباة، وإن كان أهل الذمة قد تعرضوا فى عهد الخليفة الحاكم لبعض القرارات العنيفة التى حدت من حريتهم، فإن رعايا الدولة من المسلمين وكبار رجال الدولة لم يسلموا من قرارات أشد عنفاً، وعلى أى الأحوال فإنه يمكننا أن نقرر أن العصر الفاطمى كان يعد من أزهى العصور الإسلامية لأهل الذمة[1].

فمنذ دخول جوهر الصقلي إلى مصر، يعتمد على أهل الذمة فى إدارة البلاد، ويكتفى بمراقبتهم عن طريق أتباعه من المغاربة كما ذكرنا، ولم يحدث فى عهده ما يعكر صفو العلاقات بين الدولة وأهل الذمة، ولكن المقريزى يروى أن

=على المسلمين " وكان جماعة من كتاب مصر وقبطها فى مجلسه، فقال مخاطبا له ومسمعا للجماعة : نحن ملاك هذه الديار حرثا وخراجا، ملكها المسلمون منا، وتغلبوا عليها وغصبوها، واستملكوها من أيدينا، فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوا بنا، ولا يكون له نسبة إلى من قتل من رؤسائنا وملوكنا فى أيام الفتوح، فجميع ما نأخذه من أموال المسلمين وأموال ملوكهم وخفائهم حل لنا، وهو بعض ما نستحقه عليهم ن فإذا حملنا لهم ما لا كانت المنه لنا عليهم وأنشد :

بنت كرم يتموها أمها ∴ وأهانوها فديست بالقدم
ثم عادوا حكموها بينهم ∴ ويلهم من فعل مظلوم حكم

(راجع : صبح، ج ١٣، ص ٣٦٩، ٣٧٠) ومن المحتمل أن الروايتين قد حدثتا كل منهما فى زمانها، وقد استشهد الراهب بأبيات ابن نسطورس مع بعض التعديل.

(١) راجع : قاسم عبده، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٧، ص ٥١.

جوهراً أصدر فى ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ / ديسمبر سنة ٩٧٣ م قراراً بأن يتقيد اليهود بلبس الغيار [١] وهى الملابس التى تميزهم عن المسلمين [٢] ولا ندرى السبب وراء هذا القرار وقصره على اليهود دون المسيحيين، ومن المحتمل أن جوهر كان يخشى إغضاب رجال الدواوين من القبط وكان عددهم كبيراً فى ذلك الوقت، فاستثناهم من قراره هذا.

وعلى أى الأحوال فإن الخليفة المعز لدين الله منذ قدومه مصر أظهر روحاً من التسامح والعطف تجاه أهل الذمة، وأسند إليهم بعض المناصب الرئيسية فى الدولة [٣] وقد غالى ابنه العزيز فى هذا التسامح حتى وصل أهل الذمة فى عهده إلى قمة النفوذ والسلطة، فقد أطلق الخليفة العزيز يد النصارى فى تجديد كنائسهم، وإعادة بناء ما تهدم منها، وكان لا يبالى فى ذلك بمشاعر المسلمين وغضبهم، فكانت إحدى الكنائس فى الفسطاط قد تهدمت واندثرت وأصبحت مخزناً للقصب يملكه أحد تجار المسلمين، فأمر العزيز بنزع ملكية هذا المخزن وأن يعاد بناء الكنيسة من بيت مال الدولة، وأصدر سجلاً بذلك، ولما

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ٦٧.

(٢) كان المتعارف عليه فى العالم الإسلامى أن يتميز أهل الذمة عن المسلمين فى ملابسهم، سواء فى ذلك الرجال والنساء، وكان اللون المميز لليهود الأصفر، وللنصارى الأزرق، ويشد الرجل منهم الزنار فى وسطه، وتشده المرأة فوق أزارها، وتلبس المرأة الذمية خفين مختلفى الألوان بأن يكون أحدهما أبيض والآخر أسود (راجع : صبح، ج ١٣، ص ٣٦٤) وأن كنا نلاحظ أن الغيار كان يختلف عن ذلك فى عصر الدولة الفاطمية وقد تضاف إليه لبس الصلبان الضخمة للنصارى، والأجراس لليهود فى أعناقهم ولم يكن هذا الأمر يتم إلا فى عصور الاضطهاد ضد أهل الذمة، ولا يتشدد عليهم فى لبس الغيار إلا فى وقت الأزمات (راجع الصفحات التالية، سير البيعة المقدسة، لوحة ٥٤، اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣، ص ٩٤).

(٣) راجع : مخطوط سير البيعة المقدسة، لوحة ٤١.

اعترض المسلمون على هذا العمل وحاولوا منع بناء الكنيسة، أصدر العزيز الأوامر إلى " جماعة من جنده ومماليكه أن يخرجوا يقفوا على عمارة البيعة، وأن من يعوق هم في ذلك يردعوه ويقابلوه بما يستحقه.. فلما رأى العوام ذلك كفوا عن التدخل"(١).

وقد ازداد نفوذ أهل الذمة وقويت شوكتهم بزواج الخليفة العزيز من جارية مسيحية رومية، وقد تمتعت هذه الزوجة بنفوذ كبير على الخليفة واستطاعت أن تولى أخويها مناصب كنسية مهمة، فتولى أحدهما بطريرك على بيت المقدس، وتولى الثانى مطراناً على القاهرة ومصر " وكان لهما محلاً لصيقاً من العزيز با لله وتقدما فى مملكته " (٢). وذلك بفضل زوجة العزيز النصرانية " لأن السلطان كان لها " (٣).

وكانت روح المحاباة المغرقة التى حظى بها أهل الذمة فى عهد العزيز لها آثار عكسية على المسلمين، الذين شعروا بالاستياء لتسلط الذميين على شئون الدولة، ولعل العزيز لاحظ هذا الأمر، فأراد امتصاص غضب المسلمين، فأصدر أوامره فى شوال سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م بالقبض على وزيره يعقوب بن كلس ومصادرة أمواله، ولكن ابن كلس لم يلبث طويلاً فى الاعتقال حيث أفرج عنه الخليفة ورد إليه أمواله (٤) بالإضافة إلى هبة كبيرة من المال، وألف وخمسمائة غلام يكونون فى خدمته (٥) ويبدو أن العزيز كان متأثراً فى عدوله عن قرار

---

(١) راجع : تاريخ أبى صالح الأرمنى، أكسفورد، ١٨٩٥م، ص ٤٥، ٤٦.
(٢) راجع : تاريخ الأنطاكى، ص ١٦٤، ١٦٥.
(٣) مخطوط سير البيعة المقدسة، لوحة ٥١.
(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢٦٢.
(٥) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٨.

اعتقال ابن كلس بنفوذ زوجته المسيحية(١) وابنته منها " ست الملك " التى كانت أثيرة لدى والدها ولا يرد لها شفاعة (٢).

ولكن المسلمين لم يطيقوا الصبر على تلك الأوضاع، وارتفعت أصواتهم بالشكوى التى غلقت أحياناً بالسخرية والنقد اللاذع (٣) التى يتميز بها الشعب المصرى على مر العصور عندما تشتد وطأة الأزمات، فتروى المصادر أن العزيز عقب وفاة وزيره يعقوب بن كلس سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م أسند الوزارة فى مصر إلى عيسى بن نسطورس النصرانى، الذى مال إلى النصارى فقلدهم الوظائف المهمة فى الدواوين وطرد الكتاب المسلمين من وظائفهم (٤).

كما أسند الخليفة العزيز ولاية أقليم الشام إلى رجل يهودى يدعى منشا بن ابراهيم " فسلك منشا فى التوفر على اليهود سبيل عيسى مع النصارى، ورفع منهم واستخدمهم، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة (٥).

---

(1)Fischel; Jeuis in the economic and political life of Medieaval Islam, London, 1968, P. 64.

(٢) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

(٣) راجع : العينى، عقد الجمان، مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ، لوحة ٤١٨.

(٤) راجع : ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٥، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣، قارن :

Mann The Jews in Egypt and palesine under the fatimial caliphs,.Oxford, 1920, 1, PP. 19 - 20.

(٥) أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤ ولعل تلك المعاملة المتسامحة هى التى شجعت جماعة من الروم للتجرؤ على ممتلكات الدول الفاطمية، وحرق دار صناعة السفن بمصر بما فيها من المراكب والأسلحة، وقد أثار هذا العمل شعور العامة الذين هاجموا الروم وقتلوا منهم ما يزيد على المائة، واضطر عيسى بن نسطورس إلى القبض على زعمائهم فاعترفوا بارتكاب الحادث، مما دفع العزيز إلى الأمر بنهب كنيسة الروم وأخذ منها ما يزيد على تسعين ألف درهم (راجع : النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٨).

ولقد سبق أن أشرت إلى الحياة التى لجأ إليها المسلمون لإيصال مشاعرهم الساخطة إلى الخليفة، وذلك بأن دفعوا فى طريق موكبه بامرأة تحمل فى يدها ظلامة، وما كادت تسلمها للعزيز حتى اندست بين الناس فى الزحام، وصدم العزيز عندما قرأ فى الظلامة هذه العبارات " يا أمير المؤمنين : بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن ابراهيم وأذل المسلمين بك، ألا نظرت فى أمرى [١]. ولعل العزيز أدرك بعد قراءته هذه العبارات القاسية ما وصلت إليه حال المسلمين من غضب لتحكم أهل الذمة فى شئونهم، وما فى هذا الأمر من إضعاف لهيبة الخلافة الفاطمية " وعاد إلى قصره منقسم الفكر "[٢]، ولكن العزيز لم يتردد طويلاً فى اتخاذ موقف حاسم، فأصدر أوامره بالقبض على عيسى بن نسطورس، ومنشا اليهودى وسائر الموظفين والكتاب من اليهود والنصارى فى مصر والشام، على أن ترد وظائف الدواوين وسائر المناصب التى كان يشغلها أهل الذمة إلى الكتاب المسلمين [٣] وأن يعول عليهم فى إدارة شئون البلاد. وهنا يظهر من جديد التأثير القوى لزوجة العزيز النصرانية، وابنته ست الملك [٤] وقد أحسن عيسى بن نسطورس استغلال هذا النفوذ، فلجأ إلى ست الملك، وتوسل إليها بأن تتدخل بالشفاعة له لدى الخليفة للصفح عنه، وقدم إلى خزانة الدولة رشوة ضخمة فى صورة فدية مقدارها ثلاثمائة ألف دينار[٥].

---

(١) راجع : أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٢) أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٥.

(٣) أبو شجاع، ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٦، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٥.

(٤) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٥، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٥) ذيل تجارب الأمم، ص ١٨٧، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣.

والطريف في الأمر أن العزيز قبل شفاعة ابنته وأعاد عيسى بن نسطورس إلى مناصبه، رغم أن العزيز اشترط عليه استخدام المسلمين في دواوين الدولة وأعمالها [١] إلا أن قرار عودة ابن نسطورس كان تحدياً سافراً لمشاعر جمهور المسلمين، ويمثل قمة السيطرة والنفوذ القوى الذى تمتع به المحيطين بالخليفة الذين يتعاطفون مع أهل الذمة ويعملون لحسابهم [٢].

وبوفاة الخليفة العزيز سنة ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ م، وتولية ابنه الحاكم بأمر الله، حدث تغيير خطير في علاقة الدولة الفاطمية برعاياها من أهل الذمة. ومن المعتقد أن القرارات العنيفة التى صدرت فى عهد الحاكم ضد أهل الذمة كانت انعكاساً لما ساد عصر العزيز من تسلط هذه الفئة وسيطرتها على شئون الدولة والذين أرادوا الاستمرار على هذه السياسة " وكان الأمر فى مدة العزيز فيه انحلال وعفو كبير عن الناس، وظنوا أن ذلك يجوز في مدة الحاكم وجروا على رسمهم " [٣]. بالإضافة إلى ذلك فإن الحاكم كان قريباً من الناس ويستمع عن كثب إلى نبض الشارع المصرى، فالمعروف أنه كان كثير الارتياد للأسواق والمرور فى الشوارع ولم يكن يمنع الناس من الاتصال به حتى أنه كان يقف ليستمع إلى العامة " ويحادثهم ويضاحكهم " [٤] ولا شك أنه قد تأثر بشكوى الناس، وبما كان عليه حال المسلمين في عهد والده العزيز، وما حظى به أهل الذمة من محاباة[٥]. وقد نجح الحاكم فى التخلص من سيطرة والدته المسيحية وأخته " ست الملك : التى كانت تظهر عطفاً وتأييداً للنصارى.

---

(١) ابن الجوزى، مرآة الزمان، مخطوط بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ، ج ١١، لوحة ١٥٤، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٩.

(٢) راجع : Fischel : op. cit., P. 64.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ١٢٢.

(٤) راجع فى ذلك، اتعاظ، ج ٢، ص ١٤، ٩٦، ١٠٤.

(5) O'Lenary; Ashort History, P. 143.

وبدأ الحاكم قراراته للحد من نفوذ أهل الذمة فى سنة ٣٩٠ هـ /٩٧٩م وهى السنة التى تخلص فيها من نفوذ وصيه ومربيه برجوان، وسيطر بنفسه على مقاليد الحكم فى الدولة (١) حيث أصدر قراراً بالقبض على كتاب الدواوين من أهل الذمة واعتقلهم (٢) ولكن الحاكم استجاب إلى شفاعة طبيبه الخاص وطبيب والده العزيز من قبل، "أبو الفتح سهل بن مقشر النصرانى " وكان له من الحاكم خاصية، بل من العزيز محل لطيف وموضع مكين " (٣) فأطلق سراح كتاب الدواوين وأعادهم إلى مناصبهم بعد أيام قليلة.

ورغم ذلك فقد أصدر الحاكم خلال فترة حكمه مجموعة من القرارات المتتابعة ضد أهل الذمة، وكانت هذه القرارات تتصاعد فى العنف سنة بعد أخرى، ومن هذه القرارات ما يتعلق بتميزهم فى ملابسهم، فقد أصدر أوامره بأن يرتدى أهل الذمة الزنانير فى أوساطهم والعمائم السود على رؤسهم (٤) " شعار الغاصبين العباسيين (٥) وأن يعلق النصارى فى أعناقهم صلبان الخشب التى تبلغ طولها ذراع فى مثله، وأن تكون زنة الصليب خمسة أرطال ويكون ظاهراً فوق الثياب (٦) وأن يعلق اليهود فى رقابهم قرامى الخشب على وزن صلبان النصارى (٧)، كما أمر أن يتميز أهل الذمة فى الحمامات عن المسلمين،

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٥.

(٢) تاريخ الانطاكى، ص ١٨٥.

(٣) تاريخ الانطاكى، ص ١٨٦.

(٤) سير البيعة المقدسة، لوحة ٥٤.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٩٤.

(٧) القضاعى، عيون المعارف، مخطوط بدار الكتب رقم ١٧٧٩، ورقة ١٨٠، العينى عقد الجمان، ج ١٩، لوحة ٦٧٨.

بـأن يعلـق النصـارى الصلبـان فـى رقـابهم، وأن يتميز اليهـود بجلجـل مكـــان الصليب[١] ولكنه عاد فأصدر مرســوماً آخـر ينـص علـى منـع أهـل الذمـة مـن دخول حمامات المسلمين وأن يفرد لهم حمامات خاصة بهم [٢].

كما أصدر مجموعة من القرارات كان هدفها الحد من مكانـة أهـل الذمـة الاجتماعية والحط من شأنهم، فحرم على أهل الذمة ركوب الخيــل، واستخدم المسلمين فى أعمالهم أو دورهم، كما منعهم من شراء العبيد والإماء [٣]، وسمـح للعامة بتتبع من يخالف هذه التعليمات من أهل الذمـة والإرشـاد عنـه، حتـى أن معظمهم انكمش على نفســه وقـل ظهورهـم فـى الأسـواق وفـى الطرقـات[٤]، وحرم الحاكم على النصارى ممارسة الطقوس الدينية العلنية، والاحتفال بالأعيـاد ذات الطابع الشعبى مثل الشعانين والغطاس والصليب [٥].

وقد امتدت يد الحاكم إلى كنائس النصارى وبيعهم، فجردهـا ممـا تحويهـا من تحف وذخائر وضمت إلى خزائن القصر [٦]، وأمر بهدم عـدد مـن الكنـائس والأديرة فى أنحاء دولته، ونهب ما فيها، ومنحت بعضها بجميع ما فيها من تحف إلى بعض رجال الدولة [٧]، وفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م، أمـر بهـدم كنيسـة

---

(١) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٥.

(٢) مخطوط سير البيعة، لوحة ٥٤، اتعاظ، ج ٩٣، ٩٤.

(٣) ابن حماد، أخبار ملوك بنى عبيد، الجزائر ١٣٤٦ هـ، ص ٥٤، مخطوط درر التيجان، ورقة ٢٦٦.

(٤) راجع : تاريخ الانطاكى، ص ٢٠٤.

(٥) راجع : الخريدة النفيســة فـى تـاريخ الكنيسـة، ج ٢، ص ٣٢٢ وانظـر التفـاصيل فـى الفصل الخاص بالأعياد المصرية.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٧١.

(٧) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٧٩، ص ٨١، ص ٩٤، ٩٥.

القيامة فى القدس ونهب ما فيها، وبهدم جميع الكنائس فى أنحاء البلاد، ولكن بعض مستشاريه نصحه بأن هذا العمل قد يؤدى إلى هدم المساجد فى البلاد التى يحكمها النصارى [١] فأمر بالكف عن ذلك بعد أن كانت كنيسة القيامة قد تهدمت ومعها العديد من الكنائس والأديرة فى أنحاء البلاد.

ومن المحتمل أن أهل الذمة قد قاموا بالرد على هذه القرارات العنيفة من جانب الحاكم ببعض أعمال التخريب تحت جنح الظلام وإشعال النار فى الأسواق والحوانيت التى يملكها المسلمون، مما دفع الحاكم إلى إتخاذ إجراءات وقائية، فيذكر المقريزى أنه فى المحرم سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م. " تزايد وقوع النار وكثر الحرق فى الأماكن، فأمر الناس باتخاذ القناديل على الحوانيت.. وأزيار الماء مملؤة ماء.. وعظم الحريق، ووقعت فى أمره شناعات من القول، فقرئ سجل فى الجوامع يزجر السفهاء، والكف عن أحوال تفعل، وأن يدخل الناس إلى دورهم من بعد صلاة العشاء، فأغلقت الدور والحوانيت والدروب بعد صلاة المغرب " [٢]. وهكذا اضطر الحاكم للسيطرة على هذه الأحداث إلى إصدار قراره بمنع التجول بعد العشاء وبتجهيز المياه اللازمة لمقاومة ما قد يحدث من حرائق وحذر المخربين من التمادى فى ذلك.

ورغم موقف الحاكم العدائى من أهل الذمة، إلا أنه وجد صعوبة فى تغيير الجهاز الادارى للدولة الذى كان يسيطر عليه أهل الذمة، وخاصة النصارى "وكان سائر كتابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى إلا نفراً يسيراً من الكتاب " [٣] لذلك كلف الحاكم معاونيه بعمل احصاء بجميع الكتاب المسلمين

---

(١) ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٦، ٦٧، اتعاظ، ج ٥، ص ٧٥.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ١٠٥، خطط، ج ٢، ص ١٠٨.

(٣) تاريخ الانطاكى، ص ٢٠٣.

الذين لا يشغلون مناصب فى الدولة ويصلحون للخدمة فى الدواوين والأعمال " ليتخذ منهم من يستبدل به عوض النصارى " (١).

ورغم هذا فإننا نلاحظ أن الحاكم لم يتمكن من الاستغناء عن النصارى فى إدارة دولته، فقد تولى بعضهم مناصب كبيرة فى الدولة خلال عهده، فقد أسند الحاكم منصب الوساطة بعد مقتل برجوان سنة ٣٩٠ هـ/ ٩٧٩م إلى فهد بن إبراهيم النصرانى (٢) كما أسند منصب الوزارة إلى الكاتب النصرانى أبو نصر بن عبدون (٣).

وفى سنة ٤٤١ هـ / ١٠١٠ م استخدم الحاكم فى الوساطة الكاتب النصرانى أبا الخير زرعة بن عيسى بن نسطورس (٤) كما تولى صاعد بن عيسى بن نسطورس الوزارة سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨م(٥).

كما كان من أهل الذمة ألصق الناس بالخليفة وهو طبيبه الخاص، فقد استخدم الحاكم الأطباء من اليهود والنصارى، فكان أبو الفتح منصور بن مقشر النصرانى طبيب العزيز والحاكم (٦) ثم تولى هذا المنصب بعده يعقوب بن نسطاس النصرانى (٧)، وبعد وفاته خلع الحاكم على الطبيب " صقر اليهودى " ليصبح طبيبه الخاص عوضاً عن ابن نسطاس، ووهبه داراً بكل ما تحويه من أثاث " فحصل فى ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار " (٨).

---

(١) تاريخ الانطاكى، ص ٢٠٣.
(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٦.
(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٨١.
(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٥.
(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ١١٤.
(٦) تاريخ الانطاكى، ص ١٨٤.
(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٠.
(٨) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٣.

وهكذا يتضح أنه كان من الصعب بل من المستحيل على الخليفة الحاكم أو غيره من الخلفاء الاستغناء نهائيا عن أهل الذمة فى دولته لامتيازهم ببعض الأعمال الهامة التى لا يجيدها غيرهم وخاصة وظائف الدواوين والمالية والطب.

ووضعت المؤامرة التي دبرتها ست الملك وانتهت باغتيال الحاكم سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م حداً لآلام أهل الذمة ومتاعبهم وخلصتهم من أشد الخلفاء الفاطميين عداوة لهم، وكان الحاكم أثناء فترة توليه الخلافة لا يميل إلى أخته ست الملك ويحاول التقليل من نفوذها، ومن المحتمل أنه نما إلى علمه أنباء المؤامرة التى أرادت تدبيرها عقب وفاة والده العزيز بهدف تنحيته عن الخلافة، وتولية أحد أبناء عمها مكانه [(١)] لذلك نراه يراقب أفعالها ويحاول إرهاب من يتقرب منها من رجال الدولة، ومن أمثلة ذلك قتله لقاضى القضاة مالك بن سعيد فى ربيع الآخر سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م" وكان سبب قتله أنه اتهم بموالاة سيدة الملك ومراعاتها، وكان الحاكم قد انفلق منها"[(٢)].

وتجمع المصادر التاريخية على أن ست الملك كانت العقل المدبر لمؤامرة اغتيال الحاكم، وذلك لأنه أتهمها في شرفها ورماها بالفجور، وقال لها " قد بلغنى أنك تدخلين اليك الرجال، وأنه قد زالت عذرتك وذهبت بكارتك وقد عزمت على إحضار القوابل لكشف حالك " [(٣)] مما جعلها تتعجل بتدبير قتله خوفاً من بطشه [(٤)]، وأجلست مكانه ابنه الظاهر، وأدارت شئون الدولة بنفسها وقتلت " جميع من اطلع على سرها " [(٥)].

---

(١) راجع : ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٧.

(٣) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٦٤.

(٤) راجع التفاصيل، اتعاظ، ج ٢، ص ١١٥ وما بعدها.

(٥) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ١١٧.

ورغم أن ما ذكر آنفاً هو السبب الذى أوردته المصادر عن دوافع ست الملك فى اغتيال أخيها الحاكم، إلا أنه من المحتمل أن من أهم الدوافع إلى ذلك أيضاً، معاملته العنيفة لأهل الذمة الذين كانوا موضع حب وتقدير ست الملك، والدليل على ذلك أنها ما كادت تتخلص من الحاكم حتى ألغت جميع قراراته ضد النصارى وأعادت إليهم نفوذهم " وقوت همتهم وجدوا فى عمارة كنائسهم، وعاد النصارى إلى التظاهر بأعيادهم والظاهر يحضر لمشاهدة اجتماعاتهم " (١).

ومما يؤكد هذا الاحتمال أنه عقب وفاة الحاكم عين الأنبا جرجس بطريركاً على الإسكندرية، فاحتفلت ست الملك بهذه المناسبة وقدمت للبطريرك هدايا قيمة من بينها " ثياباً ومصاحف وآلات فضة كانت عندها لخالها أرسانيوس البطريرك القديس " (٢).

وهكذا استرد أهل الذمة مكانتهم فى المجتمع المصرى، وأعيد بناء الكنائس والأديرة وتعميرها، واتفق الظاهر مع الدولة البيزنطية على أن تعيد الدولة الفاطمية بناء كنيسة القيامة فى مقابل فتح جامع القسطنطينية (٣) الذى يبدو أنه أغلق كرد من جانب الدولة البيزنطية على تدمير كنيسة القيامة.

وبالإضافة إلى ما ذكر فيجب أن لا نغفل أن علاقة الدولة الفاطمية برعاياها من أهل الذمة كانت تتأثر فى بعض الأحيان بعلاقتها الخارجية بالدولة البيزنطية، ويظهر هذا جلياً فى الموقف الذى اتخذه الخليفة المستنصر عندما بلغه أن الدولة البيزنطية قد سمحت لرسول السلطان طغرلبك السلجوقي بالصلاة فى

---

(١) راجع : تاريخ الأنطاكى، ص ٢٣٧ وما بعدها.

(٢) تاريخ الأنطاكى، ص ٢٣٧.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٦.

جامع القسطنطينية وإقامة الخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسي سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م، فأصدر المستنصر أوامره بمصادرة كنيسة القيامة [(١)] والقبض على البطريرك واعتقاله في داره " وأغلق أبواب كنائس مصر والشام، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين، وزاد على النصارى في الجزية. وكان هذا ابتداء فساد ما بين الروم والمصريين " [(٢)].

ورغم ذلك فإن عهد الخليفة المستنصر كان يتسم بالاعتدال في معاملة أهل الذمة، فقد برز في عهده منهم أبو سعيد التسترى اليهودى الذى كان يتولى شئون أم المستنصر منذ أن كانت جارية عنده وباعها للخليفة الظاهر فأنجبت منه المستنصر، فلما تولى ابنها الخلافة، فوضت إلى أبي سعيد هذا أمر ديوانها فارتفع شأنه [(٣)] حتى أصبح يتحكم في أمور الدولة ويفوق في سلطانه الوزير والخليفة نفسه [(٤)] وكان المسلمون يشعرون بالحنق لنفوذ التسترى وأهل ملته من اليهود في الدولة والذين أساءوا معاملة المسلمين [(٥)].

---

(١) سرور، مصر في عصر الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٧١.

Lane Pool : Ahistory of Egypt, P. 148.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٣) راجع : النويرى، نهاية الأرب، ج ٢١، لوحة ٦٤.

(٤) راجع: المؤيد في الدين، سيرته، تحقيق محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٨١، ٨٤.

(٥) ابن ميسر، أخبار مصر، ج ٣، ص ٢، وقد عبر أحد الشعراء المعاصرين عن إحساس المرارة لدى المصريين قائلا :

يهود هذا الزمان قد بلغوا ∴ غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم ∴ ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر إني قد نصحت لكم ∴ تهودوا قد تهود الفلك

(راجع : السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١١٦، حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢١١).

ومن أمثلة التعبير عن الحقد على التسترى ما ذكره الشاعر المصرى المعروف بالذاكر فى هجائه :

تعاطيت تدبير الأمور سفاهة ∴ وأنت بدار الضرب والصرف أعرف
وإنى لأرجو أن أراك مجدلاً ∴ وريد المنايا من نجيعلك يرعف(١)

وكان من عادة الخليفة المستنصر استقبال بطريرك الإسكندرية فى قصره، وكان البطريرط يستقبل منذ وصوله إلى ساحل مصر (الفسطاط) استقبالاً حافلاً، فيخرج له متولى الصناعة مركباً من مراكب الخليفة الخاصة، فيركب فيها البطريرك بصحبته حاشيته ويحتشد لاستقباله على الشاطئ أعداد كبيرة من المشاهدين لتحيته، وعند وصوله إلى القاهرة، يشق طريقه إلى القصر فى موكب كبير وبين يديه القراء يبتهلون. وكان يسمح للبطريرك بالدخول على الخليفة فى مجلسه وكانت أخت الخليفة المستنصر ووالدته تحرصان على حضور هذه المقابلة تيمناً برؤية البطريرك وطلباً لبركته ويحملان معهما كميات من العطور والطيب لتعطير المجلس، ويطلبان من البطريرك منحهما البركة، وبعد أن يقوم البطريرك بمباركة القصر وأهله يخرج والقراء بين يديه إلى دار الوزير بدر الجمالى حيث يقابل بالاحترام والاكرام، ويبارك الوزير وأهله، فيخرج البطريرك فى طريقه إلى مصر فى حماية واليها الذى يركب معه لرعايته أثناء الطريق (٢).

ولكن أهل الذمة غالباً ما كانوا يسيئون استغلال مظاهر التسامح التى ينعمون بها فيظهروا بأنفسهم من رغبة فى التسلط والتعالى على المسلمين،

---

(١) توفى الذاكر فى حدود سنة ٤٧٠ هـ فى زمن الخليفة المستنصر.
والمجدل : الصريع على الجدالة وهى الأرض، يرعف : يسيل. والنجيع : دم الجوف (راجع : القفطى، انباه الرواة، ج ٢، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٨).
(٢) سيرة البيعة المقدسة، لوحة ٨٩.

ويقود هذا إلى ارتفاع الأصوات بالشكوى، وهذا ما حدث سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م عندما وصلت إلى المستنصر شكاوى بتجبر أهل الذمة وتطاولهم على المسلمين، فأصدر تعليماته بإلزامهم بلبس الملابس المميزة لهم (الغيار والزنانير) " وتعليق الدارهم الرصاص في أعناقهم مكتوب على الدراهم " ذمي " وأن تجعل هذه الدراهم أيضاً في أعناق نسائهم في الحمامات ليعرفن بها، وأن يلبس الخفاف فرداً أسود وفرداً أحمر، وجلجلاً في أرجلهن " [(١)].

لكن رغم ذلك فقد نعم أهل الذمة في عهد الخليفة الفاطمي الآمر (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م) بمرحلة من الهدوء والتسامح، وارتفع في عهد الآمر من أهل الذمة الراهب أبو نجاح ابن قنا الذي ولاه الخليفة رياسة الدواوين بعد اعتقال وزيره المأمون سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م وقد أساء هذا الرجل السيرة وعمت في عهده مصادرة الناس والاستيلاء على أموالهم ولم يسلم من هذا زعماء مصر وعوامهم [(٢)]، حتى أنه " صادر رجلاً حمالاً فأخذ له عشرين ديناراً " [(٣)] واستطاع هذا الراهب أن يحوز ثروة ضخمة وأن ينفق ببذخ وإسراف وكانت تصنع له ملابس خاصة به في تنيس ودمياط من الصوف الأبيض المحلى بالذهب، وكان يركب بالسروج المحلاة بالذهب والفضة ويدخل إلى جامع عمرو فيجلس هناك ويستدعي الناس للمصادرة [(٤)] وخلف عند موته ثروة كبيرة[(٥)].

---

(١) أبو المحاسن، النجوم، ج ٥، ص ١٣١.

(٢) راجع : ج ١٣، ص ٣٦٩، ٣٧٠ - الذي يقدر ما صادره من أملاك المسلمين بـ (٢٧٢٢٠٠) دار وحانوت غير ما لا يقدر من الأموال والأراضي.

(٣) مخطوط أخبار الدولة المنقطعة، لوحة ٧٧.

(٤) أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٧٧، اتعاظ، ج ٣، ص ١٢٧.

(٥) راجع : أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٧٨.

وكان من عادة الخليفة الآمر زيارة رهبان النصارى والإقامة في ضيافتهم، وكان كثير التردد على دير " نهيا بالجيزة " وأنشأ فيه منظرة مرتفعة لجلوسه، وكان يبيت فيه بعض الليالى فى ضيافة الرهبان عند خروج للنزهة والصيد، وكان يمنحهم فى كل زيارة هبة مالية مقدارها ألف دينار[١] " ثم إن الرهبان لما رأوا من الإمام الآمر مثل هذا الإنعام وصار لهم إدلال عليه، سألوه أن يطلق للدير طين يزرعوه فى كل سنة، فأجاب سؤالهم، وأنعم على الدير أرضاً فى الجيزة بخط يده مساحة ما يقارب ثلاثون فدانا " [٢].

كما أطلق الآمر يد النصارى فى تجديد كنائسهم، فزاد فى عهده نشاط النصارى فى تعمير كنائسهم واصلاحها [٣].

وفى عهد الخليفة الحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩ م) تبوأ أهل الذمة مكانة مرموقة فى الدولة وخاصة المسيحيين من الأرمن الذين تكاثرت أعدادهم فى مصر بفضل الوزير بهرام الأرمنى [٤] الذى " تمكن فى البلاد واستعمل الأرمن وعزل المسلمين وأساء السيرة فيهم وأهانهم هو والأرمن الذى ولاهم وطمعوا فيهم " [٥] وكان النصارى يسيطرون على الوظائف الهامة وخاصة ما يتعلق منها بمسح الأراضى وتقدير الضرائب، وكانوا لا يتورعون عن الكيد للمسلمين وظلمهم فى تقدير الضرائب، ويروى

---

(١) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٧٨.

(٢) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٧٨.

(٣) راجع : المصدر نفسه، ص ٤، ص ٥٦، ٥٧.

(٤) راجع : ابن حجر، رفع الاصر، ص ١٩٨، المقريزى، اتعاظ، ج ٣، ص ١٥٦.

(٥) الكامل، ج ١١، ص ١٨، ويذكر القلقشندى أن بهرام بعد توليه الوزارة كان يرسل بمكاتبات سرية إلى بنى جنسه من الأرمن وأفراد أسرته إلى أن اجتمع إليه منهم عشرين ألفا ما بين فارس وراجل (صبح، ج ٦، ص ٤٦١).

المقريزى مثالاً على ذلك مؤداه أن أحد موظفى الضرائب من النصارى، تشاجر مع صاحب معدية أثناء مروره لمسح أراضـى بعض النواحى لرفضه دفع أجر التعدية، فأرغمه صاحب المعدية على الدفع، فحنق عليه النصرانى، وادعى أنه يملك أرضاً فى الناحية مقدارها عشرون فداناً وسجل ذلك فى سجلاته، وفوجئ صاحب المعدية بمطالبته بدفع ضرائب هذه الأرض الوهمية، وأرغم على دفع الضرائب المقررة بعد أن ضرب وأهين رغم شهادة أهل الناحية بعدم ملكيته لأى شبر فيها، واضطر إلى بيع معديته لسداد قيمة الضرائب، ولجأ الرجل إلى القاهرة وتظلم إلى الخليفة الذى تحقق من صدق الرجل فقبض على الكاتب النصرانى وشهر به وعوقب على فعلته[1].

وتوضح هذه الحادثة مثالاً لما كان يعانيه المسلمون من تعسف الموظفين من أهل الذمة والكيد لهم، وإن كان هذا الرجل قد نجح فى إيصال صوته إلى الخليفة فمن المؤكد أن الكثيرين لم يتمكنوا من هذا، وقد أبدى الناس انزعاجهم من سيطرة الوزير بهرام والنصارى على شئون الدولة فى هذا الوقت " وتقدم كثير من حواشى الحافظ، ينكرون عليه ولاية بهرام مع كونه نصرانياً، وقالوا : لا يرضى المسلمون بهذا "[2].

وكان أخو بهرام يتولى ولاية قوص، فعم ظلمه الناس، وصادر أملاكهم مما أوقع الفزع والغضب فى قلوب المسلمين. واتصل أمراء الدولة[3] برضوان

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٠٥، ٤٠٦.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ١٥٦، قارن : ابن حجر، رفع الإصر، ص ١٩٨.

(٣) من وثيقة عن الخليفة الحافظ، تشير إلى أن الخليفة بنفسه قد أرسل الكتب إلى رضوان لاستدعائه لحسم الأمور والقضاء على تسلط بهرام والنصارى " وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعره بهذا الأمر الصعب وتستكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب. فاجاب دعاءه ولبى نداءه " (راجع : صبح، ج ٦، ص ٤٦١).

بن ولخشى والى الغربية يستنجدون به و " يشكون إليه ما حل بالمسلمين ويستحثونه على المصير وإنقاذهم مما نزل بهم " (١) واستجاب والى الغربية لأستغاثة المسلمين وقدم على رأس جيش كبير لمحاربة بهرام والقضاء على تسلط النصارى، وفر بهرام من القاهرة عندما شعر بقرب رضوان منها، ودخلها رضوان وتولى الوزارة مكانه، وفرح الناس بزوال عهد بهرام، ولما وصل الخبر إلى قوص تجرأ أهلها وهاجموا أخا بهرام وقتلوه (٢).

وانطلق شعور العامة الجامح كرد فعل لفترة التسلط والتشدد التى عانوها فى عهد بهرام، فهاجم " رعاع الناس وأوباشهم دار الوزارة فنهبوها " (٣) كما امتدت الأيدى إلى دور الأرمن وكنائسهم بالنهب والتخريب (٤).

واستجاب الخليفة الحافظ للشعور العام لدى المسلمين، فأمر بطرد النصارى من الوظائف فى جميع أنحاء الدولة، ولكن النصارى تحايلوا على هذا الأمر، مستغلين تعلق الخليفة بعلم النجوم، ودسوا له أحد العرافين الذى ادعى للخليفة أن أحوال البلاد تنصلح بتولية الدواوين لرجل حدد له أوصافه التى كانت تنطبق على أحد النصارى ويدعى الأخرم بن زكريا، ونجحت الحيلة، وتولى هذا الرجل رئاسة الدواوين، فأعاد كتاب النصارى إلى الوظائف المهمة فى الدولة وقويت شوكتهم وتسلطهم على المسلمين " وضايقوا المسلمين فى أرزاقهم، واستولوا على الأحباس الدينية والأوقاف الشرعية، واتخذوا العبيد

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ١٥٩، قارن : صبح، ج ٦، ص ٤٦١.
(٢) الكامل، ج ١١، ص ١٨، ١٩، اتعاظ، ج ٣، ص ١٦٠، ١٦١.
(٣) اتعاظ، ج ٣، ص ١٦١.
(٤) راجع : الخريدة النفيسة، ج ٢، ص ٣٧٥.

لماليك والجوارى من المسلمين والمسلمات، وصودر بعض كتاب المسلمين لجأته الضرورة إلى بيع أولاده وبناته، فيقال أنه اشتراهم بعض النصارى " [١]

والخلاصة إذن أن الدولة الفاطمية كانت تعامل رعاياها من اهل الذمة رح التسامح رغم فترات التوتر التى كان يقود إليها غالباً رغبتهم فى سيطرة والتسلط وإساءة معاملة المسلمين.

وكان من رسوم الدولة الفاطمية أن يحضر بطريرك النصارى على رأس اب الدولة وموظفيها من النصارى لتهنئة الخليفة بالأعياد فى القصر، كما ن يحضر تلك المناسبات أيضاً رئيس اليهود على رأس الموظفين منهم [٢].

وكان اليهود خلال العصر الفاطمى يمارسون نشاطهم التجارى فى حرية ن فى جميع أنحاء الدولة، وخاصة فى الإسكندرية التى كانت من أهم مراكز جارة الداخلية والخارجية [٣] وكان عدد اليهود فى الإسكندرية وحدها فى خر عهد الدولة الفاطمية حوالى ثلاثة آلاف يهودى[٤].

) خطط، ج ١، ص ٤٠٦، ويورد المقريزى أبياتا لأحد كتاب المسلمين تعبر عن مشاعرهم تجاه هذه الأوضاع، وتسلط الأخرم النصرانى، وكان أعورا فقال :

حكم النصارى فى الفروج ∴ وغالوا بالبغال وبالسروج
ته دولة الإسلام طراً ∴ وصار الأمر فى أيدى العلوج
ل للأعور الدجال هذا ∴ زمانك إن عزمت على الخروج

اجع الخطط، ج ١، ص ٤٠٦).

) خطط، ج ١، ص ٤٤٢.

(3)Heyd' Histoire du commerce du levant au Moyen Age; leipyeg, 19

I p. 41, PP. 106.

) رحلة بنيامين التطيلى، ص ١٧٩.

وكانت الدولة الفاطمية فى أواخر عهدها حريصة على توفير الأمان والاستقرار لرعاياها من أهل الذمة، ورفع الظلم عنهم، ونلاحظ ذلك جلياً فى المنشور الذى أصدره الخليفة الفائز إلى موظفيه فى شبه الجزيرة سيناء، يأمرهم فيه باستعمال الرحمة مع رهبان دير طور سيناء، وكان أسقف الدير قد تقدم بشكوى إلى الخليفة من ضريبة فرضت عليهم مقدارها عشرة دنانير، فأصدر الفائز أوامره " بإزالة هذا الرسم وتعفيته والمنع من التماسه من هذا الأسقف، والحذر من تناوله من جهته، واعتماده بالرعاية والملاحظة.. والتحذير من تكلفه أو أحد رهبانه مغرماً أو خسارة [1].

وهذه الوثيقة تعطى مثالاً لسياسة الدولة الفاطمية تجاه أهل الذمة واستجابتها لمطالبهم ورغبة الخلفاء فى الإحسان والعطف على رجال الدين منهم بوجه خاص.

ورغم ما عاناه أهل الذمة من فترات قاسية فإنها كانت غالباً رد فعل لموقفهم من المسلمين، فلا يمكن أن نرمي الخلفاء الفاطميين بالتعصب ضد أهل الذمة وحتى الخليفة الحاكم صاحب القرارات العنيفة ضدهم كان يستخدمهم فى الوظائف الهامة كما ذكرنا، وإذا كان أهل الذمة قد عانوا فى عهده، فإن قراراته قد شملت جميع رعاياه دون استثناء.

---

(١) راجع نص الوثيقة : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد الخامس، ١٩٥٦، ص ١١٩ - ١٢١، حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢١٦، ٢١٧

الفصل الرابع

المرأة فى المجتمع الفاطمى

١ - النساء فى القصر الفاطمى :

كانت القصور الفاطمية فى مصر تضم أعداداً كبيرة من النساء لا يمكن تقديره [١]، وقد تنوعت مكانتهن الاجتماعية، وما يقمن به من مهام ووظائف داخل القصر. فكان على رأسهن زوجات الخليفة وحظاياه وجواريه، بالإضافة إلى الخادمات اللاتى تسند إليهن أعمال مختلفة فى القصر، وكانت هناك أنواع من الوظائف لا يشغلها إلا النساء مثل الإشراف على المائدة الشريفة الخاصة بالخليفة [٢] وكان يقوم بهذا العمل امرأة تحمل لقب " المعلمة مقدمة المائدة "[٣] كما كانت تتولى خزانة الملابس الخاصة بالخليفة وتعرف " بخزانة الكسوة الباطنة " امرأة تلقب " بزين الخزان " ويساعدها ثلاثون جارية " فلا يغير الخليفة أبداً ثيابه إلا عندها"[٤].

وكانت " خزانة الشراب " وهى إحدى خزائن القصر المهمة [٥] يسند الإشراف عليها أيضاً إلى إحدى نساء القصر المستخدمات [٦] بالإضافة إلى عدد كبير من النساء اللاتى يقمن بالوظائف المختلفة فى القصر كان يطلق عليهن " المستخدمات أرباب الصنائع " [٧] كما كان يقوم على خدمة زوجات الخليفة وحظاياه من المقربين إليه عدد من النساء يطلق عليهن " المستخدمات عند

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٤٨.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٢١.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤١١.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤١٣.

(٥) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٢٠.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤١١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤١١.

الجهات العالية " [١] وكان بعضهن يحملن فى خدمة الأمراء من أرباب الوظائف فى القصر وخاصة من الأستاذين المحنكين [٢].

وكان بالقصر عدد من الجاريات اللاتى يجدن فنون الغناء والطرب والعزف على الآلات الموسيقية والرقص لإدخال السرور على الخليفة وحاشيته فى مجالسه الخاصة [٣].

أما عن الألقاب التى حظى بها النساء فى هذا العصر فهى نادرة، ولم يذكر المؤرخون إلا القليل منها، ومن هذه الألقاب ما كان يطلق على زوجة الخليفة التى كانت تتمتع بمكانة مرموقة فى القصر، وكانت تلقب " بالجهة العالية " أو " الجهات العالية " فى حالة تعددهن أو " الجهة المعظمة "[٤] ويبدو أن زوجات وحظايا الأمراء وكبار رجال الدولة لم يكن من حقهن التمتع بهذا اللقب، وكان يطلق عليهن " الجهة " فقط [٥] وكانت زوجة الخليفة أحياناً تنسب إلى زوجها مثل " السيدة علم الآمرية " [٦] زوجة الخليفة الآمر، وكان اللقب المنتشر بين نساء القصر من الأميرات بنات الخلفاء وأقاربهن لقب "السيدة الشريفة " [٧].

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٢) نفسه.

(٣) تراجع التفاصيل فى الفصل الخاص بالغناء والطرب.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٨٦.

(٥) راجع خطط، ج ١، ٤١٠، ٤١١، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٣٧.

(٦) خطط ج ٢ ص ٤٤٦.

(٧) عمارة اليمنى، النكت العصرية، شالون، ١٨٩٧، ج ١، ص ٣٢.

وكانت زوجات الخلفاء والأميرات وكبار نساء القصر يخزن الثروات الضخمة واشتهرت الكثيرات منهن بالثراء والبذخ [١]، كما كانت بعض جوارى القصر يقتنين ثروات كبيرة، من أمثلة ذلك عائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز التي توفيت سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤م " وكانت من وجوه عجائز القصر وخلفت أربعمائة ألف دينار " [٢] كما كان بعضهن يملك العقارات والدور والاقطاعات[٣] وكانت هذه الأملاك تؤجر لحسابهن ويحصلن على ريعها.

٢ - الدور السياسي للمرأة :

وقد لعبت بعض نساء القصر دوراً مؤثراً في مجرى الأحداث فى العصر الفاطمي، وكان لهن تأثير كبير فى بعض الظروف سياسياً واجتماعياً، والمعروف أن ست الملك ووالدتها المسيحية كانتا لهما تأثير كبير على العزيز ومحاباته لأهل الذمة، كما كانت ست الملك الرأس المدبر وراء اغتيال أخيها الحاكم بأمر الله[٤] كما كان لأم الخليفة المستنصر نفوذ كبير فى الدولة الفاطمية، وقد انعكس هذا النفوذ على المشرف على ديوانها أبى سعيد ابراهيم بن سهل التسترى الذى سيطر عن طريقها على شئون الدولة [٥].

والطريف أن المرأة فى بعض الأحوال كانت تقوم بالتجسس لصالح من ترغب فى نصرته والزود عنه، فيروى أن أم الوزير الأفضل بن بدر الجمالى،

---

(١) راجع ما كتب عن عبدة ورشيدة ابنتا المعز وغيرهما من نساء الأسرة الفاطمية فى الفصل الخاص بطبقة الخاصة.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ١٧٣.

(٣) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٥.

(٤) راجع ما سبق أن ذكرناه فى الفصل الخاص بأهل الذمة فى المجتمع الفاطمى.

(٥) راجع : الفصل السابق، السيرة المؤيدية، ص ٨١، ٨٤، الذخائر والتحف، ص ٧٤.

عندما كان ابنها غائباً عن القاهرة في مهمة القضاء على ثورة نزار وأعوانه في الإسكندرية، كانت تندس بين الناس في الأسواق والجوامع وهي متنكرة، وتلقى على أسماع الناس ذماً في الأفضل مدعية أن لها ابناً في جيشه تخشى عليه من الحرب، وتستمع إلى ما يعلق به السامعين على ذمها، ولما عاد الأفضل بعد انتصاره نقلت إليه ما كان يقال عنه، وانتقم الأفضل من الذين قدحوا فيه، وأحسن إلى من قال فيه خيرا (١). كما كان للخليفة الآمر جارية على درجة كبيرة من العلم والثقافة وتجيد معرفة علوم الطب والنجوم والموسيقى وكانت تحب الآمر وتحافظ عليه من المؤامرات التي كان يدبرها ضده وزيره الأفضل لدس السم له وقتله، وكان لها دور كبير في تدمير مؤامرة اغتيال الأفضل (٢) وزوال خطره عن الخليفة.

وقد تدخلت عمة الخليفة الحافظ في مؤامرة اغتيال الصالح طلائع بن رزيك سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م الذى كان يسيطر على أمور القصر ولا سيما بعد أن زوج ابنته للخليفة، فتبرمت نساء القصر من وطأته وتسلطه عليهم وأرادت عمة العاضد التخلص منه فأرسلت " الأموال إلى أمراء المصريين، ودعتهم إلى قتله، فلما دخل القصر ضربون بالسكاكين فجرحوه جراحات مهلكة"(٣).

٣ – نساء العامة :

أما عن النساء من طبقة العامة، فإن المصادر لا تمدنا بتفاصيل كافية عن حياتهن الخاصة، وما كان يحترفن من أعمال، ولكنه من البديهي أن المرأة كانت تقوم بالأعمال العادية في نطاق الأسرة كربة بيت، بالإضافة إلى ذلك فإن بعض

---

(١) راجع تفاصيل هذه الرواية، اتعاظ، ج ٣، ص ١٥ – ١٧.

(٢) أبو المحاسن، النجوم، ج ٥، ص ٢١٨.

(٣) ابن الأثير الكامل، ج ١١، ص ١٠٣

الأعمال كانت تباشرها النساء بوجه خاص مثل غسل الموتى من النساء والمزينات، والقوابل، وكان بعضهن يعملن في التجارة وخاصة بيع الغزل والملابس الجاهزة [١]. وكانت بعض النساء الفاضلات يعملن بالوعظ والقاء الدروس الدينية، ومن أمثلة ذلك السيدة أم الخير الحجازية وكان لها رباط باسمها في القرافة الكبرى، وكانت تعقد مجالس الوعظ للنساء في جامع عمرو بن العاص [٢].

وكانت النساء العجائز والأرامل موضع عطف ورعاية من الدولة وخاصة من جانب نساء القصر وزوجات الخلفاء، وكانت النساء الثريات يشعرن بحاجة بني جنسهن إلى تأمين حياتهن ومستقبلهن خاصة بعد وفاة الزوج، فيروى المقريزى أن زوجة الخليفة الآمر أقامت داراً خاصة في سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م للعجائز الأرامل [٣] يجدن فيها كافة حاجتهن وتجنبهن مذلة السؤال. كما كان يخصص لعجائز القصر وأقارب الأشراف قصر خاص للسكنى يعرف بالقصر النافعي [٤].

وكانت القواعد الاجتماعية ترمي إلى المحافظة على المرأة ومنع تعرضها للمضايقات في حياتها العامة والخاصة، فكان من المحظور أن يختلي رجل بامرأة ليست له بمحرم [٥] في طريق أو غيره، وكان المحتسب يراقب الآداب العامة ويتفقد المواضع التى يكثر ازدحام النساء فيها مثل الحمامات وسوق الغزل والكتان وشطوط الأنهار، ويمنع الشباب من الإنفراد بالنساء إلا في عمل يتعلق

---

(١) راجع : تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٨، ابن سعيد، النجوم، ٦٤.

(٢) خطط، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٠٨.

(٥) صبح، ج ١٠، ص ٣٥٢.

بالبيع والشراء " فكثير من الشبان المفسدين يقفون فى هذه المواضع وليس لهم حاجة غير التلاعب على النسوان " [١].

وكانت التقاليد تقضى بأن يخصص مكان للنساء فى الجوامع ومجالس الوعظ بحيث لا تصل إليهن عيون الرجال، وبعد الانتهاء من الصلاة أو السماع للوعظ كن يسلكن طريقا غير الذى يسلكه الرجال [٢] منعا لانتهاك حرمة المرأة.

كما كان لا يجوز التطلع إلى عورات الجيران من أسطح الدور أو النوافذ ويمنع الرجال من الجلوس فى طرقات النساء، وكذلك يمنع النساء من الجلوس على أبواب دورهن حتى لا تتطلع إليهن أعين الرجال وكان المحتسب يشرف على تنفيذ هذه الأمور ويعاقب من يخالفها من الجنسين[٣].

ورغم ذلك فإن هذه القواعد الأخلاقية لم تكن تنفذ بدقة، فالنساء كن يشتركن مع الرجال فى معظم الاحتفالات الخاصة بالأعياد والمناسبات المختلفة وكانت تحدث أثناء العديد من مظاهر الفسق والانحلال [٤]، كما كان للمرأة حرية الخروج إلى الأسواق وحضور مجالس الوعظ والذهاب إلى المساجد والحمامات، وكانت للنساء حمامات خاصة بهن [٥]، كما كن يخرجن إلى الشواطئ للنزهة والفرجة [٦].

---

(١) راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ١١٠.

(٣) راجع : نهاية الرتبة، ص ١٤.

(٤) راجع التفاصيل فى الباب الخاص بالأعياد.

(٥) وفيات، ج ٢، ص ١٢٧.

(٦) راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ١٠٩، ١١٠

ويبدو أن بعض النساء قد أساء استخدام الحرية التي يتمتعن بها، وكن يخرجن ليلاً ويختلطن بالرجال، ولم يستجبن لزجر أزواجهن أو من يعولهن لمنعهن من ذلك " وغلب النساء على أزواجهن على الخروج " [١] مما دفع الخليفة الحاكم إلى اصدار قرار في سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م بمنع النساء من الخروج من دورهن بعد العشاء [٢].

٤ - اضطهاد النساء في عهد الحاكم بأمر الله :

وقد تعرضت المرأة في عهد الحاكم إلى العديد من القرارات العنيفة والأفعال التي تتسم بالقسوة، ولم يسلم من ذلك نساء القصور أو العامة منهن.

ويروى أن الحاكم مر على إحدى حمامات النساء فسمع صيحاتهن وأصوات غنائهن فأمر بأن يبنى عليهن باباً، فسد عليهن الحمام حتى متن جميعاً[٣] وبلغ به الأمر أن أخرج من قصره جماعة من حظاياه وأمهات وأولاده ووضعهن في صناديق مثقلة بالحجارة وأغلقت عليهن وأمر بالقائهن في النيل[٤] كما سد على بعض الجوارى والحظايا حجرة في القصر وتركهن حتى الموت[٥].

ويبدو أن الحاكم كان مدفوعاً إلى ذلك بشدة الغيرة على نسائه وعدم ثقته في المرأة بوجه عام وتوقعه الخيانة منها، ولهذا كان يتجسس على النساء لكشف أسرارهن " وجهز نساء عجائز كثيرة يستعلمن أحوال النساء لمن

---

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٢.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) أبو بكر الداوادارى، الدرة المضية، ص ٢٥٨.

(٤) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٦.

(٥) ابن سعيد، النجوم، ص ٦٣.

يعشقن أو يعشقهن وأسماء من يتعرض لهن [١]، وقد نجح الحاكم بهذه الطريقة في الحد من موجة الفسق والفجور في عهده، فكان ينتقم بقسوة ممن " يطلع على فسقهم، فضاق الحال، واشتد على الفساق والنساء ذلك، ولم يتمكن أحد منهن أن يصل إلى أحد إلا نادراً " [٢].

ولم تسلم نساء البيت الفاطمي من قرارات الحاكم، فقد صادر أملاك " والدته وعماته وحرمه وخواصه من النساء " [٣] وحرمهن من كافة ممتلكاتهن واقطاعاتهن. والمعروف أنه اتهم أخته ست الملك في شرفها وكان يحقد عليها ويفكر في قتلها [٤].

وكانت أعنف القرارات الاجتماعية التي أصدرها الحاكم سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ضد المرأة هو قراره بمنع النساء نهائياً من الخروج من دورهن إلى الطرقات ليلاً أو نهاراً حتى أنه حرم عليهن الظهور على أسطح المنازل وأغلقت طاقات الدور [٥]. فاحتبست النساء في دورهن، فلم تكن تلوح امرأة في طريق وأغلقت حماماتهن ومحيت صورهن من على جدرانها، وشق على التجار وباعة السلع النسائية، وتوقف الأساكفه عن عمل خفاف النساء وتعطلت حوانيتهم [٦].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٥٢.

(٢) ابن كثير، المصدر نفسه والصفحة.

(٣) تاريخ الإنطاكي، ص ١٩٥.

(٤) راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٦٤، اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٧

(٥) راجع : النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٧.

(٦) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٨، اتعاظ، ج ٢، ١٠٢، ١٠٣، محمد عبد الله عنان. الحاكم بأمر الله، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٦٧.



وقد استثنى الحاكم من هذا القرار النساء العاملات في غسل الموتى والمزينات من الاماء، والإماء اللاتى يبعن فى سوق الرقيق، والنساء اللاتى يتظلمن إلى مجلس الحكم والخارجات إلى الحج، ووضع لخروج هؤلاء ضوابط شديدة، فلا تخرج إحداهن من دارها إلا برقعة يوقع عليها المحتسب وينـدب متولى الشرطة من يثق فيه من رجاله لمصاحبة المرأة إلى مقصدها ثم إعادتها[١].

ولما استمر الحال على ذلك ضاقت سبل العيش بالنساء، وخاصة من لا عائل لهن يسد مطالبهن من خارج الدور، واشتكى التجار إلى الحاكم من كساد بضائعهم فسمح لهم بأن يحملوا ما يبيعونه في الأسواق، ويطوفون به في الدروب، ويبيعونه للنساء فى دورهن على أن توضع البضائع المباعة فى وعاء له ساعد طويل كالمغرفة، فتأخذ المرأة حاجتها وتضع الثمن دون أن يراها البائع [٢] واستمر هذا المنع سبع سنين إلى خلافة الظاهر سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م [٣] حيث أطلقت ست الملك للنساء حرية الخروج من دورهن والتصرف في أمورهن.

---

(١) تاريخ الانطاكي، ص ٢٠٨، ابن سعيد، النجوم، ص ٦٤.

(٢) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٧.

Lane pool , Ahistory of Egypt. P. 100.

(٣) ابن حماد، أخبار ملوك بنى عبيد، ص ٥٥.

الباب الثانى

الأعياد والاحتفالات ووسائل اللهو والتسلية

الفصل الأول : الأعياد الدينية الإسلامية العامة.

الفصل الثانى : الأعياد والاحتفالات الشيعية الخاصة.

الفصل الثالث : الأعياد والاحتفالات القبطية.

الفصل الرابع : الاحتفالات القومية والأسرية.

الفصل الخامس: اللهو والطرب ووسائل التسلية.



مدخل:

تمتعت الدولة الفاطمية بثراء عريض لم تعرفه الدول الإسلامية المعاصرة لها، وانعكس هذا الثراء إلى بذخ وإسراف في مظاهر احتفالاتها بالأعياد والمواسم التي أبدعوا في تنظيمها وانفقوا عليها دون حساب، حتى يخيل لمن يقرأ تفاصيل الاحتفال بالأعياد والمواسم والمناسبات المختلفة في ذلك العصر، أن أيام الدولة كانت كلها أعياداً وأعراساً(١). فلم يترك الفاطميون مناسبة دينية أو مذهبية خاصة أو عامة إلا وأطلقوا فيها العنان لبذخهم وتأنقهم معتمدين على ثراء دولتهم، وكأنهم أرادوا أن يظهروا لأعدائهم مدى ما هم عليه من ثراء وقوة فلا تحدثهم أنفسهم بالتجرؤ عليهم، أو كأنهم أرادوا أن يلهو رعيتهم من أهل السنة عن أمور السياسة وما يقال من الطعن في نسبهم وأحقيتهم في الخلافة، فأكثروا من الاحتفالات التي كانت تنثر فيها الأموال على العامة، وتقام فيها الموائد الضخمة، والمواكب المهيبة التي تجذب اليها الأنظار والقلوب.

---

(١) راجع: خطط، ج ٢، ص ٢٨٥، ويذكر عمارة اليمني في قصيدته التي رثى فيها الدولة الفاطمية طرفا من أعيادها ومكارمها فيقول:

دار الضيافة كانت أنس وافدكم ∴ واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم اذ أضحت مكارمكم ∴ تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ∴ ورث منها جديد عندهم وبلي
وموسم كان في يوم الخليج لكم ∴ يأتي تجملكم فيه على الجمل
وأول العام والعيدين كم لكم ∴ فيهن من ويل جود ليس بالوشل
والأرض تهتز في يوم الخليج كما ∴ يهتز ما بين قصر يكم من الأسل
والخليل تعرض في وشي وفي شية ∴ مثل العرائس في حلي وفي حلل

(راجع القصيدة،خطط ج ١ص٤٩٥،٤٩٦)

وكانت هذه الاحتفالات بما تحويه من مظاهر الفخامة والبذخ من النادر أن نجد مثيلها في أى عصر من العصور الإسلامية، وكانت معظم هذه الاحتفالات يشارك فيها الخليفة وكبار رجال الدولة طبقاً لرسوم دقيقة وتقاليد ثابتة أخذت طابعها منذ دخول الفاطميين إلى مصر ثم رسخت مع الوقت في المجتمع المصرى حتى أصبحت أساساً لمعظم الاحتفالات التى قامت فى الدول التى أعقبت حكم مصر بعد الفاطميين وخاصة دولة المماليك[١] إلا ما يتعلق منها بالأعياد الشيعية. ومازال آثار بعض هذه الأعياد قائماً حتى الآن شاهداً على عظمة الدولة الفاطمية وتأثيرها فى المجتمع المصرى.

وكان الشعب المصرى بمختلف طبقاته يشارك فى هذه الاحتفالات وينغمس فى جو المرح التى تضيفها هذه المناسبات على الحياة مغرقاً فى اللهو وتناول مختلف أصناف الطعام والشراب، مستمتعاً بالمواكب الخلافية التى تتسم بكل مظاهر العظمة والجمال والمآدب الرسمية التى تحوى أجود أصناف الأطعمة والحلوى، وتمتلئ الأسواق بالناس فى ملابسهم الزاهية يشترون لأولادهم اللعب من الدمى الملونة، والعرائس والتماثيل من الحلوى[٢] كما كانت الأعياد مناسبة للفقراء والسوقة للحصول على الصدقات والهبات من القادرين، فكان يمر بعضهم على التجار وأصحاب الحوانيت في الأسواق، ويعلنون عن أنفسهم بالطبل والزمر والنفخ فى الأبواق والرقص، فيتصدق عليهم التجار[٣].

---

(١) راجع: ماجد، مقالة عن الأعياد الفاطمية، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٥٤، المجلد الثانى، ص ٢٥٣، ٢٥٧، نظم، ج ٢، ص ٣٩ - ٤٤.

(٢) خطط، ج١، ص٩٩، ١٠٠، ابن الأخوة، معالم القرية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١١٢.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٣ - والطريف أننا مازلنا نلاحظ هذه الظاهرة فى المواسم والأعياد حتى الآن فى الأحياء الشعبية.

وفى بعض تلك الأعياد كان الخليفة يركب فى مواكب ضخمة يطلق عليها المؤرخون " المواكب العظام"[١] تمييزاً لها عن" المواكب المختصرة" التى كان يخرج فيها الخليفة عدة مرات فى العام وتكون غالباً فى يومى السبت والثلاثاء[٢].

وسنتناول فى الصفحات التالية هذه الأعياد بشئ من التفصيل.

---

(١) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٩، وما بعدها، ج ٨، ص ٣١٤، خطط، ج ١، ص ٤٤٥ وما بعدها، النجم الزاهر، ج٤، ص ٧٩ وما بعدها.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٣١٧.



الفصل الأول

الأعياد الدينية الإسلامية العامة

١ - رأس السنة الهجرية.

٢ - الاحتفال بالمولد النبوى.

٣ - احتفالات ليالى الوقود.

٤ - الاحتفال بشهر رمضان.

٥ - الاحتفال بعيد الفطر.

٦ - الاحتفال بعيد الأضحى.



١ - رأس السنة الهجرية:

كان الاحتفال برأس السنة الهجرية من أبهج الاحتفالات الفاطمية، فكان الاستعداد لهذا الاحتفال يبدأ فى الأيام العشرة الأخيرة من شهر ذى الحجة بإخراج الأسلحة النفائس وإعداد الخيول المشتركة فى الموكب الكبير الذى يخرج صبيحة يوم الاحتفال. فيخرج من خزانة الأسلحة ما يحمله طوائف الجند فى الموكب، وصبيان الركاب المحيطين بالخليفة من أنواع الأسلحة المختلفة المحلاة بالذهب والفضة والجواهر، كما يخرج من خزانة التجمل الألوية والبنود والعماريات[١] بالإضافة إلى الطبول الضخمة التى تحمل على البغال وتصاحب الموكب. ومن الاصطبلات مائة فرس برسم ركوب الخليفة وكبار رجال الحاشية عليها سروج محلاة بالذهب والفضة والجواهر وفى أعناقها أطواق من الذهب وقلائد العنبر، بالإضافة إلى الخيول التى خصصت لكبار رجال الدولة حسب مكانة كل منهم[٢].

وكان يعد لهذه المناسبة ما يعرف بصناديق الإنفاق، وهى تحوى الدنانير والدراهم ضرب السنة الجديدة لتوزيعها على رجال الدولة وأرباب الرتب والحاشية والموظفين ابتهاجاً برأس السنة الهجرية[٣].

وتستمر الاستعدادات لموكب رأس السنة حتى يوم التاسع والعشرين من ذى الحجة حيث تجرى تجربة للعرض داخل القصر بحضور الوزير وكبار رجال

---

(١) العماريات نوع من الهوادج يجلس فيه الأشخاص لسترهم وتحمل غالبا على الجمال، ومفردها عمارية بتشديد الميم(راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٧١، هامش(١)، (Dozy ; Supp, dith, Ar.)

(٢) راجع: التفاصيل: صبح، ج ٣، ص ٥٠٠، خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤٦.

الدولة" فتمر أمام الخليفة الدواب المشتركة فى العرض دابة دابة وهى هادئة كالعرائس بأيدى شداديها حتى ينتهى العرض"(١)، ويذكر ابن الطوير أن الخيول التى تشترك فى الموكب يجرى تدريبها على سماع أصوات الطبول والصفافير والصنوج قبل الموكب بأسبوع وخاصة تلك التى يركبها الخليفة وكبار رجال الدولة، فتمرن على السير ومن حولها أصوات البوق والطبل حتى لا تنفر من هذه الأصوات أثناء الموكب(٢).

ومن جهة أخرى فإن مطابخ القصر كانت تعد لهذه المناسبة أصنافاً متعددة من الأطعمة فى ليلة رأس السنة من الخراف والرؤوس وأنواع الحلوى والخبز والألبان وكانت هذه الأطعمة توزع طبقاً لرسوم محددة على جميع رجال الدولة وحاشية الخليفة وأرباب الرتب والوظائف، كما يصل الكثير منها إلى عامة الناس من أهل القاهرة والفسطاط(٣).

وفى صبيحة يوم الاحتفال يجتمع كبار رجال الدولة من أرباب السيوف والأقلام فى ميدان بين القصرين ويحضر الوزير مبكراً إلى القصر استعداداً لخروج الموكب وقد احتشدت طوائف الجند طبقا لترتيب محدد فى الميدان والجميع فى أبهى زينة من الثياب ونفيس السلاح(٤) وبمجرد ظهور الخليفة من باب القصر يعزف بوق خاص وتتبعه بقية البوق فى الموكب ويبدأ الاستعداد لسير الموكب، وكان الخليفة فى هذه المناسبة يرتدى ملابس بيضاء على رأسه عمامة كبيرة تعرف بشدة الوقار وتعلو جبهته جوهرة عظيمة القيمة تعرف

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤٤.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٩.

بالپتيمة وبجانبه حامل المظلة التى تشبه فى لونها لون ملابس الخليفة(١) ويحيط به نحو ألف رجل من صبيان الركاب. وعشرون رجلاً من صبيان الخاص يحمل كل منهم راية من الحرير على رماح طويلة مكتوب عليها" نصر من الله وفتح قريب"(٢). بالإضافة إلى حاملى المباخر التى تنبعث منها روائح البخور والعطرة(٣)، ويسير الموكب فى طريقه المرسوم طبقا لنظام محدد لطوائف الأمراء والجند فى رفق يتقدمه والى القاهرة لإفساح الطريق وإزالة ما قد يعترض طريق الموكب، وتصاحب الموكب دقات الطبول والصنوج وعزف العصافير فى صوت قوى، وقد احتشد الناس على جانبى الطريق لمشاهدة الموكب يعمهم السرور، وقد زين التجار حوانيتهم وعرضوا بضاعتهم حتى تعمها البركة بنظر الخليفة إليها(٤).

ثم يعود الموكب فى نهاية الأمر إلى ميدان بين القصرين حيث يصحب الوزير الخليفة إلى باب القصر، ومن حوله كبار رجال الدولة ثم ينصرف الجميع إلى دورهم(٥).

وكانت العادة المتبعة أن يقوم السقاءون برش الطريق الذى يسلكه الموكب(٦)، بهدف منع إثارة الغبار على الراكبين فى الموكب الذى يشترك فيه عدد كبير من الخيول والجمال.

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٨، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٨٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤٨.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٢١.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٦.

(٥) راجع تفاصيل هذا الموكب: صبح، ج ٣، ص ٤٩٦ وما بعدها، خطط، ج ١، ص ٤٤٥ وما بعدها، نجوم، ج ٤، ص ٧٩ وما بعدها، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٨٧ وما بعدها.

(٦) اتعاظ، ج ٣، ص ١٠٠، ١٠١.

كما كان من عادة الخلفاء الفاطميين فى هذه المناسبة أن يأمروا دار السكة بضرب عملة جديدة تعرف" بالغرة" يتم ضربها فى العشرة الأيام الأخيرة من ذى الحجة وتحمل تاريخ السنة الجديدة وتوضع فى" صناديق الإنفاق" كما ذكرنا. وكانت هذه العملة توزع على جميع رجال الدولة، وكان يحمل إلى الوزير منها عدداً يوازى أيام السنة الهجرية، فيمنح ستمائة وستون ديناراً ومثلها من أنواع العملة الأقل قيمة، ثم يوزع بعد ذلك على باقى رجال الدولة وأرباب الوظائف على حسب رتبة كل منهم حتى يصل أن يحصل البعض على قطعة واحدة من هذه العملة وكان الجميع يتقبل ذلك على سبيل البركة(١).

٣ – الاحتفال بالمولد النبوى:

كان الاحتفال بالمولد النبوى فى الدولة الفاطمية يتميز بكثرة ما يوزع فيه من الصدقات والأطعمة والحلوى، فكان يخصص من" مال النجاوى" التى يدفعها أتباع المذهب الفاطمى مقدار ستة آلاف درهم توزع على سبيل الصدقة فى هذه المناسبة كما كان بعض رجال الدولة يجودون فى هذه المناسبة بالصدقات الوافرة، فكان سناء الملك بن ميسر يوزع فى هذه المناسبة على الفقراء والمحتاجين" أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز"(٢).

وكانت دار الفطرة تستعد للاحتفال بهذا اليوم بإعداد كميات كبيرة من الحلوى اليابسة يستخدم فى استعمالها عشرون قنطاراً من السكر وتعبأ فى ثلثمائة صينية من النحاس ويجرى توزيع هذه الحلوى على رجال الدولة من أول النهار إلى الظهر طبقا لرسوم محددة فيبدأ بقاضى القضاة وداعى الدعاة ثم

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٠٥، خطط، ج ١، ص ٤٥٠.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣٢، وسناء الملك هذا هو الشريف أبو محمد بن محمد الزيدى الحسينى كان يتولى وظيفة كاتب الانشاء فى عهد الخليفة الآمر(اتعاظ، ج ٣، ص ١٣٣).

القراء بالقصر والخطباء والمتصدرون للتدريس بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد[١] كما يخرج من دار الفطرة أربعون صينية من الحلوى برسم المشرفين وخدام المشاهد الشريفة لآل بيت رسول الله[٢].

أما الاحتفال الرسمى بالمولد النبوى فكان يبدأ بعد صلاة ظهر اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول فيخرج قاضة القضاة على رأس موكب الاحتفال وبصحبته الشهود العدول والمكلفون بحمل صوانى الحلوى ويتجه الجميع إلى الجامع الأزهر، وهناك يجلس القاضى مدة لسماع القرآن حتى يتم ختم المصحف الشريف ثم يعود الموكب إلى القصر وقد احتشد الناس على جانبى الطريق لمشاهدته، وكذلك حول منظرة القصر للتطلع إلى الخليفة ويحاول صاحب الباب بمساعدة والى القاهرة منع زحام الناس وإخلاء الطريق أمام موكب قاضى القضاة، وتنظف المسالك المؤدية إلى القصر وترش بالماء وتغطى بالرمل الأصفر، وعندما يصل الموكب إلى القصر، يستدعى صاحب الباب قاضى القضاة ومن فى صحبته فيترجل الجميع عند اقترابهم من المنظرة وينتظرون تحتها وهم متشوقون لرؤية الخليفة، وبعد فترة تفتح إحدى طاقات المنظرة ويظهر منها وجه الخليفة وحوله المقربين من الأساتذة المحنكين ورجال الحاشية ويخرج أحد الأستاذين المحنكين يده من طاقة أخرى ويشير بكمه قائلاً: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام، ثم يبدأ بعدها الاحتفال فى القصر بقراءة القرآن ويتبارى خطباء الجوامع الكبرى فى الخطابة وذكر مناقب الرسول"

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٩٨، ٤٩٩، خطط، ج ١، ص ٤٣٣.

(٢) خطط، ج ٣، ص ٤٣٢ – والمقصود بالمشاهد الشريفة التى كان يتبرك الناس بزيارتها فى مصر(الفسطاط) مشهد زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب(خطط، ج٢، ص ٤٤٠) ومشهد السيدة كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق (خطط، ج ٢، ص ٤٤٢).

ﷺ" وما يناسب هذه الذكرى الجليلة، ويختمون خطاباتهم بالدعاء للخليفة، فإذا انتهى الاحتفال أخرج الأستاذ يده من الطاقة للقاضي وجماعته مشيراً برد سلام الخليفة كما تقدم ثم تغلق الطاقتان وينصرف الجميع إلى دورهم[١].

ورغم أن المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن الاحتفالات الشعبية بهذه المناسبة الدينية الهامة، إلا أنه من المعتقد أن العامة كانوا يحتفلون بهذه المناسبة بالخروج إلى الجوامع والاحتشاد لمشاهدة موكب قاضي القضاة، وحول القصر لمشاهدة الخليفة عند ظهوره من المنظر، كما أنهم كانوا يحتفلون في دورهم بإعداد الأطعمة الفاخرة وأصناف الحلوى، ويدخلون السرور على أولادهم بشراء الحلوى من الأسواق، وكان سوق الحلاويين في العصر الفاطمي يحوى في المواسم والأعياد أصناف الحلوى المختلفة التي تصنع من السكر والتي تأخذ أشكالاً مختلفة مثل الخيول والضباع والقطاط وغيرها وكان يشترى منها الناس في هذه المناسبات" فلا يبقى جليل ولا فقير حتى يبتاع منها لأهله، وتمتلئ أسواق البلدين مصر والقاهرة وأريافها من هذا الصنف"[٢].

٣ - احتفالات ليالي الوقود:

كان الاحتفال بليالي الوقود الأربع من الاحتفالات البهيجة في الدولة الفاطمية وكان يحتفل بها في أول شهر رجب ونصفه وأول شهر شعبان ونصفه، وكان أهم مظاهر هذا الاحتفال إضاءة الجوامع والمساجد من الداخل والخارج كما تضاء المآذن والأسطح فتتلألأ بالأضواء الساطعة، وتصبح وكأنها شعلة من نور، ويحتشد فيها الناس على مختلف طبقاتهم للتعبد ومشاهدة

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٩٩، خطط، ج ١، ص ٤٣٣.

(٢) راجع: خطط، ج ١، ص ٩٩، ١٠٠.

الزينات والاستمتاع بما يوزع عليهم من أصناف الطعام والحلوى وما يطاف عليهم به من مجامر البخور المعطرة المصنوعة من الذهب والفضة(١).

ويصف المسبحي الاحتفال بليلة النصف من رجب سنة ٣٨٠ هـ / أكتوبر ٩٩٠ م فيذكر أن القاضي محمد بن النعمان حضر إلى الجامع الأزهر وبصحبته الشهود ووجوه البلد، وقدمت إليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء والمنشدون ووزع على الناس الأطعمة وبخرهم وانصرف إلى داره عند منتصف الليل(٢).

وفي ليلة النصف من شعبان في نفس العام اجتمع حشد كبير من الناس بالجامع الأزهر من الفقهاء والقراء والمنشدين، وحضر القاضي ومعه الشهود وكبار رجال الدولة، وقد أضيء الجامع الأزهر بالشموع والمصابيح كما أضيئت مجالس العلماء وأرسل الخليفة العزيز بالله إلى الحاضرين الأطعمة والحلوى التي فرقت عليهم(٣).

وكان كبار رجال الدولة يتصدقون في هذه الليالي على المساجد ويقدمون إلى الناس كميات كبيرة من الأطعمة والحلوى، ومن أمثلة ذلك أن صاحب بيت المال في عهد الخليفة الحافظ كان يرسل في كل ليلة من ليالي الوقود الأربع إلى مساجد جبل المقطم والقرافة خروف شواء وكميات من الحلوى والقطائف المحشوة باللوز والسكر والكافور، ويستدعي أهل الجبل والقرافة والمتعبدين في هذه الأماكن ويقدم إليهم الطعام ويسمح لهم بحمل ما يريدونه منه(٤).

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٥.
(٢) خطط، ج ١، ص ٤٦٥.
(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٦.
(٤) راجع: خطط، ج ٢، ص ٤٤٥، ٤٤٦.

وكانت هذه الاحتفالات من المناسبات التى يحتفل بها العامة ويدخلون السرور على أنفسهم وعيالهم ويجتمعون فى الخلاء للعب والمزاح[(١)] وكانت الأسواق تكتظ بالناس وقد عمرت بأنواع الأطعمة والحلوى التى تعلق على الحوانيت بخيوط ليشاهدها الجميع وخاصة أنواع الحلوى الجافة المصنوعة من السكر على أشكال تماثيل الحيوانات وكانت تعم أسواق القاهرة والفسطاط والأرياف ويقبل عليها الناس على شرائها[(٢)].

ويبدو أن الخليفة الحاكم أبطل مظاهر الاحتفال بليالى الوقود، وقطع ما كان يقدم من جار معلوم خلال شهور رجب وشعبان ورمضان لمن يبيت فى الجامع الأزهر[(٣)] فى هذه المناسبة، واقتصر الاحتفال فى عهده على توزيع الصدقات على المتعبدين والفقراء بالقرافة[(٤)].

ولكن الاحتفالات عادة فى عهد الخليفة الظاهر إلى سابق عهدها، فكان الظاهر يحضر بنفسه إلى منظرة الجامع الأزهر" ومعه السيدات وخدم الخاصة.. وسائر العوام والرعايا"[(٥)] وكبار رجال الدولة لمشاهدة مظاهر الاحتفالات بهذه المناسبة وقد أوقدت المساجد كلها أحسن وقيد[(٦)].

وكانت الموائد تمد فى ليالى الوقود فى أروقة الجوامع والمساجد تحوى أصناف الطعام والحلوى، ويترك للعامة والفقراء أخذ ما شاءوا منها، وتعم الصدقات الفقراء والمتعبدين[(٧)].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٦.

(٢) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٩، خطط، ج ١، ص ٤٦٧، ج ٢، ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٦، اتعاظ، ج ٢، ص ١٥١.

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٢.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ١٥١، خطط، ج ١، ص ٤٦٦.

(٦) اتعاظ، نفسه، خطط، نفسه.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٦٦، ٤٦٧.

أما عن الاحتفال الرسمى بليالى الوقود، فهو يشبه إلى حد بعيد الاحتفال بالمولد النبوى، وكان يرأسه قاضى القضاة، فيخرج الموكب من داره بعد صلاة المغرب، حيث يركب القاضى ومن حوله صفين من حملة الشموع الموقدة فى كل صف ثلاثون شمعة تزن الواحدة سدس قنطار صنعت خصيصاً هذه المناسبة ويحملها رجال مندوبين لهذا العمل، وبين صفى الشموع يسير مؤذنوا الجوامع يبتهلون إلى الله ويدعون للخليفة والوزير بعبارات مقررة، وخلف الموكب القراء يجهرون بآيات القرآن الكريم ويحيط بالقاضى الشهور العدول، وقد احتشد على جانبى الطريق من دار القاضى إلى القصر الآلاف من الرجال والنساء والأطفال لمشاهدة الموكب الذى ينتهى عند باب الزمرد من أبواب القصر الكبير الشرقى حيث يكون الخليفة جالساً فى المنظرة المطلة على ميدان رحبة باب العيد، وقد أضيئت حوله الشموع، وبعد فترة تفتح إحدى الطاقات فى المنظرة ويطل منها وجه الخليفة وحوله خواصه من الأستاذين المحنكين ثم يطل أحد الأستاذين من طاقة أخرى ويخرج منها رأسه ويده اليمنى ويشر بكمه للحشد الذى ينتظر أسفل المنظرة قائلاً: "أمير المؤمنين يرد عليكم السلام" ويشرف قاضى القضاة وصاحب الباب فى هذه المناسبة، فيذكر كل منهما فى السلام بألقابهم ويسلم على الباقين جملة دون تخصيص[١].

ويستمر الاحتفال داخل القصر بحضرة الخليفة بقراءة القرآن من قراء القصر ثم يتقدم خطباء الجوامع الكبرى فيلقى كل منهم خطبة فى هذه المناسبة، وبعد انتهائهم ينتهى الاحتفال كما حدث فى المولد النبوى بأن يخرج الأستاذ السابق ذكره يده من طاقة المنظرة ويشير برد الخليفة السلام وينصرف الحضور إلى دورهم[٢].

---

(١) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٧، خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٤٩٩.

ويتكرر نفس الاحتفال فى دار الوزير، حيث يتحرك الموكب من أمام القصر بكامل هيئته إلى هناك ويجلس الوزير لاستقباله ويسلم الجميع عليه، وتعاد قراءة القرآن، والخطابة ولكن باختصار عما كان عليه الاحتفال فى القصر، ويدعو الخطباء للوزير، وبعد الانتهاء يخرج الموكب مرة أخرى ويشق القاضى ومن بصحبته شوارع القاهرة ومصر وينزل على باب كل جامع فى طريقه ويصلى ركعتين ووالى القاهرة فى خدمته لحفظ نظام الموكب ويتلقاه والى الفسطاط بعد خروجه من جامع ابن طولون ويسير فى ركابه لخدمته ويمر الموكب على المشاهد الشريفة للتبرك وينتهى به المطاف عند الجامع العتيق الذى يضاء فى هذه المناسبة بالتنور[١] الفضة الضخم ويصلى به القاضى ركعتين، وينتهى الاحتفال بعودة القاضى إلى داره فى حراسة والى القاهرة أن كان يقيم بها وتكرر هذه الرسوم فى باقى الليالى الأربع إلا أنه فى ليلة النصف من رجب وبعد الصلاة فى الجامع العتيق يتوجه الموكب إلى القرافة حيث يصلى القاضى ركعتين فى جامعها[٢] وكانت العادة أن يحتشد الناس فى القرافة ويكثر اللعب والمزاح[٣].

وقد استمرت الاحتفالات بليالى الوقود حتى نهاية الدولة الفاطمية، وكان الشعراء ينظمون القصائد فى هذه المناسبة يمدحون فيها الخلفاء والوزراء

---

(١) عمل هذا التنور فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٣ هـ وكان مقدار ما به من الفضة مائة ألف درهم، وكان من الضخامة بحيث خلعت أبواب جامع عمرو حتى يمكن ادخاله وتعليقه(خطط، ج ٢، ص ٢٥٠). ويصفه المقريزى بأنه كان متناسق الشكل جميل المنظر واسع الاستدارة ينقسم إلى عشرة مناطق وبه اسطوانات بارزة ضخمة بها ما يقرب من ثلاثمائة ثريا مضاءة، ويتدلى من أسفل استدارته مائة قنديل نجومية الشكل(خطط، ج ١، ص ٤٦٧).

(٢) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٩، خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٩.

وكبار رجال الدولة[١] ويهنئونهم، ومن ذلك قول عمارة اليمنى يمدح الخليفة العاضد بقصيدة مطلعها:

فرض على الشعر أن يبدأ بما يجب ∴ من الهناء الذى وافى له رجب[٢]

٤ - الاحتفال بشهر رمضان:

عرفت مصر الإسلامية مظاهر الاحتفال بشهر رمضان قبل مجيء الفاطميين وخاصة فى العصرين الطولونى والإخشيدى، وإن كانت معلوماتنا عن هذه الاحتفالات نادرة، فيذكر ابن زولاق فى سيرة الأخشيد، أن محمد بن طغج الاخشيد كان يطلق النفقات فى أول رمضان يرسم عمارة المساجد وتزيينها مثل ما كان يفعل أحمد بن طولون من قبل[٣].

ولكننا لحسن الحظ نجد تفاصيل ضافية عن احتفالات الفاطميين بشهر رمضان التى كانت تشمل الشهر كله وتختم بالاحتفال الكبير بعيد الفطر، وكان يبدأ الاستعداد لشهر رمضان قبل حلوله بثلاثة أيام فيقوم القاضى بالمرور على جوامع ومساجد القاهرة والفسطاط للنظر فى ما يلزمها من فرش وإضاءة وما تحتاج إليه من إصلاح قبل حلول شهر رمضان، كما كان من عادة الخلفاء الفاطميين أن يأمروا بإغلاق جميع قاعات الخمارين وتختم حوانيتهم ويمنع بيع الخمر ابتداء من أول رجب حتى نهاية شهر رمضان[٤] وكان الهدف من ذلك

---

(١) راجع: على بن ظافر الأزدى، بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٩٨.

(٢) عمارة اليمنى، النكت العصرية، ج ١، ص ١٧١.

(٣) ابن سعيد، المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق زكى محمد حسن، القاهرة، ١٩٥٣، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١، اتعاظ، ج ٣، ص ٨٢.

تكريم تلك الشهور ومنع الناس من تناول الخمر جهراً أو سراً خلالها، وكل من يتشاهد يحمل خمرا أو يبيعه أو يشتريه كان يعاقب على ذلك[١].

وكان من عادة الفاطميين الإعلان عن بداية شهر رمضان بخروج الخليفة في موكب رسمي كبير على غرار موكب أول العام، وترسل الكتب والبشارات إلى ولاة الأعمال والبلاد الخاضعة للنفوذ الفاطمي[٢] وكان هذا الموكب بمثابة إعلان ببدء شهر رمضان وهو بديل عن الاحتفال برؤية الهلال عند أهل السنة[٣].

وكان شهر رمضان مناسبة لإظهار بذخ الدولة الفاطمية وثرائها بما تضفيه على رجالها من صنوف الجود والعطايا، فيذكر المقريزي" وكان في أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرة رمضان"[٤].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥٠٥، خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٣) كان الفاطميون لا يعترفون برؤية الهلال كوسيلة لمعرفة بداية الشهور العربية، وكانت حساباتهم لها طبقاً لجداول فلكية، فكانت الشهور عندهم ستاً: تسعاً وعشرون يوما وستاً: ثلاثون يوماً، فكان شهر رمضان دائما ثلاثين يوما، وقد فسر فلاسفتهم حديث الرسول" صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً" تفسيراً يبرر هذا التقسيم للشهور وكان هذا من الأمور التي أوجدت خلافا بين الفاطميين وأهل السنة(راجع: المجالس المؤيدية، تحقيق محمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٦٢ - ١٦٤، محمد حسن الأعظمي، الحقائق الخفية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٦٥ - ٦٧).

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

وكانت الموائد الرسمية التى تنفق عليها الدولة تقام داخل القصر وفى الجوامع الكبرى ليفطر عليها الناس على اختلاف طبقاتهم، فمنذ عهد الخليفة العزيز كان يعمل سماط فى مقر الشرطة بمدينة الفسطاط طوال شهر رمضان لرواد جامع عمرو لتناول الإفطار على نفقة الدولة، كما كانت الموائد تمد فى أروقة الجامع الأزهر طوال شهور رجب وشعبان ورمضان وتباح محتوياتها لمن يرغب[١].

أما سماط[٢] شهر رمضان فى القصر فكان يمد كل ليلة بقاعة الذهب ويحضره قاضى القضاة ليالى الجمع، أما الأمراء وكبار رجال الدولة فكان حضورهم السماط بالتناوب فيخرج كتاب بأسماء من عليه النوبة منهم إلى صاحب الباب حتى لا يحرموا من الإفطار مع أسرهم. وكان السماط يجهز بأجود أصناف الطعام ويقوم الفراشون بخدمة الحاضرين، ويقدم لهم أثناء الطعام الماء المبخر فى كيزان من الخزف وكان يسمح للحاضرين بحمل ما يرغبون من الطعام بعد انتهائهم من تناول الإفطار وينتقل الكثير منه إلى أهل القاهرة. وإذا حضر الوزير السماط فإنه كان يجلس فى صدره ويحمله له من الطعام الخاص بالخليفة تشريفاً له، كما يحمل معه عند انصرافه طعام السحور من الأصناف التى يتناولها الخليفة، وأحياناً كان ينوب عن الوزير فى حضور السماط ولده أو أخوه[٣].

وبعد إنتهاء سماط الإفطار يبدأ احتفال دينى كبير يحضره الخليفة ويتبارى القراء فى تلاوة القرآن بأصوات فيها تطريب، ويتبعهم المؤذنون بالتكبير وذكر فضائل السحور ويختمون بالدعاء للخليفة[٤] ويأتى بعدهم دور الوعاظ،

(١) خطط، ج ٢، ص ٢٨٥.
(٢) سماط القوم – بكسر السين – ما يمد عليه الطعام أى المائدة(راجع: القاموس المحيط).
(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٧.
(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

فيذكرون فضائل شهر رمضان ويسهبون في مدح الخليفة وكرمه، ثم يأتي دور الصوفية فتقوم جماعاتهم بالرقص والمديح وذكر مناقب الرسول وأهل البيت.

ويستمر الاحتفال الديني إلى بعد منتصف الليل وتوزع أثناءه على الحاضرين أطباق كبيرة بها أصناف الحلوى والقطائف[١] وأكواب الماء المعطر فيأكلون ويحملون ما يستطيعون حمله منها فيأخذ الفراشون ما بقي منهم، ثم تبدأ مائدة السحور التي يحضرها الخليفة وشهود الاحتفال الديني ويباح للجميع الطعام الخاص بالخليفة فيوزع عليهم منه، وكل من أخذ شيئاً من طعام الخليفة قام وقبل الأرض وحمل بعضه على سبيل البركة لأهله وأولاده، وينتهي السحور بتوزيع الحلوى والقطائف على الحاضرين[٢].

وكانت الدولة بالإضافة إلى الأسمطة تنفق أموالاً طائلة خلال هذا الشهر على الصدقات التي تعم أهل الحاجة والفقراء[٣].

وكان عامة الناس وخاصتهم يستقبلون شهر رمضان بالبهجة والانطلاق فتزدحم المساجد بالمتعبدين وتمتلئ الأسواق بالحركة والنشاط وتعم البيوت أنواع الحلوى والأطعمة التي يتميز بها هذا الشهر مثل القطائف والكنافة، وكان سوق الشماعين في شهر رمضان يكتظ بالمشترين الذين يقبلون على شراء الشموع ذات الأحجام المختلفة، وكانت الفوانيس المضاءة بالشموع منتشرة في العصر الفاطمي ويحملها الصبية في ليالي رمضان في الطرقات وهم في طريقهم إلى الجوامع[٤] للصلاة ومشاهدة الاحتفالات الدينية، وكان للفانوس

---

(١) راجع الفصل الخاص بالطعام والشراب.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٣) اتعاظ، ج ٣. ص ٨٣.

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ٩٦.

وظيفة مهمة فى ذلك الوقت، فكان يوضع فانوس مضاء على مئذنة الجامع، وعند حلول موعد الامساك عن الطعام يقوم المؤذن بإطفاء الفانوس، فيكون علامة للناس عن بداية صوم يوم جديد(١).

وقد جرت عادة الخلفاء الفاطميين على الخروج فى مواكب كبيرة على غرار موكب أول العام وغرة رمضان وذلك لصلاة الجمع الثلاث الأخيرة من شهر رمضان، فبعد الانتهاء من الاحتفال بأول رمضان لا يخرج الخليفة للصلاة فى الجمعة الأولى، وكانوا يطلقون عليها جمعة الراحة(٢) فإذا كانت الجمعة الثانية ركب الخليفة إلى الجامع الأنور أو جامع الحاكم(٣) فى موكب كبير مرتدياً ملابس بيضاء غير مذهبة توقيراً للصلاة، وحول موكبه قراء الحضرة يرتلون القرآن، والجنود يحملون الرماح التى فى نهايتها أهلة من ذهب(٤) ويحمل مقدمو الركاب عن يمين الخليفة ويساره أكياس تحوى أموال الصدقة التى توزع أثناء سير الموكب، وقد زينت الطرقات والحوانيت بالأعلام والزينات المختلفة احتفالاً بمرور الخليفة(٥) حتى يصل الموكب إلى الجامع المحدد للصلاة، الذى يعد فى تلك المناسبة بالفرش النفيس،

(١) ابن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، بيروت،١٩٧٣، ج٣، ص٢٩ – ٣١.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٨٣.

(٣) هذا الجامع بنى خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة، أسسه الخليفة العزيز با لله سنة ٣٨٠ هـ على يد وزيره يعقوب بن كلس، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر ا لله وشرع فى ذلك سنة ٤٠١ هـ وقدرت النفقة عليه أربعون ألف دينار، وتم استكماله وصليت به صلاة الجمعة فى السادس من رمضان سنة ٤٠٣ هـ وحبس عليه الحاكم بعض الأملاك للانفاق عليه. وكان هذا الجامع يعرف فى أول الأمر بجامع الخطبة ثم عرف بجامع الحاكم أو الحاكمى، ويقال له أيضاً الجامع الأنور.(راجع: النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٨، خطط، ج ٢، ص ٢٧٧، اتعاظ، ج ٢، ص ٤٥.

(٤) على بن ظافر، بدائع البدائة، ص ٣٩٨.

(٥) خطط، ج ٢، ص ٢٨١.

ويعلق على المحراب الستر الحريرية المكتوب عليها البسملة وفاتحة الكتاب والآيات التى سيقرأها الخليفة أثناء إمامته للصلاة وقد عبق المحراب بروائح البخور الذكية، وبعد دخول الخليفة إلى الجامع يتوجه إلى المنبر وحوله الأستاذون والوزير وراءه وفى حراسته الأمراء من صبيان الخاص وبأيديهم الأسلحة، فإذا جلس على المنبر أشار إلى الوزير بالصعود فيصعد ويقبل يديه ورجليه بحيث يراه الناس ثم تغلق عليه الستائر وذلك لأن الخليفة يلقى الخطبة من كتاب مسطور يخرج له من ديوان الإنشاء ثم تجرى طقوس الصلاة طبقا لرسوم محددة(١) وبعد الصلاة يجلس الخليفة لتوزيع الصدقات والهبات بهذه المناسبة(٢) ثم يتحرك الموكب من الجامع إلى القصر فى كامل هيئته بين صيحات الجماهير ودقات الطبول وعزف البوقات(٣).

وفى الجمعة الثالثة يركب الخليفة للصلاة بالجامع الأزهر وتتم طبقا للرسوم السابق ذكرها أما الجمعة الرابعة فيهتم أهل القاهرة والفسطاط اهتماماً كبيراً بخروج الخليفة للصلاة فى الجامع العتيق، فيقيم أهل القاهرة الزينات فى طريق الموكب من باب القصر إلى جامع ابن طولون، ويزين أهل الفسطاط الطريق من جامع ابن طولون إلى جامع عمرو بن العاص وقد اهتم واليا القاهرة والفسطاط بحفظ هذه الزينات وما يعرضه أصحاب كل حرفة من بضائعهم وصناعاتهم فى طريق الموكب وكانت تحدده أماكن لهذا الغرض لأرباب الحرف والصناعات المختلفة لعرض منتجاتهم وسلعهم قبل الموكب بثلاثة أيام للتبرك بنظر الخليفة إليها، وتشرف الشرطة على حراسة تلك المعروضات، وعندما يصل الموكب الخلافى إلى الجامع العتيق تجرى رسوم الصلاة فيه كالعادة فى مثل

---

(١) راجع التفاصيل: صبح، ج٣، ص٥٠٥ -٥٠٨، خطط، ج٢، ص٢٨١، نجوم، ج٤، ص ١٠٢ وما بعدها.

(٢) نجوم، ج ٤، ص ١٠٤.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٥٠٧.

تلك المناسبة، وكان الخليفة خلال عودته إلى القصر يمنح كل مسجد يمر بـه فـي طريقه ديناراً هبة للقائمين بالخدمة فيه(١).

واستمرت تلك الرسوم في صلاة الجمع الثلاث من رمضان متبعة حتى نهاية عصر الدولة الفاطمية مع بعض التغييرات الطفيفة أحياناً، فكان من عادة الخليفة العزيز الخروج للصلاة بالناس طوال شهر رمضان(٢)، كما كان الخليفة الحاكم يصلي بالناس في بعض الأحيان الجمع الأربع من رمضان(٣).

٥ - الاحتفال بعيد الفطر:

كانت الاحتفالات بعيد الفطر لها طابع مميز في عهد الدولة الفاطمية، فهو عندهم" الموسم الكبير" على حد تعبير المقريزى(٤) كما كان يطلق عليه" عيد الحلل" لتوزيع الكسوات على جميع موظفي الدولة كبيرهم وصغيرهم فتعم الجميع من الخليفة إلى أدنى موظفي القصر(٥).

وقد بدأ الفاطميون احتفالهم الرسمي بهذا العيد منذ قدوم الخليفة المعز لدين الله إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م فيذكر ابن زولاق أن المعز ركب في هذا العام لصلاة عيد الفطر إلى مصلى العيد التي تقع شرقي القصر الكبير بجوار باب النصر وقد بناها القائد جوهر لهذا الغرض(٦)، كما يروى المسبحي في أحداث سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م أن الخليفة العزيز خرج في موكبه لصلاة عيد الفطر في هذه

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٠٧، ٥٠٨، خطط، ج ٢، ص ٢٨١، ٢٨٢.
(٢) راجع: مخطوط أخبار الدولة المنقطعة، لوحة ٥٤.
(٣) راجع: اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٣.
(٤) خطط، ج ١، ص ٤٥٢.
(٥) خطط، ج ١، ص ٤٥٢، اتعاظ، ج ٣، ص ٨٢، ٨٣.
(٦) خطط، ج ١، ص ٤٥١، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٧.

المصلى، وقد أقيمت لهذا الغرض مصاطب على الطريق الذى يسلكه الخليفة بين المصلى والقصر، ووضع عليها المؤذنون ويجلس على كل مصطبة جماعة من أنصار الدولة من الشيعة تخرج بأسمائهم كشوفا من قاضى القضاة وداعى الدعاة محمد بن النعمان، فيجلس هؤلاء الأتباع على المصاطب حسب ترتيب أسمائهم، وكان التكبير والابتهالات تبدأ من القصر إلى المصلى متصلاً بين المؤذنين الذين على المصاطب والخليفة يخترق هذا الطريق فى موكبه الضخم الذى يضم طوائف العسكر فى أبهى زينة، وكان يشترك فى هذا الموكب الفيلة والزرافات والأسود المزينة بالأجلة من الحرير وعليها قباب الذهب[١].

وكانت الفيلة المشتركة فى الموكب عليها الأسرة يجلس فوقها العسكر بكامل زيهم وسلاحهم[٢] والموسيقى المصاحبة للموكب تصدح بأنغام قوية وتحوى بين آلاتها أبواق خاصة لطيفة لا تعزف إلا بمصاحبة الخليفة، وقد انتشرت فى كل مكان البنود المذهبة والمفضضة والتى تحمل عبارات النصر على أسنة الرماح[٣] والناس محتشدون على جانبى الطريق للتطلع إلى الخليفة ولمشاهدة ما يحويه الموكب من مظاهر القوة والفخامة.

وعند وصول الخليفة إلى المصلى كان يؤم الناس فى صلاة العيد طبقاً لرسوم محددة[٤] وفى طريق عودة الخليفة إلى القصر، يحتشد الناس لمشاهدة

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥٠٩، خطط، ج ١، ص ٤٥١، ٤٥٢، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٨، النجوم، ج٥، ص ١٧٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٥٤.

(٣) السجلات المستنصرية، ص ٥٧، اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٠.

(٤) راجع الرسوم المتبعة فى صلاة عيد الفطر والخطبة والشخصيات الهامة التى تصاحب الخليفة على المنبر وهى تشبه إلى حد كبير ما يتبع فى صلاة الجمع الثلاث من شهر رمضان(صبح، ج ٣، ص ٥٠٩، خطط، ج ١، ص ٤٥١، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٨، النجوم، ج ٥، ص ١٧٧).

الألعاب التى يقوم بها طائفة من أهل برقة يطلق عليهم "صبيان الخف"(١) تخصصت فى الألعاب البهلوانية، وكانت الدولة تخصص لها اقطاعات ومرتبات ورسوم، ويبدوا أن الخليفة كان يقف بموكبه لمشاهدة ألعابهم عند باب القصر، فكانوا يمدون حبلين من أعلى باب القصر إلى الأرض وينزل على الحبلين جماعة منهم وهم يركبون خيلاً من خشب ويحملون الرايات ويحمل الراكب فرداً آخر معلقاً بيديه ورجليه وآخراً خلفه ويقومون بمجموعة من الألعاب المذهلة، كما يركب جماعة منهم على الخيول ويتقلبون عليها وهى مسرعة، ويخرج الواحد منهم من أسفل الفرس ثم يعود للركوب من الجهة الأخرى ومنهم من يقف على ظهر الحصان وهو مسرع(٢).

وكانت هذه الألعاب والاستعراضات تجرى أمام الخليفة في عيدى الفطر والأضحى(٣) وفى موكب فتح الخليج(٤).

وكان من عادة الخلفاء فى هذه المناسبة أن يزوروا تربة الزعفران(٥) التى تحوى رفات الخلفاء الفاطميين السابقيين للترحم عليهم وتوزيع الصدقات(٦).

---

(١) كان لأهل برقة حارة خاصة بهم فى القاهرة ويمثلون احدى طوائف العسكر الفاطمى (خطط، ج ٢، ص ١٢).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٥٧.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٥٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٧٧.

(٥) وتعرف بتربة الزعفران أو التربة المعزية وكانت من جملة القصر الكبير وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين أحضرهم فى توابيت معه من بلاد المغرب واستقرت مدفنا للأسرة الحاكمة، وكان أحد أبواب القصر يطلق عليه باب تربة الزعفران.(راجع: خطط، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٣٥).

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٥٤، ج ٢، ص ٤٤٣.

وكان أهم مظاهر الاحتفال بعيد الفطر توزيع الحلوى على جميع موظفى الدولة واقامة الأسمطة الضخمة التي تحوى كل طريف فى القصر. وقد أنشى لهذا الغرض مطبخ ضخم لصنع الحلوى أطلق عليه" دار الفطرة"[١] وقد أنشئت في عهد الخليفة العزيز با لله" وهو أول من بنى دار الفطرة وقرر فيها عمل ما يحمل للناس فيالعيد"[٢] ويبدأ العمل فى هذه الدار منذ نصف رجب فيخزن داخلها كميات كبيرة من السكر والعسل وقلوب اللوز والجوز والفستق والبندق والدقيق والتمر والزبيب والمواد العطرية، ويستمر العمل استعداداً لحلول عيد الفطر في صنع أصناف الحلوى المختلفة مثل الرقاق المحشو بالفستق واللوز (الخشكنانج) وحلوى تصنع من الدقيق والبلح (البستندود) وكعب الغزال ولقمة القاضى وغيرها[٣] وتخزن هذه الأصناف فى مخازن داخل دار الفطرة، وكان الخليفة يحضر بنفسه بصحبة الوزير للاطمئنان على سير العمل في النصف الثاني من شهر رمضان، ثم يبدأ من هذا التاريخ توزيع الحلوى على جميع أرباب الرتب فى الدولة والموظفين كبيرهم وصغيرهم فى صوانى تحمل كل صينية اسم صاحبها وتختلف حجم الصينية وكمية الحلوى حسب مكانة كل فرد، ويحمل هذه الحلوى فراشون مخصصون لهذا العمل وهم فى أتم زينة ويرتدون الثياب الفاخرة[٤].

وكان عيد الفطر مناسبة لإقامة الموائد الفخمة التى تحوى أصناف فائقة من الحلوى ومختلف الأطعمة الأخرى، وقد جرت العادة أن يحمل السماط وما يحويه من قصور السكر وتماثيل الحلوى ويدار به فى الطرقات

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٢٥، ٤٢٦، نجوم، ج ٤، ص ٩٦.

(٢) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

(٣) راجع التفاصيل، خطط، ج ١، ص ٤٢٥، ٤٢٦، نجوم، ج ٤، ص ٩٦.

(٤) راجع: خطط، ج ١، ص ٤٢٦، ٤٢٧.

بالطبول وتماثيل على هيئة العرائس أمام الموكب وفرقة الفرحية[١] تشرف على النظام في الطريق[٢].

وكان يقوم في القصر سماطان كبيران بمناسبة عيد الفطر، السماط الأول يباح للناس ولعامة موظفي القصر من أرباب الوظائف الصغيرة، وكان يبدأ في اعداد هذا السماط من ليلة العيد في الإيوان الكبير المطل على الشباك الذى ينظر منه الخليفة، ويحتشد السماط بأصناف الأطعمة والحلوى التى صنعت في دار الفطرة فإذا صلى الخليفة صلاة الفجر جلس في الشباك المطل على الإيوان وحضر إليه الوزير وأمر بأن يسمح للناس بالطعام، فيقبل الجميع على السماط فيأكلون كفايتهم ويسمح لهم بحمل ما يستطيعون حمله حتى أن بعضهم كان يبيع من هذه الحلوى ما لا حاجة له بها[٣].

أما السماط الثانى فكان يقام في قاعة الذهب بالقصر بعد عودة الخليفة من صلاة عيد الفطر، فتوضع أمام سرير الملك الخاص بالخليفة مائدة ضخمة من الفضة تسمى" المدورة" عليها أطعمة في أوانى من ذهب وفضة وصينى وهى خاصة بالخليفة فلا تحوى من الأطعمة إلا" الخاص الفائحة الطيب من غير خضروات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالأمزجة الطيبة"[٤] كما يمد سماط أمام مائدة الخليفة بطول القاعة وقد رصت عليه الأطعمة الفاخرة من الخراف المشوية والدجاج والفراريج وفراخ الحمام وأصناف الحلوى ويزين السماط بالزهور ويحوى هذا السماط ما يزيد على خمسمائة صحن وينصب على رأس السماط قصران كبيران

---

(١) الفرحية: طائفة من عبيد الشراء في الدولة الفاطمية وينسب إليها حارة الفرحية في القاهرة(خطط، ج ٢، ص ١٤).

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٧، اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٧، نجوم، ج ٤، ص ٩٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٧.

من الحلوى قد صنعا لهذه المناسبة فى دار الفطرة مدهونا بأوراق الذهب وبها تماثيل من سكر في غاية الدقة في صناعتها كأنها مسبوكة في قوالب[١] وكان هذا السماط مخصصاً لكبار رجال الدولة والأمراء.

ويبدأ السماط بدخول الخليفة القاعة بعد أن غير ملابسه التى كان يرتديها فى الموكب ويجلس على سرير الملك والوزير عن يمينه ويقف لخدمته أربعة من كبار الأستاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين، ومتولى المائدة يقف للخدمة مرتدياً أزهى ثيابه وهو مشدود الوسط، ومقدم الشراب يحمل فى يده إناء من ذهب بغطاء مرصع بالجوهر والياقوت به الشراب الخاص بالخليفة، ومتولى خزائن الإنفاق يحمل حقيبة مملؤة دنانير ليوزع منها الخليفة عندما يشاء على الحضور على سبيل الصدقة لمن جرت العادة بمنحهم الصدقات فى هذه المناسبة[٢] ثم يستدعى كبار رجال الدولة من الأمراء والكتاب فيأخذون أماكنهم على المائدة الكبيرة، ويباح الطعام للجميع فيأكلون ويحملون منه ما يستطيعون حمله على سبيل البركة، ويعم أهل القاهرة والفسطاط من هذه المائدة طعام وفير وتستمر المائدة إلى قرب الظهر، وخلال الطعام يقرأ القراء ويكبر المؤذنون وينشد المنشدون[٣] ويتبارى الشعراء بإلقاء قصائدهم فى هذه المناسبة ويتقدم كبار رجال الدولة من الشيوخ والقضاة والشهود والأمراء والكتاب والفقهاء ورجال العلم وأعيان القاهرة والفسطاط بالسلام على الخليفة كما يتقدم للسلام أيضاً زعماء اليهود برئيسهم والنصارى ببطريقهم ويوزع على الجميع خلال ذلك الحلل والهبات حسب العادة المتبعة[٤].

---

(١) راجع التفاصيل، خطط، ج ١، ص ٣٨٧، ٣٨٨.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٥٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٥٥.

وبمغادرة الخليفة لمجلسه ينتهي السماط ثم يتبعه الوزير وباقي الحاضرين، وكان الوزير يقيم سماطاً آخر مختصراً في دار الوزارة لأهله وحاشيته(١).

ويبدو أن سماط عيد الفطر في أول عهد الدولة الفاطمية في مصر كان يسبب حرجاً شديداً لمن لا يعتنق المذهب الرسمي للدولة من الأمراء والكتاب، فالمعروف أن الفاطميين لا يصومون طبقاً للرؤية ويعتمدون على الحسابات الفلكية وشهر رمضان عندهم ثلاثين يوماً، وكان البعض من أهل السنة الحاضرين للسماط صائمين في ذلك الوقت فيذكر ابن زولاق أن المعز عند عودته من صلاة عيد الفطر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م مد السماط بالقصر وأحضر الناس فأكلوا" ونشطهم إلى الطعام، وعقب على من تأخر، وتهدد من بلغه عنه صيام العيد"(٢). ولكن هذا التشدد خفت حدته فيما بعد، فالخليفة الحاكم أصدر في سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م سجلاً بأن يصوم الناس ويفطروا طبقا لحساباتهم ولا يعارض من يقتنع في الصيام والإفطار برؤية الهلال(٣).

كما يذكر ابن المأمون أن الخليفة الآمر كان يجلس على سماط عيد الفطر ويعطي الحضور الطعام بيده" فمن كان رأيه الفطور أفطر، ومن لم يكن رأيه أومأ ووضعه في كمه لا ينتقد على أحد فعله"(٤). والواقع أن هذه الأمور توضح أن الفاطميين لم يكونوا متشددين في تنفيذ تعاليم المذهب الشيعي ولم يجبروا رجال دولتهم على اعتناقه.

وكان عيد الفطر من المناسبات التي ترسل فيها المكاتبات المعطرة إلى أنحاء الدولة الفاطمية والأقطار الخاضعة لها تصف عظمة موكب الخليفة وعودته سالماً

---

(١) راجع: خطط، ج ١، ص ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٥٥، نجوم، ج ٤، ص ٩٧، ٩٨.

(٢) المقريزي نقلا عن ابن زولاق، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) خطط، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٥٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٦٣.

إلى قصره وانتهاء الاحتفالات بسلام دون فتن أو قلاقل لتذاع هذه الأخبار في الجوامع ليعلم الجميع ذلك[١].

٦ - عيد الأضحى:

كانت الاحتفالات بعيد الأضحى في الدولة الفاطمية تبدأ منذ الأول من ذي الحجة فتعقد مجالس الشعراء في القصر وفي دار الوزارة ويتبارى الشعراء في مدح الخليفة والوزير والتهنئة بهذه المناسبة، كما كان يجرى توزيع أموال الصدقة على الأطفال والأيتام والفقراء من أهل القاهرة والفسطاط[٢].

وكان يوم التاسع من ذى الحجة هو " يوم الهناء بعيد النحر "[٣] فيجلس الوزير في داره عند آذان الصبح ويستقبل وفودالمهنئين على طبقاتهم من أرباب السيوف والأقلام والأمراء والأستاذين المحنكين والشعراء، بعدها يتوجه الوزير إلى القصر ليقدم التهاني للخليفة ويتبعه الأمراء ورؤساء الدواوين وكبار رجال الدولة والبطريرك على رأس كتاب الدولة من النصارى، ورئيس اليهود ومعه كتاب الدولة من اليهود ثم يدخل الشعراء لتقديم القصائد في هذه المناسبة[٤].

وكانت الرسوم المتبعة في موكب صلاة عيد الأضحى لا تختلف كثيراً عن مثيلتها في عيد الفطر، إلا أن الخليفة كان يرتدى في هذه المناسبة حلة من

---

(١) راجع أمثلة على ذلك: السجلات المستنصرية، تحقيق عبد المنعم ماجد، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٣١، ٥٧، ١٠١، ١٠٢، صبح، ج ٨، ص ٣١٣، خطط، ج ١ ص٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٩٥.

(٣) خطط، ج ١. ص ٤٤٢.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٢.

اللون الأحمر، وتكون مظلته أيضاً حمراء اللون[١]، وكانت ملابسه في عيد الفطر البياض، ويبدو أن اللون الأحمر في عيد الأضحى يرمز إلى دم الأضاحي.

وكانت العادة أن يستريح الخليفة بعض الوقت داخل القصر بعد عودته من صلاة عيد الأضحى، ثم يخرج من باب الفرج[٢] أحد أبواب القصر الكبير فيجد الوزير في انتظاره ويمشى في خدمته وهو في طريقه إلى المنحر الذى يقع في فضاء متسع خالى من البناء بجوار القصر تجاه رحبة باب العيد[٣] ويسير خلف الخليفة المؤذنون وهم يجهرون بالتكبير، وكان في المنحر مصطبة واسعة مفروشة يصعد إليها الخليفة والوزير وقاضي القضاة وبعض الأستاذين المحنكين وأكابر الدولة وقد أعدت النحائر ليقوم الخليفة بنفسه بذبحها فيمسك الخليفة بالحربة وقاضي القضاة بنصلها، فيضع القاضي النصل في نحر الذبيحة ويقوم الخليفة بطعنها، وكلما نحر الخليفة رأساً كبر المؤذنون وجرت العادة أن ينحر الخليفة بيده ثلاثة أيام متوالية ويذكر ابن المأمون أن ما نحره الخليفة الآمر في أيام النحر سنة ٥١٥ هـ / ١١٣٢ م ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأساً هذا غير ما يذبحه الوزير وإخوته وأولاده[٤]. وكانت هذه اللحوم توزع على أرباب الدولة وكبار موظفيها وينال منها الجميع نصيب، ابتداء من الوزير فما دونه، تحمل إليهم في أطباق مع الفراشين[٥] وكانت سنة توزيع الضحايا على رجال الدولة متبعة منذ أيام الخليفة العزيز با لله[٦] وكان قاضي القضاة وداعي الدعاة

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥١١.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٥١١.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٣٦، ٤٣٧.

(٦) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

يقوم بتفريق بعض اللحوم على الطلبة بدار العلم والمتصدرين للتدريس بجوامع القاهرة وأتباع الدولة من الشيعة[١]. كما كانت هذه الأضحيات تصل إلى أيدى الفقراء والمحتاجين فكان يتصدق بناقة كل يوم على الضعفاء والمساكين وفي اليوم الثالث تحمل ناقة مذبوحة لتوزع على الفقراء بالقرافة[٢] كما كان يتصدق بسقط ما يذبح من النوق والبقر على المحتاجين[٣] وكانت أول ذبيحة تنحر في هذه المناسبة تقدد وترسل إلى داعى اليمن ليفرقها على الشيعة الإسماعيلية هناك في أحجام صغيرة تصل إلى ربع درهم للتبرك بها[٤].

وكانت توزع على كبار رجال الدولة الكسوات والخلع بهذه المناسبة كما كانوا يمنحون الهبات المالية، وكان يطلق على هذه الكسوات "كسوة عيد النحر"[٥].

وفي اليوم الثالث من عيد الأضحى وبعد انتهاء الخليفة من النحر كان يمنح وزيره الثياب الحمراء التى عليه تكريماً له، كما يخلع عليه بعمامته بغير الجوهرة والعقد المنظوم بالجوهر، فيركب الوزير شاقاً القاهرة إلى دارة الوزارة[٦] احتفالا بما أنعم عليه الخليفة وكان الوزير يجلس في داره في هذا اليوم ليتلقى التهانى من كبار رجال الدولة بهذه المناسبة[٧].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٧، صبح، ج ٣، ص ٥١٢.
(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.
(٣) خطط، ج ١، ص ٤٣٧.
(٤) صبح، ج ٣، ص ٥١٢، خطط، ج ١، ص ٤٣٧.
(٥) اتعاظ، ج ٣. ص ٩٥.
(٦) صبح، ج ٣. ص ٥١١، نجوم، ج ٤. ص ٩٨، ٩٩.
(٧) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٥.

وكان سماط عيد الأضحى يبدأ بعودة الخليفة من المنحر في اليوم الأول للعيد ويستمر السماط لمدة ثلاثة أيام بالإضافة إلى ما كان يعمل من أسمطة خاصة بالحريم في دار الوزير. وكانت تقدم على هذه الموائد أنواع فاخرة من الأطعمة وقصور الحلوى المصنوعة في دار الفطرة[١].

وكانت تحدث أحياناً بعض المفارقات الصارخة في مثل هذه المناسبات. فيروى المقريزى أنه عندما مد سماط عيد الأضحى بحضرة الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م وكان يضم كبار رجال الدولة والأمراء وكانت البلاد قد تعرضت في هذه السنة لمجاعة شديدة" كبس العبيدالقصر وهم يصيحون: الجوع، نحن أحق بسماط مولانا عليه السلام، ونهبوا جميع ما على السماط، وضرب بعضهم بعضاً، والصقالبة تضربهم فلا يبالون، فكان أمراً صعباً وحسب الحاضرين أن نجوا سالمين"[٢].

وكما جرت العادة فإن الخلفاء الفاطميين كانواحريصين على إرسال الكتب بالبشارة بعيد الأضحى إلى الولايات والأقاليم الخاضعة لنفوذهم يصفون فيها مواكبهم وعظمة دولتهم ويبشرون بسلامة الدولة خلالها من الفتن والاضطرابات حتى يشاركهم أتباعهم الابتهاج ويؤكدون لهم قوتهم ونفوذهم[٣].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٦.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٧.

(٣) راجع: السجلات المستنصرية، ص ٩٩، ١٠٠، صبح، ج ٨، ص ٣١٣، خطط، ج ١، ص ٤٣٧، ٤٣٨.



الفصل الثانى

الأعياد والاحتفالات الشيعية الخاصة

١ - الاحتفال بذكرى مقتل الحسين.

٢ - عيد الغدير.

٣ - مولد الأجداد والخليفة الحاضر.

٤ - عيد النصر.

٥ - تنصيب ولى العهد.



مدخل:

جرت عادة الخلفاء الفاطميين في مصر على الاحتفال بأعياد خاصة بالمذهب الشيعي لاحياء ذكرى أحداث هامة في تاريخ الحركة الشيعية وتطورها مثل مقتل الإمام الحسين بن علي، وعيد غدير خم وغيرهما من الأعياد ذات الطابع المذهبي، ورغم أن هذه الأعياد تخص الشيعة الفاطميين إلا أننا نلاحظ من استعراضنا للاحتفال بهذه الأعياد أن جمهور الشعب المصرى لم يكن يأنف من الاشتراك فيها والاقبال على ما تغدقه الدولة خلالها من بذخها وثرائها ممثلاً في الهبات والموائد والصدقات التي لا يخلو عيد من أعياد الدولة الفاطمية منها رغم أن البعض لم يكونوا على مذهب الدولة الشيعي.

كما نلاحظ أن الفاطميين لم يحتفلوا بهذه الأعياد الشيعية أثناء وجودهم بالمغرب، فالمصادر التي أرخت للدولة الفاطمية في المغرب لم تذكر شيئاً من ذلك وخصوصاً كتابى افتتاح الدعوة والمجالس والمسايرات اللذين تتبع فيهما القاضى النعمان تاريخ الدولة والدعوة الفاطمية في المغرب منذ نشأتها حتى عصر المعز لدين الله، اللهم إلا إشارات طفيفة عن القاء خطبة للنعمان بمناسبة ذكرى عاشوراء تحدث فيها عن مناقب الحسين وأهل البيت وكان النعمان قد عرض الخطبة على المعز قبل قراءتها فأقرها[1] ونحن لا ندرى سبب إغفال ذكر هذه الأعياد أو عدم الاحتفال بها، فلا يمكن تعليل ذلك بأن الدولة الفاطمية كانت في حالة اضطراب[2] خلال وجودها بالمغرب فقد تمتعت بفترات من الهدوء خاصة في نهاية عهد المنصور وخلافة المعز لدين الله.

---

(١) راجع: المجالس والمسايرات، تونس، ١٩٧٨، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) صادف قيام الدولة الفاطمية في المغرب العديد من المشاكل الداخلية والخارجية، وفيما يتعلق بالمشاكل الخارجية كانت أخطرها عداء العالم الإسلامى السنى لتلك الدولة=

١ - الاحتفال بذكرى مقتل الحسين:

كانت ذكرى مقتل الحسين في مذبحة كربلاء في العاشر من المحرم سنة ٦١هـ / ٦٨٠ م من المناسبات الحزينة في الدولة الفاطمية، ويروى ابن زولاق في كتابه" سيرة المعز لدين الله" أحداث أول احتفال بتلك الذكرى في مصر في العصر الفاطمي سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م وذلك بخروج جماعات كبيرة من الشيعة إلى الطرقات في حراسة جنود المغاربة وهم يصيحون بالنياحة والبكاء على الحسين ويوجهون السباب إلى من يتجرأ على فتح حانوته وممارسة العمل من الناس[١] في تلك الذكرى الحزينة، وقاموا بمهاجمة الأسواق وأتلفوا أواني السقاءين ومزقوا روايا الماء، ومنعوا التجار وأصحاب الحوانيت من ممارسة نشاطهم المعتاد، مما أدى إلى وقوع اشتباكات بينهم وبين هؤلاء، وتدخل القائد المغربي أبو محمد الحسن بن عمار وفصل بين الفريقين وحسم الأمر قبل وقوع الفتنة[٢].

=الناشئة، وتمثل هذا العداء بوجه خاص بين المغرب الفاطمي الشيعي والأندلس الأموي السني لتجاور حدود الدولتين، في تلك الفترة، وأخذت الحرب بينهما طابع الدعاية المذهبية والحروب الساخنة وتأليب الثوار وتأييدهم، كما تحالف الأمويون مع القوى الأجنبية المعادية للدولة الفاطمية وأهمها الدولة البيزنطية للقضاء على الخصم المشترك.

(راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، بيروت، ١٩٥٠، ج ٢، ص ١٧٤، عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت، ١٩٦٢، ص ٢٨٧).

كما تعرضت الجبهة الداخلية للعديد من الفتن والثورات، لعل أخطرها ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الخارجي(٣٣٢ - ٣٣٦ هـ) التي استنزفت جهود الدولة الفاطمية ومواردها وكادت تقضي عليها.

(راجع: ابن عذارى، البيان، ج ٢، ص ٣١٨) ثم نعمت بعد ذلك بفترة من الاستقرار والقوة وخاصة في عهد الخليفة المعز لدين الله).

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٠ نقلا عن ابن زولاق.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

ويبدو أن الطريقة العنيفة التى لجأ إليها الشيعة فى التعبير عن حزنهم فى ذلك اليوم كانت متنفسا عن الضغط والاضطهاد الذى تعرضوا له فى عهد الدولة الإخشيدية فى تلك المناسبة، فكان الجند السودان فى عهد كافور الإخشيد يقبضون على الشيعة فى ذكرى عاشوراء ويجردونهم من ثيابهم ويوجهون لهم الاهانات لذلك" قويت أنفس الشيعة بكون المعز فى مصر"[١] على حد تعبير ابن زولاق وانطلقوا فى الاحتفال بتلك المناسبة.

وكان هذا اليوم يحتفل به عند أعداء الدولة الفاطمية ومخالفيها كمظهر للفرح والابتهاج لذلك كان الفاطميون يردون على هذا فى خطبة الجمعة التالية لهذا العيد، فيذكرون مصاب الحسين وتكريم الله سبحانه وتعالى له بالشهادة فى هذا اليوم، ويهاجمون بنى أمية ويتهمونهم بالفسق ويلعنونهم لأنهم السبب فى مقتل الحسين[٢].

وكان الخلفاء الفاطميون يحتجبون فى ذكرى مقتل الحسين عن الظهور تعبيراً عن حزنهم وجزعهم، وتعطل الأسواق وتقف حركة التعامل، وتخرج جماعات الشيعة والمنشدون فى الطرقات يتصايحون بالبكاء وإنشاء المراثى وتتجه الجموع إلى الجامع الأزهر[٣] حيث يجرى الاحتفال الرسمى الذى يرأسه قاضى القضاة، فيركب فى الضحى إلى الأزهر وبصحبته الشهود والأعيان وقراء الحضرة والعلماء، ثم يحضر الوزير فيجلس فى صدر المجلس وبجانبه قاضى القضاة وداعى الدعاة، ويبدأ الاحتفال بقراءة

---

(١) نفسه، اتعاظ، ج ١، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) راجع: المجالس والمسايرات، ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) كان الاحتفال بهذه المناسبة يجرى فى الجامع الأزهر ثم نقل بعد ذلك إلى المشهد الحسينى الذى أنشئ فى عهد الوزير طلائع بن رزيك سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م (خطط، ج ١، ص ٤٢٧ ماجد، نظم، ج ٢، ص ١٢٩).

القرآن ثم يتبارى الشعراء والمنشدون فى ذكر المراثى فى الحسين وأهل البيت، فيضج الحاضرين بالبكاء والنحيب[١].

وعند الظهر يتوجه المجتمعون بالأزهر إلى القصر الذى يجرد فى هذا اليوم من مظاهر الزينة وتخلى دهاليزه من البسط وتفرش بالحصر، فيجلس القاضى والداعى وكبار رجال الدولة على الحصر أو الدكك الخشبية، ويستمع الحاضرون إلى القراء والمنشدين مرة أخرى، ثم يفرض سماط الحزن الذى يحتوى على أنواع خاصة من الطعام تتفق مع الذكرى الحزينة فى هذا اليوم، فلا يقدم فيه غير" العدس والملوحات والمخللات والأجبان والألبان الطازجة والأعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد"[٢] ولا يوضع هذا الطعام على خوان مرتفع بل على سفرة كبيرة من الجلد تفرش على الأرض والطعام فوقها مباشرة بدون مرافع[٣] ثم يدعى الحاضرون إلى تناول الطعام ولا يجبر أحد على تناوله وقد أظهر الجميع الحزن، فاذا انتهت المائدة خرج الجميع إلى دورهم[٤].

وقد جرت العادة بعد إقامة المشهد الحسينى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م أن ينحر عند قبر الحسين فى هذا اليوم عدد من الإبل والبقر والغنم وتوزع لحومها على الفقراء والمحتاجين[٥].

ولم يذكر المؤرخون اشتراك الخليفة فى هذه الذكرى الحزينة فى بداية عهد الدولة الفاطمية، ويبدو أن هذا لم يحدث إلا فى وقت متأخر، فيروى ابن

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣١، النجوم، ج ٥، ص ١٥٣.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣١ (راجع الفصل الخاص بالطعام والشراب).

(٣) راجع، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٣١، ٤٣٢، النجوم، ج ٥، ص ١٥٤.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٢٧.

المأمون في أحداث سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢م أن الخليفة الآمر جلس في ذكرى عاشوراء في القصر على كرسي من جريد بغير مخدة متلثماً هو وجميع أفراد الحاشية، ودخل إلى مجلسه الوزير والأمراء المقربون للسلام، كما سمح للقاضي والداعي وكبار رجال الدولة بالدخول للسلام وهم بغير عمائم حفاة ملثمون، وأمر الخليفة بإخراج الهبات التي جرت العادة بتوزيعها على المتصدرين للتدريس بالجوامع والوعاظ والشعراء وغيرهم(١).

وكان تعبير الشيعة عن حزنهم في تلك الذكرى يحمل الكثير من مظاهر المغالاة والفوضى والخروج عن المألوف، وكانت تحدث نتيجة لذلك اضطرابات واعتداءات على أموال الناس وحرماتهم، مما دعا الخليفة الحاكم بأمر الله إلى إصدار قرار بمنع النساء من الخروج من دورهن في تلك المناسبة(٢) وجمع القاضي عبد العزيز بن النعمان سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م سائر المنشدين الذين كانوا يتخذون من النوح على الحسين يوم عاشوراء مصدرا للتكسب والحصول على الصدقات، ويتثاقلون على التجار وأصحاب الحوانيت في الأسواق في طلب الهبات المالية، وألزمهم القاضي أن يقتصر النوح والنشيد في تلك المناسبة بعيداً عن الأسواق بل في الأماكن الخلوية وفي الصحراء(٣).

وتدل الشواهد التاريخية أن عامة الناس كانوا يعبرون عن مشاعرهم في ذكرى عاشوراء بطريقة عنيفة لا توحي بالحب والتقدير للحسين وآل البيت، وتعلقهم بمذهب الدولة الرسمي، بقدر ما تعبر عن رغبة دفينة في الخروج عن النظام والتعبير عن الغضب لسوء أحوالهم الاجتماعية، فيروى المقريزى في

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) الكندى، ذيل الولاة والقضاة، ص ٦٠٠، خطط، نفسه.

أحداث سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م" وفيها تجمع الرعاع والعامة في يوم عاشوراء بمشهد السيدة نفيسة، وجهروا بسب الصحابة، وهدموا عدة قبور فسير الأفضل إليهم ومنعهم من ذلك، وأدب والى القاهرة جماعة وضربهم"[١].

٣ - يوم الغدير:

من الأعياد الخاصة التي يحتفل بذكراها الشيعة الفاطميون، فهذا العيد يحمل ذكرى دعامة هامة من دعائم دعوتهم التى تؤكد أحقية على بن أبى طالب في الخلافة بعد وفاة النبى[٢] وأحقية الخلفاء الفاطميين بالتالى لهذه الخلافة بسبب انتسابهم إلى على وزوجته فاطمة، ويجرى الاحتفال بهذا العيد فى الثامن عشر من ذى الحجة ففى مثل هذا اليوم أوصى النبى لابن عمه على بالإمامة على المسلمين من بعده، فيروى المؤرخون أن النبى عند عودته من حجة الوداع سنة ١٠ هـ / ٦٣٢م نزل بمكان بين مكة والمدينة يعرف بغدير خم به عين ماء وحوله شجر كثير وبعد أن صلى الظهر مع جماعة من صحابته أخذ بيد على بن أبي طالب وقال: ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه. قالوا: بلى، فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حديث دار[٣] ويفسر فلاسفة المذهب الشيعى هذا الحديث بما يؤكد أن النبى كان يقصد الوصاية بالخلافة من بعده لعلى بن أبى طالب وأن من جاء بعده من الخلفاء قد اغتصبوا حقه الذى أوصى به النبى(ﷺ)[٤].

---

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠، ٢١.

(٢) صبح، ج ١٣، ص ٢١٤.

(٣) المجالس المؤيدية، ص٦٥، صبح، ج٢، ص٤٠٦، ج١٣، ص٢٤١، خطط، ج١،ص٣٨٨.

(٤) راجع فى هذا الشأن: المجالس المؤيدية، ص ٦٢ – ٦٦.

وقد بدأ الاحتفال بهذا العيد في مصر الفاطمية منذ دخول المعز لدين الله إليها في سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م فقد تجمع عدد كبير من أهل مصر والمغاربة من الشيعة للدعاء والاحتفال، فابتهج المعز لذلك[١] ويبدو من أقوال المؤرخين أن الاحتفال في أول أمره كان بسيطاً ثم أصبح بعد ذلك من الاحتفالات الكبيرة التي تتناسب وأهمية المناسبة المحتفل بها.

ويذكر المقريزي نقلا عن المسبحي طريقة الاحتفال بهذا العيد في عهد الخليفة العزيز بأن المتشيعين قد اجتمعوا في الجامع الأزهر في أعداد كبيرة ومعهم القراء والفقهاء والمنشدين، وأقاموا احتفالاً كبيراً اشتمل على قراءة القرآن والوعظ والإنشاد وذكر المناسبة المحتفل بها ودلالاتها المذهبية، واستمر الاحتفال حتى الظهر حيث توجهت الجموع إلى القصر فأخرج لهم العزيز الهبات[٢].

ومن المحتمل أن أعداداً من عامة أهل مصر كانوا يسايرون هذا الحشد من الشيعة لينالوا نصيبهم مما تغدقه الدولة الفاطمية على أتباعها في هذه المناسبة[٣] وكان من عادة جمهور الشيعة احياء ليلة هذا العيد بالصلاة، ويرتدون فيه الملابس الجديدة ويعتقون الرقاب ويكثرون من الصدقات وأعمال البر وذبح الذبائح وتوزيع لحومها[٤].

وقد تطور الاحتفال بعيد الغدير في أواخر عهد الدولة الفاطمية فأصبح له رسوم محددة وركوب خاص يطلق عليه" ركوب عيد الغدير"[٥]. وكان هذا

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ١٤٢، خطط، ج ١، ص ٣٥٣، ٣٨٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

(٣) راجع، خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٤) صبح، ج ٢، ص ٤١٧، خطط، ج ١. ص ٣٨٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

الركوب يتم بصورة مختصرة فيخرج موكب الخليفة فيه بدون مظلة ولا يتعدى الموكب نطاق القاهرة. وتبدأ مراسم الموكب باستدعاء الوزير إلى القصر فيخرج الخليفة راكباً ومن حوله الأستاذون المنحكون رجالة ومن خلفه الأمراء بترتيب رتبهم ثم طوائف الجند كل طائفة أمامها قائدها والرايات والبنود ترفرف حولهم بتنسيق جميل، ثم يتبع هؤلاء الوزير فى حاشيته ثم أرباب الرتب فى الدولة كل فرد منهم فى حاشيته وفى النهاية والى القاهرة ووالى مصر (الفسطاط) ويتحرك هذا النظام حتى يصل إلى المشهد الحسينى فيكون فى انتظار الخليفة القاضى وحوله الشهود، فيسلم القاضى بتقبيل رجل الخليفة التى قبالته[1]. ثم يعود الموكب إلى القصر ويدخل المشتركون فيه إلى الإيوان الكبير وقد فرش بالستور الفاخرة، ونصب فيه كرسى الدعوة الذى أعد للخطابة وهو مرتفع عن الأرض بتسع درجات، فيجلس تحته القاضى والشهود وحشد كبير من الأمراء والأجناد والمتشيعين على اختلاف طبقاتهم، ويكون الخليفة قد جلس بالشباك المطل على الإيوان وهو يشاهد المجتمعين فيه ثم يقف القاضى مرتدياً البدلة الحريرية التى منحها له الخليفة بهذه المناسبة، ويرتقى كرسى الدعوة ويتلو خطبة من كراس أعدت له فى ديوان الإنشاء يتضمن حديث النبى (ﷺ) بالوصاية لعلى بن أبى طالب الذى ذكره فى يوم غدير خم، وبعد انتهاء الخطبة ينزل القاضى ويصلى بالحاضرين ركعتين، وبعدها يتوجه الوزير إلى الإيوان لخدمة الخليفة، ويتبادل أنصار المذهب الإسماعيلى التهانى بهذه المناسبة ثم ينصرف الحضور[2].

وكان من مظاهر الاحتفال بهذا العيد عتق الرقاب وتزويج الأيامى لمن يرغب فى ذلك دون مقابل، فيذكر ابن المأمون فى معرض حديثه عن الاحتفال بعيد الغدير فى عهد الخليفة الآمر سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٣ م" وهاجر إلى باب الأجل يعنى

---

(١) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

الوزير المأمون البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضم إليهم من العوالى والأدوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الأيامى، وصار موسماً يرصده كل أحد ويرتقبه كل غنى وفقير»[١] كما كانت الدولة توزع في هذا العيد الملابس والهبات المالية على رجال الدولة وأرباب الوظائف فيها[٢].

وكان الخليفة يتوجه في الصباح الباكر من هذا اليوم إلى المنحر ويذبح بنفسه أعداداً كبيرة من الأضاحى تفوق ما يذبح في عيد الأضحى فهذا العيد" عندهم أعظم من عيد النحر»[٣] كما يذبح الجزارون أعداداً كبيرة من الكباش توزع لحومها على الخاصة من المتشيعين وأنصار المذهب الفاطمي، وكان المؤذنون من قبل الصلاة يكبرون تكبير العيد.

وكانت في هذه المناسبة ثلاثة أسمطة في القصر تفوق نظيراتها في عيدى الفطر والنحر، وهو العيد الوحيد الذى يقام فيه هذا العدد من الأسمطة وكان السماطان الأول والثانى يخصصان لأرباب الرسوم المتبعة في الأعياد، أما السماط الثالث فكان خاصاً بأقارب الخليفة والمقربون من الحاشية[٤].

وكان الوزير بعد انصرافه من القصر إلى داره يجلس لاستقبال أعيان مصر والقاهرة ويتقبل منهم التهانى بالعيد، ويجتمع الشعراء في داره للإنشاد وتفرق خلال ذلك الهبات والصدقات على الضعفاء والمحتاجين[٥].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٣٨٩.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٩٠.

(٥) اتعاظ، ج ٣، ص ٩٥.

وكان الخليفة الآمر يجلس في هـذا اليـوم فـي إحـدى المنـاظر التـي بناهـا وزيره المـأمون بـين بـاب الذهـب وبـاب البحـر مـن أبـواب القصـر ليستعرض العسـاكر فـي ذكـرى يـوم الغديـر[1] وهـذه أول إشـارة إلى جلـوس الخليفـة لاستعراض الجند في عيد مـن أعيـاد الدولـة الفاطميـة مما يوضـح أهميـة العيـد واهتمام الخلفاء الفاطميين في إبراز مظاهر الاحتفال به.

٣ - الاحتفال بمولد الأجداد ومولد الخليفة الحاضر:

مـن الأعيـاد الشـيعية ذات الطـابع الخـاص والتـي انقرضـت بـزوال الدولـة الفاطمية الاحتفال بمولـد علـي بـن أبـي طـالب وزوجتـه فاطمـة والحسـن والحسين والخليفة الفاطمي الحاضر، وكانت هذه الأعيـاد لهـا تواريـخ محـددة يعرفهـا الشـيعة ويحتفلون بها ولم نحصل على تفاصيل احتفال الدولة الفاطمية الرسمـي بهـذه الأعيـاد إلا أنها كانت على غرار الاحتفال بالمولد النبـوى الشـريف[2] وتـوزع فيهـا الهبـات المالية والصدقات والأطعمة على الناس وأرباب الوظائف في الدولة[3].

وليس لدينا أى تفاصيل عن الاحتفال بمولد الخليفة الآمر الذى ذكره ابن المامون في أحداث سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م[4] ولعـل الموالـد الأخـرى كـانت تجرى على منواله، وكـان الاحتفـال يشـمل توزيـع كميـات كـبيرة مـن الطعـام والحلـوى التـي صنعـت فـي دار الفطـرة لهـذه المناسـبة تـوزع علـى المتصدريـن للتدريس بالجوامع والطلبة والقـراء بالإضافـة إلى الفقـراء والمحتـاجين، وكـانت الحلوى الممنوحة للمدرسين وطلبة العلم والقراء توضع فى أطبـاق، أمـا الفقـراء والمحتاجون فكانت تقدم لهم الحلوى على أرغفة من الخبز.

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٣٤٧، خطط، ج ١، ص ٤٠٤.

(٥) خطط. ج ١. ص ٤٣٣.

(٣) خطط. ج ١ ص ٤٩١

(٤) راجع. حطط. ح ١ ص ٤٣٢

وفى الليل كان يقام إحتفال فى القصر يحضره القاضى والداعى والشهود والفقهاء ورجال العلم وقراء الحضرة، ويمنع فى هذا اليوم سلوك الناس للطريق بين القصرين، ويجلس الخليفة فى المنظرة التى تعلو باب الذهب فى القصر ويتقبل التهانى من الحاضرين وكبار رجال الدولة الذين يقبلون الأرض بين يديه ويقرأ القرآن، وتلقى خطبة بهذه المناسبة يمدح فيها الخطيب الخليفة ثم ينشد الشعراء والمنشدون الأبيات المناسبة لهذا المقام فى ذكر فضائل الشهر والمولود فيه(١).

وبعد انتهاء الجانب الدينى والخطابة فى الحفل، توزع الهبات المالية والصدقات فيخرج متولى بيت المال صندوقاً يحوى مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرين درهماً لتوزع على الفقراء والمحتاجين من أهل القرافة وساكنيها، كما كان يطلق فى هذه المناسبة للعاملين على خدمة المشاهد الشريفة كميات كبيرة من السكر والعسل واللوز والدقيق والزيت، وما وزنه خمسة قناطير من الحلوى وألف رطل من الدقيق توزع على المساكين بجامعى الأزهر بالقاهرة والعتيق بالفسطاط وبالقرافة(٢).

وكانت تصنع أنواع راقية من الحلوى فى دار الفطرة لتوزع فى صوانى على الوزير والحاشية وكبار رجال الدولة ومتوى دار العلم وقراء الحضرة وأئمة الجوامع بالقاهرة والفسطاط(٣).

٤ - عيد النصر:

بدأ الفاطميون احتفالهم بهذا العيد فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤- ٥٤٤ هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩ م) واستمر الاحتفال به حتى نهاية

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٣٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٣٢.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٣٢.

عصر الدولة الفاطمية. وهذا العيد يحيى ذكرى خلاص الخليفة من السجن الذى اعتقله فيه الوزير أبو على أحمد بن الأفضل(ذو القعدة ٥٢٤ هـ - المحرم ٥٣٦ هـ / ١١٣٠ - ١١٣١ م) حيث حجر عليه وحجبه عن الناس وأدار شئون الدولة بنفسه حتى تمكن حرس الخليفة الخاص من القضاء على الوزير وإطلاق سراح الخليفة فى السادس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م[١].

وكان هذا العيد بمثابة انتصار للمذهب الشيعى واستعادة الدولة الفاطمية لمكانتها والقضاء على أخطر أعدائها، فالوزير أبو على أحمد كان من غلاة الإمامية، وعمل خلال فترة وزارته على القضاء على المذهب الإسماعيلى[٢] الدعامة الأساسية للدولة الفاطمية[٣].

---

(١) راجع التفاصيل: خطط، ج ١، ص ٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) يؤثر الشيعة بوجه عام إطلاق لقب إمام على زعمائهم ومن يتولى منهم الخلافة، والإمام الأول عندهم هو على بن أبى طالب ويسمونه كذلك تشبيهاً له بإمام الصلاة فى وجوب اتباع الناس له والاقتداء به.

ويتفق الإمامية فيما بينهم فى أحقية الإمامة فى نسل على بن أبى طالب وابنه الحسين حتى الإمام السادس جعفر الصادق(ت ١٤٨ هـ) ثم يقع الاختلاف بينهم فيمن يخلفه من أبنائه: فيرى فريق أحقية موسى الكاظم بن جعفر الصادق فى الإمامة وهم المعروفون بالموسوية أو الإثنا عشرية لأن إمامهم الثانى عشر محمد المنتصر دخل سرداباً فى مدينة سامرا سنة ٢٦٠ هـ واختفى فيه ولم يعد، ولا يزال أنصاره ينتظرون عودته إلى اليوم، ويطلقون عليه الإمام المنتظر وهم المختصون بلقب الإمامية.

والفريق الآخر رأى أحقية إسماعيل بن جعفر الصادق وهم المعروفون بالإسماعيلية وتمكنوا من بث دعوتهم فى بلاد المغرب، وإقامة الدولة الفاطمية هناك ثم انتقالها إلى مصر.=

وكانت مظاهر الاحتفال بهذا العيد لا تختلف كثيراً عن مظاهر الاحتفال بالموالد فتقام الاحتفالات في قاعة" المحول" الواقعة في صدر الإيوان الكبير في القصر، الذى يظل على زينته وفرشه منذ الاحتفال بعيد الغدير، فيخرج الخليفة إلى هذه القاعة من غير ركوب، حيث يجلس على مرتبة كبيرة في صدر المجلس، ويجتمع رجال الدولة من أرباب السيوف والأقلام وهم واقفون صفين أمام الخليفة إلى باب المجلس، ويصعد قاضي القضاة على كرسي الدعوة، ويلقي خطبة في هذه المناسبة سبق إعداد نصها في ديوان الإنشاء[1] وتحتوى على ذكر ما أصيب به الأنبياء والصالحون والملوك من إيذاء على يد أعدائهم، وكيف كتب الله لهم الفرج بعد الشدة، حتى يصل الخطيب إلى ذكر ما أصاب الخليفة الحافظ من آلام على يد أعدائه، ويمدحه بما يناسب المقام، فإذا انتهى القاضي من خطابته توجه إلى الخليفة لتقديم التحية ويمنح للقاضي بهذه المناسبة هبة مالية مقدارها خمسون ديناراً بالإضافة إلى بدلة مميزة يرتديها أثناء الخطابة[2].

وكان يقام في هذا العيد من مظاهر الاحتفالات الأخرى" ما يفعل في الأعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة[3].

= (راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق عبد اللطيف محمد، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٦٦، ١٦٩، ص ١٧٤، الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ١١، حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٣٥).

(٣)(راجع: الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٩٠ وما بعدها، النجوم، ج ٥، ص ٢٣٩، ٢٤٠.

(١) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٢) نفسه، ص ٣٩٠.

(٣) نفسه، ص ٤٩٠.

وكان الحافظ يحتفل بهذا العيد في مجلسه الخاص بالغناء والطرب. وتقبل عليه الجوارى مهنئات، وغنت إحدى الجوارى للحافظ فى هذه المناسبة وهى تضرب بعود فى يدها قول الشاعر أبى العتاهية:

أتته الخلافة منقادة ∴ إليه تجرجر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ∴ ولم يك يصلح إلا لها
ولو نالها أحد غيره ∴ لزلزلت الأرض زلزالها

فكافأها الحافظ بأن ملأ فاهها من نفيس الجوهر[١].

٥ - الاحتفال بتنصيب ولى العهد:

كان من عادة الخليفة الفاطمي النص أو الوصية بولاية العهد لأحد أبنائه ليخلفه بعد موته، ومن الشروط الهامة لصحة الإمامة عند الفاطميين تلك الوصية فهى بمثابة أمر بالتعيين صادر عن الخليفة لمن يخلفه من أولاده، وإذا صدر عن الخليفة أكثر من نص بولاية العهد، فإنه يتولى الخلافة آخر من نص عليه الخليفة قبل وفاته[٢].

ولأهمية النص بولاية العهد فى الدولة الفاطمية، فإن الخليفة غالباً ما كان يجمع إخوته وأبناء عمومته وسائر أفراد أسرته بالإضافة إلى كبار رجال الدولة فى مجلس يعلن أمامهم فيه اسم ولى العهد الذى اختاره ليخلفه من بين أولاده، ويطالبهم بالسمع والطاعة[٣].

ورغم أهمية هذه المناسبة إلا أننا لا نملك تفاصيل محددة للاحتفال بها إلا ما ذكره المقريزى عن الاحتفال بتولية المستنصر لولاية العهد، فيروى فى

---

(١) خطط، ج ٢، ص ٤٤٨.
(٢) راجع: الشيال، الوثائق الفاطمية، ص ٤٨.
(٣) تاريخ الأنطاكى. ص ١٤٦، بيبرس الدوادار، مخطوط زبدة الفكر، لوحة ٢٣٠.

أحداث سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بايع الناس بولاية العهد للمستنصر بن الظاهر وعمره ثمانية أشهر فخلع على كافة أهل الدولة، وعمل من الطعام ما كفى أهل القاهرة ومصر والطارئين من البلاد، ونثر مال عظيم، فلم يبق أحد متى وصل إليه خبر هذه البيعة. واجتمعت العامة تحت المنظرة من القصر، واستغاثوا أن يشرفوا برؤية أمير المؤمنين، فأشرف عليهم الظاهر من المنظرة، فقبلوا الأرض وانصرفوا»[١].

ومن النص يتضح أن الاحتفال كان قاصراً على توزيع الكساوى والأطعمة، ونثر الأموال على الناس، ولعل هذا ما كان يحدث عند تولية ولى العهد طوال عهد الدولة، وكان ولى العهد يخرج فى موكب ليراه الناس ويشق طريقه من القصر مخترقاً طرقات القاهرة والفسطاط، فكان إذا أقبل على الناس قبلوا له الأرض، وعندما ركب المستنصر سنة ٤٢٤ هـ / ١٠٣٢ م "نثر على العامة خمسة آلاف دينار، ونثر على الخاصة عشرون ألف دينار، فكان يوماً عظيماً»[٢].

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١٧٩، قارن: خطط، ج ١، ص ٣٥٥.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٨١، خطط، ج ١، ص ٣٥٥.



الفصل الثالث

الأعياد والاحتفالات القبطية

١ - عيد النيروز.

٢ - عيد الغطاس.

٣ - خميس العهد.

٤ - عيد الميلاد.

٥ - عيد الصليب.

٦ - عيد الشهيد.

٧ - عيد الزيتونة.



مدخل:

كان القبط في مصر يحتفلون على مدار السنة بأربعة عشر عيداً، منها سبعة أعياد كبار هي: عيد البشارة والزيتونة والفصح وخميس الأربعين والخميس والميلاد والغطاس، وسبعة أعياد صغار هي: عيد الختان والأربعين وخميس العهد وسبت النور وأحد الحدود والتجلي والصليب. بالإضافة إلى عيد النيروز الذى لم يكن من الأعياد القبطية ولكن الاحتفال به توارث عن الأسلاف وكان يحتفل به في رأس السنة القبطية[١].

ورغم أن هذه الأعياد ذات طابع مسيحي ويحتفل به الأقباط لاحياء مناسبات دينية، إلا أن المسلمين غالباً ما كانوا يشاركون الأقباط في احتفالاتهم ويقدمون لهم التهنئة والهدايا في هذه المناسبات، وكان الخلفاء الفاطميون في معظم الأوقات يظهرون قدراً كبيراً من التسامح مع رعاياهم من القبط ويشاركونهم الاحتفال بالابتهاج بأعيادهم ويهبون لهم فيها الأكسية والأطعمة والأموال.

وكانت هذه الأعياد مناسبة للانطلاق والترويح عن النفس، وتعد من أيام اللهو والغناء والطرب، وكان أهل مصر على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم ودياناتهم يخرجون في أيام النيروز والغطاس والميلاد والمهرجان وعيد الشعانين وغيرها من الأعياد القبطية إلى المنتزهات، وخاصة " بركة الحبش"[٢] فكان ينصب فيها الخيام على اختلاف أنواعها وأحجامها، ويقيم فيها الناس بأهلهم وأولادهم وبصحبتهم المغنيات والراقصات، فيأكلون أشهى الأطعمة، ويشربون

---

(١) صبح، ج ٢، ص ٤١٥ - ٤٢٠، خطط، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) وهى تقع جنوب مدينة الفسطاط فيما بين جبل المقطم والنيل، وكانت محاطة بالحدائق والزهور ويقصدها الناس للنزهة وقد ذكرها الشعراء ووصفوا جمالها وحسنها(راجع: خطط، ج ١، ص ١٥٢ - ١٥٥).

الخمور ويطربون بسماع الغناء ويتفكهون ويمزحون، وكان الأمير تميم بن المعز يحتفل بهذه المناسبات بما عرف عنه من حب الغناء والطرب والشراب" فإذا جاء الليل أمر الأمير تميم بن المعز مائتى فارس من عبيدة بالعسس عليهم فى كل ليلة إلى أن يقضوا من اللهو والنزهة اربهم وينصرفوا فيسكرون وينامون كما ينام الإنسان فى بيته ولا يضيع لأحد منهم ما قيمته حبة واحدة. ويركب الأمير فى عشارى ويتبعه أربعة زواريق مملوءة فاكهة وطعاماً ومشروباً" فإذا مر على طائفة واستحسن من غنائهم صوتاً، أمرهم باعادته وسألهم عما عز عليهم فيأمر لهم به ويأمر لمن يغنى لهم، وينتقل منهم إلى غيرهم بمثل هذا الفعل عامة ليله، ثم ينصرف إلى قصوره وبساتينه التى على هذه البركة، فلا يزال على هذه الحال حتى تنقضى هذه الأيام ويتفرق الناس"[١].

وسنعرض فى الصفحات التالية لأهم هذه الأعياد ومراسم الاحتفال بها من جانب الدولة الفاطمية وعامة الشعب.

١ – عيد النيروز[٢]:

وهو من الأعياد القديمة التى احتفلت بها كثير من الشعوب على اختلاف جنسياتها وعقائدها ويرجع تاريخ الاحتفال به إلى سليمان بن داود[٣] وهو يعد بمثابة الاحتفال برأس السنة القبطية، فكان القبط يحتلفون به فى أول توت[٤]

---

(١) راجع: الخطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) هو تعريب للكلمة الفارسية نوروز أى اليوم الجديد(راجع: صبح، ج ٢، ص ٤٠٨).

(٣) راجع: خطط، ج ١، ص ٤٩٤، حسن ابراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٦٦٠، ٦٦١.

(٤) صبح، ج ٢، ص ٣٧٣.

كما كان الفرس يحتفلون به فى أول يوم من السنة أيضاً[١] أما أهل الشام فكانوا يحتفلون بالنيروز فى اليوم الأول من يناير ويسمونه" القلندس"[٢].

فهذا العيد ليس له تاريخ ثابت، بل يحتفل به كل شعب حسب تاريخ بداية السنة عنده.

ويذكر المؤرخون أول إشارة للاحتفال بهذاالعيد فى العصر الفاطمى فى عهد الخليفة المعز سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م ويبدو أن المعز أراد أن يمنع الاحتفال بالنيروز فى هذا العام لما كان يجرى فيه من تعاطى الخمور علانية وما يصاحب ذلك من مظاهر الانحلال والتهتك، فمنع المعز من وقود النيران وصب الماء فى الطرقات يوم النيروز[٣] ولكن المعز بما يتسم به من الكياسة والرغبة فى كسب قلوب رعاياه، خفف قبضته بعض الشىء، ففى العام التالى انطلق الناس فى الاحتفال بالنيروز وانتشر اللعب بالماء ورشه على بعضهم البعض وإيقاد النيران، وطاف المحتفلون بالأسواق وهم يحملون تمثالا على شكل الفيل وتماثيل وعرائس ملونة وهم يعرضون ألعابهم ومضاحكهم واستمروا على هذا الحال مدة ثلاثة أيام وخرجوا عن الحد فى ذلك مما دفع المعز إلى إصدار أوامره بالكف عن ذلك ومنع إشعال النيران واللعب بالماء وقبض على جماعة وحبسوا وشهر بالبعض الآخر على الجمال[٤] لعدم التزامهم بالأوامر.

---

(١) المسعودى، مروج الذهب، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، ١٩٥٨، ج ٢، ص ٢٠٢، صبح، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٢) مروج الذهب، ج ٢، ص ١٩٨، صبح، ج ٢، ص ٤١٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٩٣.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٤، ٢٢٤، خطط، ج ١، ص ٤٩٣، ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٦.

واستمر الاحتفال بالنيروز في عهد خلفاء المعز، فاحتفل به في عهد الخليفة العزيز" وكان من عادة الناس أكل الرطب قبل النيروز"[١] كما احتفل به في عهد الخليفة الحاكم، فقد أهدى القواد الأتراك وكبار رجال الدولة إلى الحاكم في هذه المناسبة هدايا نفيسة من الخيل والسلاح فقبل منهم بعضاً شاكراً لهم صنيعهم ورد الباقي إليهم[٢].

ويبدو أن هذا الاحتفال كانت له رسوم متبعة في الدولة الفاطمية، ولم تذكر هذه الرسوم إلا في عهد الخليفة الآمر، فيذكر ابن المأمون تفاصيل الاحتفال بيوم النيروز سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣م وكان يوافق التاسع من رجب، وقد وصلت بهذه المناسبة الكسوة الجارى توزيعها بمناسبة النيروز من الطراز وثغر الإسكندرية" وأطلق

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٤٧، ٤٨.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٨، حوادث سنة ٣٨٨ هـ - ويذكر القلقشندى أن أول من فتح باب الهدية في هذا العيد أحمد بن يوسف كاتب الخليفة العباسي المأمون، فأهدى إليه في يوم النيروز سفط ذهب فيه قطعة عود وكتب معه: هذا يوم جرت فيه العادة باتحاف العبيد السادة(ج ٢، ص ٤١٠).

ولما كان عيد النيروز هو عيد فارسي الأصل، لذلك يمكننا أن نفسر التقاليد والعادات التى كان يمارسها المصريون خلاله بالرجوع إلى مثيلاتها لدى الفرس فمهداة المصريين الحلوى لبعضهم البعض ترجع إلى أن الفرس كانوا يتهادون في النيروز بالسكر لاكتشافهم لأول مرة خلال احتفالاتهم بعيدُ النيروز في عهد الملك جمشيد، أما عادة رش الماء في هذا العيد فترجع إلى اعتقاد الفرس بأن هذا الماء يطهر أبدانهم من ادران العام المنصرم، أما عادة التراشق بالبيض، فترجع إلى أن الفرس كانوا يتهادون البيض من أقدم العصور لاعتقادهم بأن البيض منشأ كل الموجوات.

راجع: طه ندا، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - المجلد ١٧، سنة ١٩٦٣، ص ٧ - ٣١، حلمي سالم، المصدر السابق. ص ٣٠٠ هامش" ١").

جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الأصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأربابها"(١).

وكانت توزع بهذه المناسبة على أرباب الرسوم أصناف معينة من الأطعمة والفاكهة وهى البطيخ والرمان والموز والتمر والسفرجل، ومن الأطعمة الهريسة المصنوعة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر بالإضافة إلى الخبز.

ومما يوحى بأن هذه التقاليد فى الاحتفال بعيد النيروز كانت متبعة قبل هذا التاريخ ما قاله ابن المأمون" وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من إطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها فى يوم النيروز وغير ذلك من جميع الأصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة"(٢).

وكان يختص بالأموال والكسوات حاشية القصر ودار الوزارة والمستخدمين ورؤساء السفن وبحارتها، أما الفاكهة والأطعمة فكانت تشمل جميع أرباب الرسوم والوظائف فى الدولة(٣).

وكان من عادة الخليفة الآمر الركوب يوم النيروز إلى منظرة اللؤلؤة المطلة على الخليج وكان بها قصر من أعظم القصور وأجملها زخرفة وكانت تطل على البستان الكافورى وتعد من أجمل المتنزهات فى مصر(٤)، فيجلس الخليفة لمشاهدة مظاهر الاحتفال بالنيروز، ويتجمع أسفل المنظرة أهل الطرب والغناء والموسيقى، ويحتشد حولهم الناس، فيغنون ويطربون ويشربون الخمور

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٩٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٦٩، ٤٩٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

علانية ويتراشون بالماء والخمر وتأخذ الجميع حالة من المرح والانطلاق الذى يصل إلى حد التهتك والفجور[١].

ومن مظاهر الاحتفال بهذا اليوم ركوب أمير يسمى" أمير النيروز" وحوله جمع كبيير من الناس يهزلون ويتضاحكون ويقف على دور الأكابر الذين يقدمون له الهبات المالية البسيطة على سبيل المزاح[٢].

وكان الشعراء يمدحون الخلفاء فى هذه المناسبة، ومثال ذلك ما ذكره الأمير تميم فى مدح العزيز با لله فى يوم النيروز من قصيدة جاء فيها:

فإن طاب نوروز وعبير فإنما ∴ بنورك أضحى ذا وذا وهو طيب[٣]

٣ - عيد الغطاس:

يحتفل الأقباط فى مصر بهذا العيد فى يوم الحادى عشر من طوبة، وهو إحياء لذكرى قديمة عن المسيحيين، فيقال أن النبى يحيى بن زكريا المعروف بيوحنا المعمدان عمد المسيح عليه السلام فى هذا اليوم أى غسله فى بحيرة الأردن، وعندما خرج عيسى من الماء اتصل به روح القدس، لذلك كان من تقاليد النصارى تغطيس أولادهم فى الماء فى هذه المناسبة ويطلقون عليها "يوم الغطاس"[٤] أو "الليلة الحميم"[٥].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٩، صبح، ج ٢، ص ٤١٩.
(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٣.
(٣) راجع: ديوان تميم بن المعز، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٥٢.
(٤) صبح، ج ٢، ص ٤١٦، خطط، ج ١، ص ٢٦٥.
(٥) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٦

واعتاد المصريون الاحتفال بعيد الغطاس فى العصر الإسلامى، وكان من أعيادهم العظيمة، ويروى المسعودى تفاصيل الاحتفال بهذا العيد كما شاهدها بنفسه سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م وكان على رأس الاحتفال محمد بن طفج الإخشيد الذى خرج مع حاشيته وكبار رجال دولته بالمواكب إلى داره المعروفة بالمختار بالجزيرة في وسط النيل، وقد أمر رجاله فأشعلوا على ضفتي النيل ألف مشعل غير ما أضاءه أهل مصر من المشاعل والشموع[1] وقد احتشد الآلاف من أهل مصر من المسلمين والنصارى على ضفتي النهر واجتمع الكثيرون فى الزوارق النيلية والبعض فى الدور المطلة على النيل وهم يحملون معهم حاجتهم من الطعام والشراب ويرتدون أفخر الثياب ويعزفون بآلات الطرب، ويظهرون الألعاب المسلية والملاهى فكانت ليلة الغطاس من أجمل ليالى مصر وأشملها سروراً، وتظل الناس ساهرة حتى قرب الفجر ولا تغلق أبواب الحارات فى هذه الليلة، وفى نهاية الاحتفال يغطس الناس في النيل ويزعمون أن فى ذلك أمان من المرض[2].

أما من مظاهر الاحتفال بعيد الغطاس فى عهد الدولة الفاطمية، فيروى الأنطاكى أن متولى الشرطة كان يخرج فى أول الليل فى موكب كبير وقد ارتدى أجمل ثيابه، ويحيط به حملة المشاعل والشموع الموكبية، ويطوف فى الطرقات منادياً فى الناس لا يختلط المسلمون مع النصارى فى تلك الليلة حتى يمارس النصارى شعائرهم فى سلام ورغم هذا التحذير فإن الاحتفال كان

---

(١) كان سوق الشماعين يكتظ بالحركة والنشاط فى موسم الغطاس مثل أيام شهر رمضان فى العصر الفاطمي وكانت تعلق به كميات كبيرة من الفوانيس ويقبل النسا على شرائها(خطط، ج ٢، ص ٩٦).

(٢) مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤٣، خطط، ج ١، ص ٢٦٥، مخطوط الفيض المديد ، ورقة ٤٤.

يشمل العنصرين لأنه من الصعب عمليات التفريق بينهما، وكان النصارى يخرجون فى فجر هذا اليوم إلى النيل بأهلهم وأولادهم ويغطس أكثرهم فيه[١].

ولكن الأقباط ممن يدينون بالمذهب الكاثوليكى لهم رسوم خاصة فى احتفالاتهم بالغطاس فيخرجون من كنيستهم فى قصر الشمع[٢] فى جمع كبير يحملون الصلبان ومن حولهم الشموع المضاءة وهم يرتلون بأصوات ملحنة ونغمات عالية حتى يصلوا إلى شاطئ النيل فيؤدون صلاة خاصة بهذه المناسبة، ثم يقف رئيس الأساقفة فى هذا الحشد ويلقى خطبة تحوى مناسبة الغطاس ومغزاها الدينى وفى نهايتها يبتهل بالدعاء الخليفة الفاطمى والوزير ولمن شاء من كبار رجال الدولة، ثم ينصرف الموكب إلى كنيسة قصر الشمع فى نفس نظامهم ويكملون بها احتفالاتهم وصلواتهم[٣] ومن الطريف ما رواه الأنطاكى من أن الخليفة الحاكم كان يحضر احتفال الكاثوليك بالغطاس فى كثير من الأعوام ويشاهد طقوسهم وهو متنكر[٤] فلا يعرفه أحد من شهود الاحتفال.

ونلاحظ أن الخلفاء الفاطميين حتى عصر الخليفة الحاكم لم يشتركوا فى مظاهر الاحتفال بهذا العيد، وأكبر من شارك من الرسميين فى هذا العيد فى عهد الحاكم الكاتب فهد بن إبراهيم النصرانى، فيروى المسبحى أنه فى سنة

---

(١) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٦، وكثيرا ما كانت تقع حوادث غرق فى هذا اليوم نتيجة لتزاحم الناس ووجود أعداد كبيرة من الصبية وعدم احكام مراقبتهم.(راجع: الدرة المضية، ص ٤٢٦).

(٢) وهى الكنيسة المعلقة التى كانت جزءاً من قصر الشمع، وهو من الآثار القديمة التى صادفها المسلمون عند الفتح وكان يعرف أيضاً بقصر الروم ومازالت آثاره موجودة حتى الآن.(راجع خطط، ج ١، ص ٢٨٧، ج ٢، ص ٥١١) .

(٣) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٦.

(٤) تاريخ الأنطاكى، ص ١٩٦.

٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م كان عيد الغطاس، فنصبت الخيام في أماكن متعددة على شاطئ النيل وحضر الاحتفال فهد بن إبراهيم النصراني كاتب الاستاذ برجوان الذى كان يتولى الوساطة للحاكم، واحتشد أمامه عدد كبير من المغنين وأصحاب الملاهى وهم يعرضون فنونهم وألعابهم على أضواء الشموع والمشاعل، وجلس فهد مع أسرته وحاشيته يطرب ويشرب إلى موعد الغطاس فغطس وانصرف[1].

وحتى اشتراك الخليفة الحاكم فى هذه المناسبة – طبقا لرواية الأنطاكى – فإنها كانت تتم خلسة بحيث لا يشاهده أحد، ولعل هذا الإحجام من جانب بعض الخلفاء عن المشاركة فى عيد الغطاس، كان راجعاً إلى تحفظهم من الانغماس فى مظاهر العبث التى تجرى فى هذه المناسبة، فكان الناس يجاهرون بالفسق واحتساء الخمور وإظهار الملاهى[2]، ووقوع هذه الأمور على مرأى ومسمع من الخلفاء يضعف من هيبتهم ويعطى الفرصة لأعدائهم للهجوم عليهم والتشهير بهم.

ولعل هذا كان من أهم الأسباب التى دفعت بعض الخلفاء إلى تحريم الاحتفال بهذا العيد أو الحد من المظاهر الاجتماعية السيئة التى كانت تحدث خلاله. حتى أن الخليفة المعز لم يتردد فى التهديد بعقوبة الشنق لمن يحتفل بعيد الغطاس سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م[3] كما أصدر الخليفة العزيز سنة ٣٦٧ هـ /

---

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٥، اتعاظ، ج ٢، ص ١٧٠.

(٢) يبدو أن من أهم مظاهر هذا العيد الإقبال على شرب الخمور، فيذكر ابن الصيرفى(ت ٥٤٢ هـ) أنه:" جرت العادة فى الغطاس باعمال الكاس والطاس.(راجع، ابن سعيد، النجوم، ص ٢٥٣).

(٣) بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٦، ٤٧.

٩٧٧ م تحذيرا من اجتماع الناس في يوم الغطاس ونزول الماء وإظهار الملاهي[(١)] وهدد من يفعل ذلك بالنفي[(٢)].

ورغم أن الاحتفال بالغطاس قد أعيد في عهد الحاكم سنة ٣٨٨ هـ /٩٩٨ م كما ذكرنا إلا أنه لم يستمر طويلاً، إذ أصدر الخليفة أوامره سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠ م بمنع النصارى من الغطاس[(٣)] واستمر الحظر حتى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م في عهد الخليفة الظاهر حيث جاء ذكر الغطاس في رواية المسبحي عن أحداث هذا العام[(٤)] وقد بدأ لأول مرة يأخذ طابعاً رسمياً باشتراك الخليفة في الاحتفال بعد أن أصدر الإذن لأقباط مصر بإظهار طقوسهم والاحتفال بالغطاس، فاحتشد المسلمون والأقباط على ضفتي النيل أمام المقياس، وضربت أعداد كبيرة من الخيام ووضعت فيها الأسرة لأعيان القبط، وقد اكتظ النيل بالمراكب والزوارق وازدحم فيها خلق كثير من العامة والخاصة مسلمين ونصارى، وعند دخول الليل زينت المراكب بالقناديل واشتعلت الشموع، كما أضيئت الشواطئ بآلاف المشاعل والفوانيس[(٥)] ونزل الخليفة الظاهر بأحد المناظر المطلة على النيل لمشاهدة الاحتفال، ومعه حرمه، وأمر متولي الشرطة بحفظ النظام ومراقبة الناس، ونودي بألا يختلط المسلمون بالنصارى عند نزولهم في النيل، فضرب متولي الشرطة خيمته عند الجسر لمراقبة الاحتفال مع أعوانه، وحضر الرهبان ورجال الدين المسيحي يحملون الصلبان وحولهم الشموع ورتلوا صلواتهم وأدعيتهم حتى تم الغطاس[(٦)].

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

(٤) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٥) بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٨.

(٦) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

ورغم أن سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م كانت من سنوات الشدة في الدولة الفاطمية فتعرضت البلاد خلالها للمجاعة وانتشرت الأمراض وهلك الكثيرون من الأهالي، فإن الظاهر شارك النصارى في احتفالاتهم بهذا العيد دون اكتراث لما يحدث لرعيته فيروى المقريزي، أن الظاهر عند عودته من الاحتفال بعيد الغطاس في آخر الليل إلى قصره، شاهد في طريقه عدداً من الموتى مطروحين في الطرقات، فأمر لهم بأكفان ونفقة لدفنهم(١).

وقد أصبحت لهذا العيد رسوماً مقررة من الأطعمة والفاكهة تمنح لأرباب الرتب والوظائف من المسلمين والنصارى، فكانت تحمل في المراكب أطنان من الأترج والنارنج والليمون والقصب والسمك البوري، وتوزع عليهم أثناء الاحتفال كما كانت الدولة الفاطمية تهادى رؤساء القبط في هذه المناسبة بالبوري والقصب والحلوى والزهور(٢).

٣ - خميس العهد:

يأتى هذا العيد قبل "عيد الفصح" بثلاثة أيام، ويحتفل الأقباط به في كنائسهم بأن يحضروا إناء مملوء بالماء ويرتل عليه رجال الدين ويتلون الأدعية المناسبة، ثم يقوم البطريرك بغسل أرجل الحاضرين في هذا الاناء. وفي اعتقادهم أن المسيح عليه السلام قد قام بهذا العمل مع تلاميذه في مثل هذا اليوم بهدف تعليمهم التواضع، ثم أخذ عليهم العهد بألا يتفرقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض(٣).

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٣، حوادث سنة ٤١٥ هـ.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٩٤، ٤٩٥، بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٩.

(٣) صبح، ج ٢، ص ٤١٧، خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

والعامة يطلقون على هذا العيد خميس العدس لأن من عادة النصارى طبخ العدس فى هذا اليوم على أنواع مختلفة، ويطلق عليه أهل الشام خميس الأرز أو خميس البيض[١] ويبدو أن هذه التسميات راجعة إلى نوع الطعام الذى اشتهر أهل كل إقليم بتناوله فى هذه المناسبة.

وكان من عادة أهل مصر من المسلمين والنصارى تبادل الهدايا من الأطعمة فى خميس العهد، فيتهادون البيض الملون الذى يباع بكثرة فى أسواق القاهرة فى هذه المناسبة، كما يتهادون أنواع السمك المختلفة والعدس المصفى[٢].

ومن مظاهر احتفال الدولة الفاطمية بهذا العيد، إصدار عملة خاصة تضرب بهذه المناسبة فى دار الضرب تسمى "خروبة"[٣] تفرق على رجال الدولة وأرباب الرتب من المسلمين والنصارى طبقاً لرسوم مقررة[٤].

٤ - عيد الميلاد:

يحتفل أقباط مصر بهذا العيد فى التاسع والعشرين من كيهك، وهو ذكرى ميلاد السيد المسيح، ودائماً يوافق يوم الإثنين، فتبدأ الاحتفالات منذ مساء الأحد وهى ليلة الميلاد فتزين الكنائس وتكثر فيها الإضاءة[٥] ويجتمع فيها أعداد كبيرة من المصلين.

---

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٢) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣) الخروبة قطعة صغيرة من النقود النحاسية مقدارها عشر دراهم.

(راجع: Dozy: Supp, dict, Ar.).

(٤) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٥) صبح، ج ٢، س ٤١٦، خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

وكان النصارى يظهرون بهجتهم وسرورهم بهذه المناسبة بإضاءة دورهم بالفوانيس الملونة البديعة الصنعة وبداخلها الشموع المصبوغة، كما كانوا يقبلون على أنواع من الملاهى واللعب بالنار، وكانت الأسواق تزدان بالفوانيس والشموع والمشاعل فى هذه الليلة، وبلغ من كثرة عرض الفوانيس فى هذه المناسبة فى الأسواق أن النصارى كانوا يتصدقون بها على الفقراء(١).

وكانت الدولة الفاطمية تشارك الأقباط فى احتفالاتهم بهذا العيد، فتوزع على كبار رجال الدولة من الأستاذين المحنكين والأمراء على سائر رتبهم والكتاب وغيرهم أصناف مختلفة من الحلوى وشراب الجلاب وصوانى الزلابية(٢) وسلال السمك البورى، والخبز المصنوع من الدقيق الأبيض(٣).

٥ - عيد الصليب:

يحتفل النصارى بعيد الصليب فى اليوم السابع عشر من توت الموافق الرابع عشر من يوليو، ويعتقدون أنه فى مثل هذا اليوم سنة ٣٢٨ م عثرت الملكة هيلانة أم الامبراطور قسطنطين على الصليب الذى صلب عليه السيد المسيح، فصنعت له الملكة غلافاً من ذهب وأمرت ببناء كنيسة القيامة فى بيت المقدس وأودعت فيها الصليب(٤).

وكان أقباط مصر يحتلفون بهذا العيد احتفالاً كبيراً، ويخرجون عن الحد فى الإقبال على شرب الخمر وأنواع المحرمات والفسق(٥) مما دفع الخليفة العزيز

---

(١) خطط، ج ١، ص ٢٦٥.

(٢) راجع الفصل الخاص بالطعام والشراب.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٦٥، قارن: ماجد، نظم، ج ١، ص ١٣٤.

(٤) صبح، ج ٢، ص ٤١٧، خطط، ج ١، ص ٢٦٧.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٦٧.

إلى إصدار أوامره بمنع النصارى من الاحتفال بهذا العيد، وحرم عليهم الخروج إلى ضواحى الفسطاط حيث كانوا يظهرون مباذلهم، وأمر صاحب الشرطة بإحكام الرقابة على الطرق والدروب المؤدية إلى ضواحى الفسطاط، وذلك فى رجب سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ /(١).

ولكن الخليفة العزيز بما عرف عنه من تسامح مع أهل الذمة، ترك للنصارى حرية الاحتفال بهذا العيد فى العام التالى، فيروى المقريزى" ولأربع عشر خلت من رجب سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢م، كان عيد الصليب، فجرى الناس فى الاجتماع فيه للهو على ما كانوا عليه"(٢).

ولكن الحاكم أصدر قراراً بمنع الاحتفال بهذا العيد فى سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م وقرئ سجل بذلك فى جامع عمرو وفى الطرقات. ويبدو أن مظاهر الاحتفال بهذا العيد أخذت فى الانقراض بعد ذلك، فيذكر المقريزى أن الاحتفال بعيد الصليب قد أبطل" حتى لم يكن يعرف اليوم (زمن المقريزى) بديار مصر نهائياً"(٣).

٦ - عيد الشهيد:

يحتفل أقباط مصر بهذا العيد فى الثامن من شهر بشنس، ويرتبط الاحتفال به بنهر النيل مصدر الحياة والنماء، والنصارى يعتقدون أن النيل لا يبلغ زيادته وتمام فيضانه فى كل عام إلا إذا ألقوا فيه تابوتاً من خشب فيه أصبع من أصابع أسلافهم الموتى(٤).

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧٥.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧٦، خطط، ج ١، ص ٢٦٧.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٦٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٦٨، ٦٩.

وفي هذا اليوم يحتشد على ضفتي نهر النيل أعداد كبيرة من أهل مصر وترحل النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها، ويخرج عامة أهل القاهرة والفسطاط على اختلاف طبقاتهم، وينصبون أعداداً كثيرة من الخيام على شاطئ النيل وفي الجزائر التي في وسط مجراه حيث يجتمع المغنون والمغنيات وأرباب الملاهي والألعاب المختلفة، وكان يندس بين هذه الجموع أهل الخلاعة والفسق، مما يتسبب في إثارة الفتن وإزهاق الأرواح، لأن معظم الناس في هذا اليوم يكونون سكارى[١].

وكان بعض الناس يتجمعون في ضاحية شبرا في تلك المناسبة، ويقبلون على شراء الخمور لاشتهار المنطقة بزراعة الكروم وصناعة النبيذ، وكان أهل شبرا يعتمدون في وفاء خراجهم على ما يباع في هذا العيد من خمور[٢].

ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن موقف الدولة الفاطمية من هذا العيد وما يحدث فيه من مظاهر الفسق والتهتك وإقبال الناس خلاله على الخمور بعكس ما كان يصدر في المناسبات الأخرى من أوامر وقرارات عن الخلفاء بمنعها أو الزجر والتهديد لمن يحيد خلالها عن الأخلاق العامة، ولعل ذلك راجع إلى أن عيد الشهيد كان في مظهره يوماً شعبياً يخرج الناس فيه على اختلاف دياناتهم وطبقاتهم للنزهة والاستمتاع بالغناء والطرب واحتساء الخمور، ولم يكن يخص ديانة أو عقيدة، رغم ارتباطه بالقاء التابوت المذكور.

---

(١) يروى المقريزي أنه كان يباع في يوم عيد الشهيد من الخمر ما يزيد على مائة ألف درهم فضة وقد باع في يوم واحد ما قيمته اثنا عشر ألف درهم من الخمر(خطط، ج١ص ٦٩).

(٢) خطط، ج ١، ص ٦٩.

٧ - عيد الزيتونة:

يحتفل الأقباط بهذا العيد في الأحد السابع من صومهم، الذي يوافق اليوم الثاني والأربعين من بداية الصوم، ويعرف هذا العيد بعيد الشعانين ومعناه التسبيح، وهو يحيى ذكرى ركوب السيد المسيح لحماره ودخوله إلى بيت المقدس ومن حوله النصارى يسبحون وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[١].

وكانت مظاهر الاحتفال بهذا العيد تتميز بتزيين القبط لكنائسهم بأغصان الزيتون وقلوب النخل، ويفرق منها عليهم على سبيل التبرك بها، ويخرجون في جماعات من الكنائس حاملين سعف النخل[٢].

وقد أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله عدة قرارات بمنع النصارى من الاحتفال بهذا العيد وتزيين الكنائس وحمل الخوص وأمر بالقبض على من وجد لديه شئ منه، وأمر بمصادرة ما علق في الكنائس من أغصان الزيتون والزينات وأحرق كثيراً من الصلبان وقد امتد أمر المنع إلى سائر أقاليم الدولة الفاطمية بما فيها المقدس[٣].

ولكن الاحتفال بهذا العيد وغيره من أعياد النصارى في مصر، أعيد الاحتفال بها في عهد خلفاء الحاكم، فكان الأقباط بالإسكندرية يظهرون احتفالهم بعيد الزيتونة في عهد الخليفة المستنصر، فيروى صاحب سيرة البيعة المقدسة بأن أقباط الإسكندرية كانوا يخرجون في هذه المناسبة في موكب كبير حاملين أغصان الزيتون وسعف النخيل والصلبان، وهم يرتلون الأدعية والقراءات، وكان موكبهم يخترق شوارع المدينة في هدوء دون أن يعترض طريقهم أحد وفي حراسة والى الإسكندرية وأعوانه[٤].

---

(١) صبح، ج ٢، ص ٤٢٥، خطط، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٤.

(٣) راجع: تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٤، خطط، ج ١، ص ٢٦٤، اتعاظ، ج ٢، ص ٧١.

(٤) سيرة البيعة، ج ٣، لوحة ٧٧.

الفصل الرابع

الاحتفالات القومية والأسرية

١ – تخليق عمود المقياس وفتح الخليج.

٢ – احتفالات الزواج.

٣ – الاحتفال بالمولود.

٤ – الاحتفال بالختان.

٥ – المآتم.



١ - الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج:

كان الاحتفال بوفاء النيل ومراقبة زيادته ونقصانه تقليداً قديماً يتبعه المصريون منذ أقدم العصور، واستمر هذا التقليد قائماً فى العصر الإسلامى بعد أن أدخل عليه المسلمون من التعديلات ما يتناسب مع تعاليم الإسلام[١].

وكانت مراقبة زيادة النيل موكلة إلى جماعة من رهبان النصارى يتوارثون هذا العمل، ولما قدم القاضى بكار بن قتيبة إلى مصر سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ورأى ذلك كتب إلى الخليفة العباسى المتوكل بأنه لا ينبغى أن يسند هذا العمل الجليل إلا إلى مسلم، فأمره المتوكل أن يعين فى هذه الوظيفة من يشاء، وفى العام التالى أمر المتوكل ببناء مقياس الجزيرة[٢]، واختار بكار بن قتيبة أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام لتولى أمر المقياس واستمرت الولاية فى ذريته يتوارثونها[٣].

---

(١) راجع: الهمدانى، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٥، المقدس، أحسن التقاسيم، ص٢٠٧، ج ١، ص ٥٧، ٥٨.

(٢) المقياس عمود من الرخام الأبيض مثمن الشكل فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مقسم إلى اثنين وعشرين ذراعا، وكل ذراع مقسمة إلى أربعة وعشرين قسما تعرف بالأصابع، ما عدا الاثنى عشر ذراعا الأولى، فان كل ذراع منها مقسمة إلى ثمان وعشرين أصبعا.

(راجع: ابن جبير، الرحلة، بيروت، ١٩٦٤، ص ٢٩، ٣٠، ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ١١٤، خطط، ج ١، ص ٩٥).

وكان النيل يصل إلى معدله فى الوفاء عندما يبلغ ارتفاع الماء فى المقياس ستة عشر ذراعا(خطط، ج١، ص ٤٧٦).

(٣) أحمد بن عبد السلام الشافعى، الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، نسخة خطية بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم٢٥٩١ ورقة١٧، ابن حجر،رفع الاصر ص١٤٢ ويذكر ابن خلكان أن أبا الرداد قد تولى أمر المقياس سنة٢٤٦هـ وعندما وضع مقياس الروضة سنة٢٤٧هـ استمر فى وظيفته وتوارثها أولاده من بعده(ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢٧٠، الشهاب الحجازى، نيل الرائد، مخطوط مصور بمكتبة الإسكندرية رقم ٣٦٩٨ ب، لوحة ٤ ب، ٥ أ).

ويروى ابن رسته(توفى فى أوائل القرن الرابع الهجرى) الطريقة التى كان يتم الإعلان بها عن زيادة النيل قبل العصر الفاطمى فيقول" وقد اتخذت علامات تعرف بها زيادة الماء ونقصانه، ووكل به جماعة يتعهدونه ويثبتونه فإذا زاد نظروا إلى بعض هذه العلامات فوقفوا على مقدار هذه الزيادة فى الخراج على حسب زيادة الماء، فيسير هؤلاء الموكلون إلى المسجد الجامع بأيديهم الرياحين، ويقفون على حلقة حلقة، ويرمون بما معهم من الرباحين إليهم وينادون إلى الله عز وجل قد زاد فى النيل كذا وكذا، فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له"[١].

وقد اتبع الفاطميون سنة جديدة فى الإعلان عن زيادة النيل، فكانت تطورات الزيادة تكتب فى رقعة لا يطلع عليها إلا الخليفة والوزير، فمنذ وصول المعز إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م منع" من النداء بزيادة النيل فلا يكتب ذلك إلا إليه وإلى جوهر، فلما تم أباح النداء"[٢] وكان يظل أمر الزيادة طى الكتمان إلى أن يبقى عن ذراع الوفاء أصبع أو أصبعان، فتصدر التعليمات بأن يبيت قراء الحضرة فى جامع المقياس تلك الليلة، وأن يبيت معهم المتصدرون بالجوامع ومن يجرى مجراهم لختم القرآن الكريم، ويمد لهم السماط بالأطعمة الفاخرة وتوقد عليهم الشموع حتى الصباح[٣].

ولا شك أن كتمان زيادة النيل حتى تمام وفائه كان تصرفاً حكيماً من الوجهة الاقتصادية يستهدف الحد من مشاعر القلق لدى الناس، وقد يدفع عدم زيادته تجار الغلال إلى إخفائها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من يملك مالاً فى الإقبال

(١) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، مجلد ٧ من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٩٢، ص ١١٦.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ١٣٨، خطط، ج ١، ص ٦١.

(٣) القلقشندى، صبح، ج ٣، ص ٥١٢، خطط، ج ١، ص ٤٧٦.

على شراء الحبوب وخزنها إما بغرض التجارة أو لطعام أسرته مما يحدث اضطراباً في الأسواق وتندر الغلال" ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة"[١].

وقد أظهر الفاطميون منذ استقرار المعز لدين الله في مصر سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢م اهتماماً خاصاً بالنيل، فبالغوا في الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج فركب المعز في هذا العام لفتح الخليج في موكب عظيم يضم كبار رجال الدولة والأعيان[٢] كما سار على هذه السنة باقي الخلفاء الفاطميين[٣].

وكان يتولى أمر مقياس الروضة في العصر الفاطمي شخص من أسرة أبي الرداد وهي الأسرة التي توارثت مهمة الإشراف على المقياس ورعايته وتنظيفه ابتداء من سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م كما ذكرنا، وكانت الرقعة التي يرسلها ابن أبي الرداد إلى الخليفة بقرب وفاء النيل لبلوغ معدله بمثابة إشارة البدء بالاحتفالات بهذه المناسبة المهمة التي كانت ولا تزال لها أعظم الأثر على أهل مصر الذين يعتمدون في حياتهم على النيل، فيبتهجون لهذه المناسبة ابتهاجاً عظيماً[٤].

ويركب الخليفة في صبيحة ذلك اليوم لتخليق عمود المقياس في موكب فخم مهيب يضم كبار رجال الدولة والأجناد قاصداً دار الصناعة[٥]

(١) خطط، ج ١، ص ٦١.
(٢) اتعاظ، ج ١، ص ١٣٩.
(٣) راجع: اتعاظ، ج ١، ص ٢١٤، ٢٧٥، خطط، ج ١، ص ٤٧٠، الداوداري، الدرة المضية، ص ١٧٥.
(٤) خطط، ج ١، ص ٤٧٦.
(٥) دار الصناعة هي المكان المخصص لصناعة السفن، وأول دار صناعة أنشئت في مصر في العصر الإسلامي هي دار صناعة الجزيرة في سنة ٥٤ هـ / ٦٧٣ م في ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري، والجزيرة المذكورة عرفت بأسماء عدة منها جزيرة مصر وجزيرة الفسطاط لوقوعها قبال مدينة مصر (الفسطاط)، وقد فقدت تلك الدار=

بالفسطاط، وقد زينت الطرق والحوانيت وجميع الدور وأبواب الحارات في طريق الموكب بالستور الحريرية والأعلام الزاهية، وقد احتشد الناس على جانبي الطريق وتوزع الصدقات خلال ذلك وتشمل العاملين بالجوامع وبوابي الحارات والسقاءين والفقراء وذوى الحاجة[١].

وعندما يصل الموكب إلى دار الصناعة يخترق الدهاليز المفروش بالحصر العبداني[٢] ويستمر في السير حتى يصل إلى المنظرة المعروفة بدار الملك المطلة على النيل فيكون العشاري[٣] الخاص بالخليفة في انتظاره، وقد حمل إليه من

=أهميتها في العصر الفاطمي الأول عندما أنشأ المعز دار صناعة المقس التي أصبحت مركز صناعة السفن في مصر(خطط، ج ٢، ص ١٩٥، ١٩٦) ولكن أعيد لصناعة الجزيرة أهميتها في عهد الخليفة الفاطمي الآمر ونشطت في صناعة أنواع من السفن، وعرفت في ذلك الوقت بدار صناعة الروضة نسبة إلى البستان الذى أنشأه الأفضل بن بدر الجمالي في شمال الجزيرة سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م وسماه الروضة(خطط، ج ٢، ص ١٩٧) وهي دار الصناعة المقصودة هنا في نص الاحتفال بتخليق عمود المقياس.

(١) خطط، ج ١، ص ٣٧٤.

(٢) الحصر العبداني، نسبة إلى عبادان وهي قرية صغيرة بنواحي البصرة.(راجع: النجوم، ج ٤، ص ١٤١، هامش" ١").

(٣) العشاري نوع من المراكب الصغيرة التي تستخدم كملحقات للمراكب الكبيرة وذلك لنقل المسافرين فيها إلى الساحل إذا استحال على المركب الكبير دخول الميناء لضخامته أو لضحالة مياه المرسى، وكانت لخفتها تتبع الرماة وقت الحرب.

(راجع النويرى السكندرى، الإلمام بالأعلام، مخطوط رقم ٦٦٧ م بمكتبة كلية الآداب بالإسكندرية، لوحة ١٢٤، خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥، درويش النخيلي، السفن الإسلامية علي حروف المعجم، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٩٥)

وكانت أهم وظائف العشماوى في العصر الفاطمي هو استخدامه لتنزه الخلفاء والأمراء ورجال الدولة، كما كان يركبه الخليفة بمناسبة الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج.

(راجع: خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥).

القصر بيت مثمن من العاج والأبنوس، كل جانب منه ثلاث أذرع وطوله قامة رجل وعليه قبة من خشب دقيق الصنعة، وكلها مغطاة بصفائح الفضة المذهبة[١] ويدخل الخليفة فى هذا البيت بعد نصبه على العشارى ومعه عدد من الأستاذين المحنكين يتراوح بين ثلاثة وأربعة ليكونوا فى خدمته، ويركب خواص الخليفة فى العشارى خارج البيت، ولم يكن يجلس فى العشارى من الراكبين سوى الخليفة باطناً، والوزير ظاهراً[٢].

ثم يأخذ العشارى طريقه فى النيل متجها إلى باب المقياس العالى على الدرج التى يعلوها النيل فينزل الخليفة ويدخل إلى فسقية المقياس[٣] وبصحبته الوزير وخواص الأستاذين المحنكين، فيصلى الخليفة والوزير تبجيلاً لهذه المناسبة وشكراً لنعم الله، فإذا فرغ الخليفة من الصلاة أخذ بيده طاسة من الفضة بها الزعفران[٤] والمسك ويناولها لصاحب بيت المال الذى يعطيها بدوره لابن أبى الرداد، فيلقى هذا بنفسه فى الفسقية وعليه ملابسه وعمامته ويتعلق فى عمود المقياس برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده اليمنى وفى أثناء ذلك يقوم قراء الحضرة بتلاوة القرآن، ثم يخرج الخليفة راكباً العشارى المذكور، وقد يتوجه إلى دار الملك مباشرة ويركب منها عائداً إلى القاهرة، أو ينحدر العشارى إلى المقس

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥١٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٦.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٧٦.

(٣) يروى ابن دقماق أنه قبل دخول الخليفة إلى الفسقية، كانت تجهز له مائدة تحوى الشواء والحلوى والفاكهة، فيتصدر الخليفة المائدة، ويعطى إشارته فتقبل العامة على الطعام ولا يمنع أحد من ذلك، فإذا فرغ السماط يتوجه الخليفة إلى المقياس.

(راجع: ابن دقماق، الانتصار، بولاق، ١٣٠٩ هـ، ج ٤، ص ١١٥).

(٤) ابن دقماق، ج ٤، ص ١١٥.

حيث يشاهد الخليفة السفن الحربية وهي تلعب أمامه وتقوم ببعض التحركات والمناورة وقد زينت جميعها بالستور والأهلة من الذهب والفضة[١].

ويكون في النيل في ذلك اليوم نحو ألف مركب" قرقورة"[٢] مشحونة بالعامة للتفرج والمشاركة في الابتهاج بهذه المناسبة.

والطريف أن عامة أهل مصر يحتفلون بهذا العيد بتزيين الأسواق والدور والاحتشاد لرؤية الموكب الخلافي، كانوا يحرصون على تخليق وجوه صبيانهم بالطيب[٣] تيمناً بتخليق عمود المقياس في ذلك اليوم.

وفي اليوم التالي لتخليق عمود المقياس، يتوجه ابن أبي الرداد إلى الإيوان الكبير بالقصر فيخلع عليه الوزير خلعة مذهبة ويمنحه خمسة أكياس في كل كيس خمسمائة درهم[٤] فيخرج ابن أبي الرداد من باب العيد[٥] أحد أبواب القصر، وقد أعد له خمسة بغال على ظهر كل منها راكب من بيت المال يحمل بيده أحد الأكياس الخمسة ظاهرة، وقد أحاط به أقاربه وأصدقاؤه، وأمامه النقارات والأبواق، ووراءه الطبول مثل الأمراء، فيشق موكبه بين القصرين،

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٧١، ٤٧٣.

(٢) القرقورة جمعها قراقير، وهي من السفن الكبيرة التي كانت تستخدم في نقل المؤن والعتاد للأسطول الحربي، ولكن النوع المستخدم في النزهة والتفرج على الاحتفالات في النيل أقل حجماً من المستخدم في الأسطول، كما كانت تستخدم أيضاً للنقل الخفيف في النيل) راجع: صبح، ج ٢، ص ٥١٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٦، ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٧٥).

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ١٥٠.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥١٣، ويقصرها المقريزي على أربعة أكياس.(خطط، ج ١، ص٤٧٧).

(٥) سمي بهذا الاسم لأن الخليفة كان يخرج منه في عيدي الفطر والأضحى متوجها إلى المصلى التي بظاهر باب النصر حيث تجرى مراسم الصلاة والخطبة(خطط، ج ١، ص ٤٣٥).

وكلما مر على باب من أبواب القصر التى يجتازها الخليفة نزل وقبله ويسير فى موكبه مخترقاً شوارع القاهرة والفسطاط حتى يصل إلى المقياس، فيأخذ لنفسه من الأكياس قدراً له ويوزع الباقى على بنى عمه وأرباب الرسوم المقررة[١].

وفى اليوم الثالث أو الرابع من الاحتفال بتخليق عمود المقياس، وبعد أن يأخذ النيل فى الزيادة، يبدأ الاحتفال الكبير بفتح الخليج، فينصب للخليفة الخيمة العظيمة المعروفة بالقاتول[٢] فى بر النيل الغربى على حافته عند منظرة السكرة[٣] وكان يضرب لأرباب الرتب والأمراء وكبار رجال الدولة إلى الشمال من القاتول، خيمات كثيرة، وعلى قدر مراتبهم فى الوظائف يكون قربهم من خيمة الخليفة.

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٥١٣، ٥١٤، خطط، ج ١، ص ٤٧٧، وكان للمقياس فى الدولة الفاطمية رسوم لتنظيف مجارى الماء مقدارها خمسون دينارا فى السنة تدفع لابن أبى الرداد لهذا الغرض.(راجع: خطط، ج ١، ص ٦١).

(٢) كانت هذه الخيمة تسمى بالثوب الكبير الأفضلى، وقد عرفت بالقاتول لأنه عند بدء استعمالها فى أيام الأفضل بن بدر الجمالى تسببت فى إصابة جماعة، وقتل رجلان أثناء تركيبها لشدة ضخامتها، فسميت بالقاتول، وتبلغ مساحتها حوالى فدانين.(راجع: خطط، ج ١، ص ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٧).

(٣) منظرة السكرة من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين، وكانت تقع فى بر النيل الغربى فيجلس فيها الخليفة يوم الاحتفال بفتح الخليج، وكان حولها بستان جميل وبها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وعدد من الأستاذين، وبنيت فى عهد الخليفة العزيز با لله، وكانت السكرة تزين فى يوم الخليج فتفرش بأنفس المفروشات وتعلق بيها أجمل الستائر، وتوضع فيها تماثيل فى غاية الدقة على أشكال الصور الآدمية والحيوانات المختلفة من الغزلان والفيلة والزرافات والسباع وغيرها المصنوعة من الذهب والفضة والعنبر فى غاية من الاتقان والجمال.(راجع: خطط، ج ١، ص ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٧).

ويخرج الخليفة بهذه المناسبة من القصر فى موكب حافل وقد ارتدى ثوباً من حرير مرقوم بالذهب يقال له" بدنه" وحوله الأستاذون المحنكون، ويسلك الموكب نفس الطريق التى يسلكها يوم تخليق المقياس، ويتقدم عازفوا الموسيقا من نافخى الأبواق النحاسية والمنقرين بالطبول، ويشترك فى الموكب عشرة آلاف فارس على خيولهم سروج من ذهب وألجمة مرصعة، كما تشترك الجمال التى تحمل الهوادج المرصعة بالذهب والجواهر[١] وبداخلها حريم الخليفة وحظاياه وجواريه، وأمام جواد الخليفة يسير ثلاثمائة من المشاه يرتدون ثياباً مذهبة وقد حزموا أوساطهم ويحملون بأيديهم السهام والنشاشيب، وعلى يمين ويسار الخليفة جماعة من الفراشين يحملون المجامر المرصعة ويحرقون فيها العنبر والعود والناس متحشدين على جانبى الطريق ويستقبلون الخليفة بالدعاء والسجود، ويتبع الخليفة فى ترتيب الموكب الوزير وقاضى القضاة وعدد كبير من رجال الدولة والعلماء[٢] فاذا وصل الموكب إلى جامع ابن طولون، يقوم بعض الفرسان المدربون على الألعاب ببعض الحركات والألعاب البهلوانية على الحبال المدلاة وهم يتقلبون فى الهواء[٣].

وينتهى الموكب عند شاطئ النيل، فيدخل الخليفة إلى الخيمة القاتول ويجلس على الحشية المعدة له فوق سرير الملك، ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون، ويجلس الوزير على كرسى مخصص له، ويقف أرباب الرتب فى صفين من سرير الملك إلى باب الخيمة، وقراء الحضرة يتلون آيات من القرآن لمدة ساعة، فإذا فرغوا من القراءة استأذن صاحب الباب فى دخول الشعراء فينشدون قصائدهم حسب مراتبهم، ومما قيل فى هذه المناسبة ونال

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٥٢.

(٢) سفرنامة، ص ٥٤.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٧٧.

إعجاب الحاضرين وحصل الشاعر على منحة مقدارها خمسين ديناراً قصيدة منها هذه الأبيات:

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد ∴ للنيل أم لك يا ابن بنت محمد
أم لاجتماعكما معاً في موطن ∴ وافيتما فيه لأصدق موعد[١]

فإذا ما انتهى الاحتفال في الخيمة انتقل الخليفة إلى منظرة السكرة، فيجلس الخليفة ومعه الوزير وكبار رجال الحاشية والأستاذون، فتفتح إحدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج، وطاقة تقاربها يطل منها أستاذ من الخواص، ويشير بالفتح، فيفتح السد بأيدى عمال البساتين بالمعاول[٢] إيذاناً بتدفق ماء النيل إلى أنحاء البلاد حاملاً الخير والرخاء، وفي أثناء ذلك تنطلق أصوات الطبول والأبواق من الشاطئين وقد احتشد آلاف المصريين على الجانبين وهم في غاية من الابتهاج والسرور وتجرى خلال ذلك أنواع من الألعاب المسلية[٣] وكان الناس يضعون ألواحاً من الخشب بعضها فوق بعض ويقفوا عليها للفرجة وحتى يمكنهم مشاهدة مراسم الاحتفال، ولكن الخليفة

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٧٨، ويذكر عمارة اليمني في ديوانه أشعاراً في هذه المناسبة يمدح فيها الخليفة الفاطمي العاضد، منها:

شرفت أمير المؤمنين مواسم ∴ أضحت تؤرخ باسمكم وتسطر
وأجلها يوم الخليج فإنه ∴ من بينها يوم أغر مشهر
وافاك فيه النيل وهو من الحيا ∴ خجل يقدم رجله ويؤخر

(راجع: النكت العصرية، ج ١، ص ٢٢٣ – وأمثلة أخرى: ص ٢٢٤ وص ٢٣٥).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٧٨ – ويذكر ناصر خسرو الذى شاهد هذا الاحتفال أن الخليفة المستنصر هو الذى ضرب السد بنفسه بمزراق، ثم قام الرجال بهدمه بالمعاول والفؤوس فانساب الماء دفعة واحدة في الخليج.(راجع: سفرنامة، ص ٥٤).

(٣) سفرنامة، ص ٥٤.

الآمر أمر سنة ٥١٨ هـ / ١١٢٤م ببناء دار واسعة على شاطئ النيل ليتفرج الناس فيها عند فتح الخليج وذلك نظير أجر معلوم[١].

وفى أثناء ذلك يصل السماط من القصر، فيوضع فى خيمة واسعة معدة لذلك فتوزع الأطعمة على شهود الاحتفال، وكان الطعام يقدم فى صوانى محمولة بمرافع من الفضة يحملها الفراشون، وقد غطت الأطعمة الشهية الرائحة بأغطية من حرير، وكان يخص الوزير فى هذا اليوم ثلاث صوان عليها تماثيل الحلوى[٢] وبعد تناول الحاضرين للطعام يفرق عليهم منه على سبيل البركة[٣] وكان يوزع من الطعام فى هذا اليوم ما قيمته ألفا دينار، كما تصنع من أصناف الحلوى فى دار الفطرة ما قيمته سبعة آلاف دينار وتوزع على الناس بهذه المناسبة[٤].

والطريف أن ناصر خسرو يذكر أن أول سفينة نزلت الماء أثناء مشاهدته لاحتفال فتح الخليج كانت لجماعة من الخرس، ويقول:" لعلهم يتفاءلون بهم" وقد منح المستنصر هؤلاء الخرس الهبات والصدقات[٥].

وكان من عادة الخلفاء الفاطميين إبلاغ عمال الولايات والأقاليم الخاضعة لهم بهذا الموسم، فتكتب رسائل بوفاء النيل وأخرى بمناسبة فتح الخليج، وكان المتبع فى هذه الحالة أن يطلب من المسئول الموجه إليه الرسالة دفع" الرسوم التى جرت العادة بتوظيفها لابن أبى الرداد محمولة من جهتك إلى حضرتنا"[٦] مما يوحى بأن ابن أبى الرداد كان يحصل فى هذه المناسبة على

---

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ١٠٧.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٧٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٧٢.

(٤) مخطوط الفيض المديد، ورقة ٤٣.

(٥) سفرنامة، ص ٥٤.

(٦) صبح، ج ٨، ص ٣٢٩، خطط، ج ١، ص ٤٧٩.

هبات ورسوم من ولاة الأعمال احتفالاً بهذه المناسبة الجليلة، بالإضافة إلى ما كان يحصل عليه من خلع وهبات مالية من الخليفة الفاطمي.

٢ - احتفالات الزواج:

كان نظام التسرى بالإماء ظاهرة اجتماعية شائعة في العصور الإسلامية وقد انتشر التسرى وامتلاك الحظايا في العصر الفاطمي في مصر ولم يكن قاصراً على الخلفاء وكبار رجال الدولة من القادرين اقتصادياً، بل كان يشمل من يملك ثمن الآمة من عامة الناس، إلا أن الزواج من حرة كان من الأمور المستحسنة لاقامة الأسرة المصرية في ذلك الوقت(١).

وكان الزواج يتم طبقاً لعقد مكتوب يوقع عليه عدد من الشهود قد يزيد على العشرة في بعض الأحيان(٢) ويتولى عقد زواج العامة أحد رجال الدين أو الشهود العدول ولا يحق له ممارسة هذا العمل إلا بأمر من القاضي أو نوابه في الأقاليم(٣) أما الخلفاء وكبار رجال الدولة والحاشية فإن قاضي القضاة بنفسه كان يتولى عقد الزواج لهم(٤) وأحياناً كان يقوم الخليفة الفاطمي بعقد الزواج بنفسه لأحد أبنائه(٥).

---

(١) راجع: عمارة اليمني، النكت العصرية، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) راجع: جورهمان، أوراق البردى، ج ١، القاهرة، ١٩٣٤، ص ٨٠، ٨١.

(٣) أوراق إلبردى، ج ١، ص ١٠١.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢٥٢ - فعند زواج الخليفة العزيز سنة ٣٦٩ هـ منح من وقع العقد ألف دينار، وخلع على قاضي القضاة والشهود، وحملهم على البغال، فطافوا البلد بالطبول والأبواق.

(راجع: اتعاظ، ج ١، ص ٢٥٢).

(٥) راجع: اتعاظ، ج ٣، ص ٨٥.

وينص عقد الزواج على قيمة الصداق الذى كان يتناسب وحالة الزوج الاجتماعية وأقل ما ورد من قيمة للصداق فى العقود البردية التى وصلت إلينا والتى يرجع تاريخها إلى القرن الثالث والرابع والخامس هو دينار واحد وأكثرها ثمانون ديناراً[١] ومعظمها عقود تخص طبقة العامة وأواسط الناس، وكان الزوج يحصل على إيصال من زوجته بقيمة ما دفع لها من صداق يوقع عليه عدد من الشهود[٢]، كما كانت الزوجة بدورها تحصل على سند بقيمة ما تأخر لها من الصداق[٣].

أما صداق الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة فى العصر الفاطمى فكان ضخماً بالقياس إلى ما سبق ذكره، فعندما عقد العزيز قرانه على ابنة عمه سنة ٣٦٩ هـ/ ٩٧٩ م أمهرها مائتى ألف دينار ذهباً[٤]، كما أن الآمر عندما تزوج السيدة" علم الآمرية" سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م كتب صداقها، وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار[٥]. وعند زواج ابنتى قائد القواد الحسين بن جوهر سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م، عقد قرانهما فى القصر، وخلع الحاكم على الزوجين ودفع عنهما المهر ومقداره ألف دينار[٦].

وكان عقد الزواج غالباً ما ينص على أمور تشترطها الزوجة على زوجها أثناء حياتهم المشتركة، ومن هذه الشروط التى وردت فى الوثائق البردية نرى الزوجة تلزم الزوج فى حالة اقترانه بزوجة أو أكثر غيرها أن تكون لها اليد

---

(١) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٦.

(٢) راجع: أوراق البردى، ج ١، ص ١١٢، ١١٣.

(٣) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٧.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦. لوحة ٤٧، اتعاظ، ج ١، ص ٢٥٢.

(٥) خطط، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٩٨.

العليا فى شئون الدار ولها الأمر والتدبير[١] كما تشترط إحدى الزوجات على زوجها فى حالة اتخاذه لجارية أو حظية يكون أمرها بيدها" إن شاءت عتقت وإن شاءت بيعت، فعتقها وبيعها جائز عليه ولازم له"[٢].

كما كانت هناك شروط أخرى لصالح الزوجة مثل اشتراطها على زوجها ألا يمنعها من زيارة أهلها ولا يمنع أهلها من زيارتها[٣] وأن يتقى الله فيها ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف[٤].

وكان نص العقد فى العصر الفاطمى غالباً ما يحتوى على الدعاء للخليفة وآبائه الطاهرين، ونلاحظ هذا الأمر فى عقد زواج مؤرخ فى ١٥ جمادى الأولى سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٢٨ م فى عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله[٥] وكان الخليفة أحياناً يسجل بعض العبارات بخطه فى عقد قرآن كبار رجال الدولة والأمراء، ومثال ذلك ما كتبه الخليفة الحاكم فى سجل زواج ابنتى الحسين بن جوهر" يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل"[٦].

وكانت التقاليد الاجتماعية فى هذا العصر تقضى بعدم اختلاط الأشراف بغيرهم عن طريق المصاهرة حفاظاً على نقاء الدم الشريف[٧] كما كان من غير اللائق أن يشاهد الرجل المرأة التى يرغب الزواج منها قبل عقد الزواج[٨].

---

(١) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٤.
(٢) أوراق البردى، ج ١، ص ٨٩.
(٣) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٨، ٨٩.
(٤) أوراق البردى، ج ١، ص ٧٣، ٧٨، ٨٩، ٩٧.
(٥) أوراق البردى، ص ٩٨.
(٦) اتعاظ، ج ١، ص ٢٩٨.
(٧) راجع: صبح، ج ١٠، ص ٤٠٠.
(٨) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٥٩.

وكما كان الصداق يختلف باختلاف الحالة الاجتماعية للزوج. فإن قيمة ما تجهز به العروس كان خاضعاً لحالة أسرتها المالية، ويبدو أن الزوج كان يتكفل بدفع قيمة المهر وإعداد دار الزوجية، وعلى أسرة الزوجة إعداد الجهاز اللازم للدار. ويروى المقريزى(١) أن جهاز العروس كان غالباً ما يحتوى على دكة مثل السرير مصنوعة من النحاس المكفت، أو من الخشب المطعم بالعاج والأبنوس، أو من خشب مدهون، وهذه الأنواع تختلف أثمانها طبقاً لجودة خامتها ودقة صناعتها، بالإضافة إلى سبعة أوان من النحاس الأصفر المكفت بالفضة مختلفة الأحجام بعضها أصغر من بعض، وسبعة أطباق مختلفة الأحجام أيضاً وغير ذلك من الملابس الجديدة والطشت والأبريق والمبخرة، وتقدر قيمة هذا الجهاز بما يزيد على مائتى دينار ذهباً، وهذا على ما يبدو كان جهاز العروس من الطبقة المتوسطة والعامة، لأن المقريزى ينص على أنه" لابد أن يكون فى شورة العروس"(٢) ثم يذكر التفصيل.

أما إذا كانت العروس من طبقة الخاصة من بنات الوزراء والأمراء وأعيان الكتاب أو طبقة أثرياء التجار، فإن جهازه كان يتكون من سبع دكك على أشكال مختلفة أى أنها كانت تتجهز بما قيمته سبعة أضعاف مثيلتها من بنات العامة وأواسط الناس(٣).

وكانت طبقة الخاصة تغالى فى إعداد جهاز بناتها كنوع من المباهاة واظهار النفوذ والثراء، ومن الأمثلة على ذلك، أنه فى جمادى الآخرة سنة

---

(١) راجع: خطط، ج ٢، ص ١٠٥.

(٢) خطط، ج ٢، ص ١٠٥ - ورغم أن رواية المقريزى عن شورة أو جهاز العروس تعتبر وصفا لهذا الجهاز كما عاصره إلا أنه من المحتمل أن هذا الجهاز كان بهذه الصورة أيضا فى العهود التى سبقت ذلك. فالمعروف أن التقاليد الاجتماعية بطيئة التغير.

(٣) خطط، ج ٢، ص ١٠٥.

٣٨١ هـ / ٩٩١ م زفت أخت كاتب" السيدة العزيزية"[١] إلى زوجها بلتكين التركى، وحملت معها جهازاً قيمته مائة ألف دينار، سوى صناديق محملة على ثلاثين بغلاً تحمل الملابس والتحف الثمينة، وعملت له مائدة ضخمة ذبح فيها عشرون ألف حيوان وطائر ما بين كبش وخروف وجدى وأوزة ودجاجة[٢].

وعند زواج الخليفة العاضد من أخت الوزير العادل رزيك، حمل معها جهاز فخم يليق بالخليفة بالإضافة إلى عدد من الصناديق بها عدة قناطير من الذهب[٣].

وكانت الموائد الفاخرة جزءاً من الاحتفال بالزواج، ولدينا مثال على ذلك لطبقة الخاصة فى مائدة بلتكين التركى، وإن كانت المصادر لم تذكر شيئاً عن الموائد التى تقام فى احتفالات العامة بالزواج إلا أنه من المسلم به أن الطعام والحلوى والشراب كانوا يمثلون مظهراً رئيسياً للاحتفال بهذه المناسبة.

وكانت توجد فى الدولة الفاطمية دور مخصصة لإقامة حفلات الزفاف تستأجر من أصحابها لهذا الغرض، وكان على ملاك هذه الدور التزام جانب الأخلاق الحميدة والمحافظة على حرمة أصحاب الحفل، وعدم تسور أسطح الدور للتطلع إلى النساء المجتمعات فى الحفل، وكانت الدولة تأخذ عليهم عهداً بذلك ويوقع صاحب الدار وثيقة بعدم التعرض لمؤجرى داره للأفراح، وإلا حرم من تأجيرها لهذا الغرض[٤].

---

(١) يقصد بالسيدة العزيزية زوجة العزيز، وكانت العادة أن تنسب زوجات الخلفاء اليهم(خطط، ج ٢، ص ٣١٨).

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧١.

(٣) عمارة اليمنى، النكت، ج ١، ص ٥٣، ٥٤.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ١٠٠، ١٠١.

وكانت العروس تجلس فى مكان الاحتفال على دكة عالية بمفردها بحيث تصل إليها أنظار الحاضرات وهى فى أبهى زينة وأجمل ثياب، وقد التف حولها أفراد أسرتها والمدعوات، وكان هذا الحفل قاصراً على النساء(١).

ومن جهة أخرى يخصص مكان آخر للزوج ومعه أصدقاؤه والمدعوون من الرجال للاحتفال به على غرار ما يحدث فى مجلس العروس، وكانت مظاهر البهجة والسرور تعم الاحتفال فتغنى المغنيات(٢) وتعمل فيه أنواع الملاهى والمضحكات والرقص وتوزع أنواع الحلوى والأطعمة على الحاضرين(٣) حسب مكانة صاحب الحفل وثرائه.

وكانت احتفالات طبقة الخاصة بمناسبة الزواج، تكون على درجة كبيرة من الفخامة وتتميز بمظاهر الثراء، فتوزع فيها الهبات الثمينة، وتنثر خلالها الأموال على العامة، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ظافر الحداد يمدح أمير الجيوش بدر الجمالى ويهنئه بزواج ولده:

فتحت للناس أبواب السرور به ∴ فالعرس فى كل قلب غير مختصر
لله ملك وأملاك قد اقترنا ∴ إلى السعادة فى أمن من الغير(٤)
نثرت للناس من عين ومن ورق ∴ فيه فلم يبق من لم يحظ بالبدر(٥)

(١) اتعاظ، ج ص، ص ١٠٠.
(٢) الأدفوى، الطالع السعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٥١.
(٣) الغزولى، مطالع البدور، ج ص، ص ٤٤.
ويجدر التنويه أنه رغم أن الأدفوى والغزولى كانا يعاصران العصر المماليكى إلا أنه من المحتمل أن ما ذكرناه عن تقاليد احتفالات الزواج ما هى إلا امتداد للتقاليد المتبعة فى العصور السابقة.
(٤) الغير: الأحداث.
(٥) راجع: ديوان ظافر الحداد، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٥٠، وراجع قصائد أخرى فى مثل هذه المناسبة، ص ١٤٨ وما بعدها، ص ١٧٠ وما بعدها.
العيون: الذهب. الورق: الدراهم، والبدر، جمع بدرة وهى كيس النقود.

٣ - الاحتفال بالمولود:

ومن الاحتفالات الأسرية التى كانت موضع اهتمام العامة والخاصة فى العصر الفاطمى، الاحتفال بالمولود، ورغم أن ما لدينا من معلومات مقصور على مظاهر احتفال الخلفاء وكبار رجال الدولة بهذه المناسبة، إلا أنه من المسلم به أن هذه الاحتفالات كانت موضع اهتمام أواسط الناس وعامتهم، مع اختلاف مظاهر الاحتفال وفخامته وما يقدم فيه من ألعاب وغناء وطعام تبعاً لثراء المحتفل ومكانته الاجتماعية فمن التقاليد المتبعة إقامة الولائم فى هذه المناسبة[١].

ونلاحظ أن المصادر التى رجعنا إليها تصمت فيما يتعلق بالاحتفال بالمواليد الإناث، ومن المرجح أن ذلك راجع إلى أن الذكر يتولى منصب ولى العهد فى بعض الأحيان، كما أنه يعبر عن الدور الثانوى الذى تلعبه المرأة فى الحياة العامة بالقياس إلى الرجل، ويظهر هذا جلياً فى أسلوب التهنئة بالمولود الأنثى، فنلاحظ أن صاحب التهنئة يحاول التخفيف عن الخليفة لما أصيب به من مكروه وضيق عند معرفته خبر إنجابه لأنثى[٢].

وكان الاحتفال بالمولود الذكر يبدأ فى اليوم التالى لولادته، فكان الخليفة الفاطمى يجلس فى هذا اليوم فى القصر ويتقبل التهانى من الأقارب والحاشية وكبار رجال الدولة[٣]. وفى اليوم السابع للمولود، يقام احتفال عظيم فى الإيوان الكبير بالقصر، فيزين الإيوان لهذه المناسبة بالستور الزاهية، وتعلق على حوائطه أنواع الأسلحة الخفيفة المطعمة بالذهب والفضة والجواهر، ويخرج المولود المحتفى به من مهده يحمله أحد كبار رجال الدولة أو قاضى القضاة[٤]

---

(١) راجع: الغزولى، مطالع البدور، ج ٢، ص ٤٤.

(٢) راجع أمثلة على التعهانى بالمولود الأنثى: صبح، ج ٩، ص ٦٠، ٦٩.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٥، ٥٨.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ١٢٨.

فيقوم المزين بأخذ الطفل ويحلق شعره ويزينه، ثم تحضر الشاة التي يضحى بها عن المولود في هذه المناسبة وتسمى "العقيقة"[١] وعليها كساء من حرير وفي عنقها قلائد الفضة[٢] فتنحر الشاه بيد أحد الأشراف وبحضور الخليفة[٣] وفي أثناء ذلك يبخر المولود بأزكى أنواع البخور من العنبر والعود حتى يمتلئ المكان بشذاه[٤]. ويقوم أحد الحجاب بحمل العقيقة والدم من مكان الاحتفال. ويروى المقريزي أن عثمان الحاجب عندما حمل الدم والعقيقة عند الاحتفال بمولود للحاكم سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م أهدى له بهذه المناسبة ألف دينار وغرس بلجامه وعدة ثياب، كما منح المزين مائتي دينار وفرس[٥].

وخرج قائد القواد الحسين بن جوهر إلى طوائف الجند المحتشدة للتهنئة حول القصر وأعلن لهم عن اتمام الاحتفال بالمولود، وأخبرهم باسمه وكنيته[٦] فقبل الجميع الأرض ورددوا الدعاء للخليفة والمولود[٧]

وكان الاحتفال بمواليد الخلفاء لا يقتصر على القصر، بل يشمل أنحاء البلاد التي يعمها الأفراح والزينات، ويروى ناصر خسرو مظاهر الاحتفال

---

(١) أصل العقيقة الشعر الذى يولد به المولود، فسميت الشاة التى تذبح عنه فى حين حلق ذلك الشعر، عقيقة، والرسول(صلعم) أمر بحلق الشعر الذى يولد به المولود عن رأسه يوم سابعه، أو يوم الرابع عشر، على ألا يتأخر ذلك عن اليوم الحادى والعشرين.

راجع: القاضى النعمان، دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٨٧.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٥، ٥٨.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ١٢٨.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٥.

(٦) كانت التقاليد في ذلك الوقت تقضى بأن يسمى المولود يوم سابعه(راجع: دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٢٨.

(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٥.

العام بمولود للخليفة المستنصر سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م" فأمر الناس بإقامة الأفراح فزينت المدينة والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد الناس صحة ما أقول، ولما صدقوني"(١) كما كانت الاحتفالات بهذه المناسبة تمتد إلى الشام عندما كانت خاضعة للفاطميين فيروى صاحب الدولة المنقطعة" وكان مورد المستنصر في جمادى الآخرة سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٦٩ م، وزينت البلاد لمولده أحسن زينة بمصر والشام، وأنفق بمصر في زينتها من الأموال ما لا يحصى"(٢).

وكان الخلفاء الفاطميون يغمرون رجال دولتهم في هذه المناسبة بالهدايا والهبات فتوزع الملابس الجديدة على الجند وكبار رجال الدولة وأرباب الرتب والوظائف وتمد الأسمطة الفاخرة التي تمتاز في هذه المناسبة بوجود كميات وافرة من الفاكهة تجلب لها من بساتين الخليفة في الفيوم والقليوبية والدرقية(٣) كما كانت تقام احتفالات صاخبة تقام أنواع الملاهي والموسيقى والغناء في قاعات القصر للخاصة وكبار رجال الدولة، وعلى أبوابه ليشاهدها العامة ويشاركون في البهجة التي تغمر الجميع بهذه المناسبة، وتستمر الاحتفالات والزينات والأفراح أربعة عشر يوماً(٤).

وكان الخلفاء الفاطميون يقدمون الهدايا الثمينة إلى وزرائهم وكبار رجال دولتهم عندما يرزق أحدهم بمولود ذكر. فيروى المقريزي في حوادث سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٩ م أنه ولد للوزير يعقوب بن كلس ولد ذكر، فأرسل إليه الخليفة العزيز هدية تحتوي على مهد من صندل مرصع بالجواهر، وثلاثمائة

---

(١) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٦٢.

(٢) راجع: مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٧٢.

(٣) اتعاظ، ج ٣، ص ١٢٨.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ١٢٨.

ثوب، وعشرة آلاف دينار، وخمسة عشر فرساً بسروجها، وكمية كبيرة من العطر، فكان مقدار هذه الهدايا مائة ألف دينار[١].

كما كانت زوجات الخلفاء يشاركن فى تقديم الهدايا لكبار رجال الدولة فى هذه المناسبة، ومن أمثلة ذلك ما قدمته" السيدة العزيزية" إلى أحد القواد عندما ولد له مولود ذكر، فبعثت إليه" مائة ثوب صحاح من كل فن، وثلاثمائة دينار، ومهدين أحدهما أبنوس محلى بذهب، والآخر صندل محلى بفضة ولهما أغشية ومخاد وثياب وفرش مثقلة"[٢].

وكان الشعراء ينظمون قصائدهم فى المدح والتهنئة للخلفاء وطبقة الخاصة بهذه المناسبة[٣]. كما كانت العادة المتبعة فى الدولة الفاطمية، إرسال الكتب إلى ولاة الأعمال فى الأقاليم والمناطق الخاضعة للدولة بالبشارة بالمولود الذكر للخليفة[٤] ليعلم الجميع ذلك وتشمل الأفراح والاحتفالات أرجاء الدولة.

٤ - الاحتفال بالختان:

كانت عادة ختان الصبيان منتشرة فى مصر الإسلامية بين المسلمين والقبط[٥] ونلاحظ من رسائل التهانى بالختان فى العصر الفاطمى والتى أورد بعضها القلقشندى أنه كانت من المناسبات التى يحتفل بها المصريون[٦] رغم أن المصادر التى بين أيدينا لم تذكر تفاصيل عن هذه الاحتفالات.

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ٢٥٢، حوادث سنة ٣٦٩ هـ.

(٢) اتعاظ، ج ١، ص ٣٨١.

(٣) راجع: ديوان ظافر الحداد، ص ٣٠٨ وما بعدها.

(٤) راجع: صبح، ج ٨، ص ٣٥٦، ٣٥٧.

(٥) راجع: صبح، ج ٩، ص ٧٤، ٧٥.

(٦) يذكر أبو صالح الأرمنى أنه لابد لتنصير الطفل من ختانه.(راجع: تاريخ أبى صالح،ص٥٩).

وقد أورد المؤرخون تفاصيل احتفالات الختان الجماعى فى الدولة الفاطمية في المغرب، ففى سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م كتب الخليفة المعز لدين الله إلى عماله بالمغرب من برقة إلى سجلماسه وجزيرة صقلية أن يسجلوا جميع الأطفال الذين فى أعمالهم على اختلاف طبقاتهم وجنسياتهم ودياناتهم، ليختتنوا مع أولاده[١] على أن يقوم كل وال فى مكانه بالتكفل بجميع نفقات الأولاد من كسوات وطعام وشراب وطيب بمقدار ما يحتاجه كل فرد منهم[٢].

" فكان من جملة ما أنفق في ذلك مما حمل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال سوى الخلع والثبات، خمسون حملاً من الدنانير كل حمل عشرة آلاف دينار[٣] أى نصف مليون دينار، كما أرسل مثل هذا المبلغ من المال إلى كل عامل من عمال الدولة الفاطمية، وابتدئ في الختان فى أول ربيع الأول سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م واستمر حتى نهاية الشهر، وبدأ الختان بطهور أولاد الخليفة وأهل بيته وأولاد خاصته وكبار رجال الدولة ثم استمر فى سائر أولاد الطبقات الأخرى[٤] وختن خلال هذا الشهر من أهل صقلية فقط خمسة عشر ألف صبى[٥].

ويضيف القاضى النعمان طريقة الاحتفال بهذا الختان الجماعى كما شاهده بنفسه في المنصورية عاصمة الدولة الفاطمية بالمغرب، فيذكر أن الخليفة المعز كان يجلس بنفسه في السرداق الضخم الذى أقيم بساحة القصر، وكان يسمح للصبيان بالدخول ومعهم من يشاء من آبائهم وأمهاتهم وخدمهم،

---

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٣٨.

(٢) النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٥٥٦.

(٣) الذخائر والتحف، ص ١٢٤، ١٢٥، اتعاظ، ج ١، ٩٤.

(٤) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٣٨.

(٥) الذخائر والتحف، ص ١٢٤، ١٢٥، اتعاظ، ج ١، ص ٩٤، ٩٥.

والختانون يجلسون على كراسى، وأمامهم قوم يمسكون الأطفال في حجورهم حتى يتم ختانهم ومعهم المساحيق التى تنثر على مكان الختن لتمنع نزول الدم، ويرشون على رؤرس الأطفال ووجوههم ماء الورد، حتى يفيقوا مما اعتراهم من الألم والخوف، وكان أصحاب الملاهى والألعاب المضحكة يلهونهم أثناء عملية الختان حتى يصرفونهم عن الألم والبكاء، وكان الطفل بعد ختانه يمر محمولاً أمام الخليفة فيمنح ما خصص له من كساوى وعطاء، ويصحب بعض أصحاب الملاهى من ختن من الأطفال فى جماعات يزفونهم إلى منازلهم(١).

وقد حصل أبناء الخاصة فى هذه المناسبة من الخلع والكسوات ما يتفاوت ومكانة كل صبى من هذه الطبقة، أماما كان يحصل عليه أطفال العامة من المال غير الكسوة يتراوح بين مائتى درهم إلى مائة وخمسين، "وأقل ما أعطى المجهولون من أهل البوادى ونظرائهم وعبيدهم، كل صبى منهم عشرة دراهم"(٢).

واستمرت الاحتفالات طوال هذا الشهر الذى أصبحت أيامه أعياداً ومسرات وأفراح(٣).

ورغم أن هذه هى المرة الوحيدة التى ذكر فيها هذا النوع من الاحتفال فى العصر الفاطمى، إلا أنه من المحتمل أن مثل هذا كان يحدث بصورة أو بأخرى فى عصر الدولة الفاطمية بمصر. فيروى أبو صالح الأرمنى أنه لابد لتنصير الطفل من ختانه(٤) كما أن رسائل التهانى بالختان فى العصر الفاطمى كانت لها تقاليد متبعة توضح أن الختان كان من شروط الإيمان الصحيح وما

---

(١) النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٥٥٦، ٥٥٧، حسن ابراهيم، المعز، ص ٢٧٣، ٢٧٥.

(٢) المجالس والمسايرات، ص ٥٥٧.

(٣) المجالس والمسايرات، ص ٥٥٨.

(٤) تاريخ أبى صالح، ص ٥٩.

تفرضه الشريعة الإسلامية[١] لذلك فهو منتشر بين الخاصة والعامة ويحتفل بهذه الحادثة بما يناسبها من وجوه الاحتفال، وكان من التقاليد المتبعة فى تلك العصور إقامة الولائم بمناسبة الاحتفال بالختان[٢].

٥ - المآتم:

كانت مظاهر الحزن على الميت وإعداده للدفن لا تختلف كثيرا عما هو معروف فى العصور الإسلامية، وإن كانت قد تميزت فى العصر الفاطمى بمظاهر البذخ والثراء التى كانت طابع الحياة فى مصر الفاطمية وخاصة فيما يتعلق بطبقة الخاصة.

وكان الميت يغسل طبقاً للتقاليد المتبعة فى هذا الشأن، ونلاحظ أن قاضى القضاة أو داعى الدعاة كان يقوم بنفسه بغسل الخلفاء وكبار رجال الدولة وأحياناً كان يشترك معه "شيخ القرافة" كما حدث عند وفاة الخليفة الظاهر[٣] وقام داعى الدعاة بمهمة غسل الأفضل بن بدر الجمالى[٤].

ويبدو أن عادة أخذ الغاسل بعض ملابس المتوفى ترجع إلى عهود متأخرة فيروى المقريزى أن غاسلة زوجة الخليفة العزيز" أخذت ما كان تحتها من الفرش وعليها من الثياب، فكان مبلغ ما نالها ستة آلاف دينار"[٥] وكان هذا التقليد يشمل قاضى القضاة إذا قام بهذه المهمة، فعندما غسل قاضى القضاة الخليفة

---

(١) راجع: صبح، ج ٩، ص ٧٤، ٧٥.

(٢) راجع: الغزولى، مطالع البدور، ج ٢، ص ٤٤.

(٣) مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٦١، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٥، وراجع أمثلة على ذلك فى: ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص٩٨، اتعاظ، ج ١، ص ٢١٧.

(٥) اتعاظ، ج ١، ص ٢٨٩.

الظاهر، أخذ ما عليه من ملابس[١] كما منح داعى الدعاة الذى قام بغسل الوزير الأفضل بدلتين، أحدهما مذهبة والأخرى حرير" عوضاً عما كان على الأفضل من ثياب الدم لأنها لم تنزع عنه"[٢] بعد أن قتل.

وكان الكفن تتناسب قيمته وثراء الميت ومكانته الاجتماعية، فعندما مات الأمير تميم بن المعز كفن فى ستين ثوباً[٣] وكفن الوزير يعقوب بن كلس فى خمسين ثوباً بالإضافة إلى حنوطه من الكافور والمسك وماء الورد،" فكان ما كفن به وحنط به عشرة آلاف دينار"[٤]، وأحياناً كان يكرم الميت إذا كان من الشخصيات البارزة فى الدولة، فيكفن ببعض ملابس الخلفاء التى سبق استعمالها ومن أمثلة ذلك الوزير الأفضل الذى كفن بملابس الخلفاء، بما" قد مازجه عرق الأئمة"[٥]. وغالباً ما يخرج الكفن الخاص بالأمراء وكبار رجال الدولة من خزائن القصر، وأحياناً من خزائن الوزير القائم بالأمر، وكان الكفن فى هذه الحالة يحوى الثياب الحريرية والعطور والطيب، وعند الصلاة يتجمع كبار الشخصيات والمشيعين فى الإيوان الكبير بالقصر، حيث يؤمهم الخليفة فى الصلاة على الميت[٦] وكانت الدولة الفاطمية تتكفل بسد نفقات كفن الموتى من الفقراء، وتخصص لذلك الأوقاف للإنفاق منها على هذا الغرض[٧].

---

(١) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٦١.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٥.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٩٨.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢٦٨، قارن مخطوط أخبار الدولة المنقطعة، لوحة ٥٤.

(٥) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٥.

(٦)(راجع: اتعاظ، ج ٣، ص ٥٧).

(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ١٠٦.

ولم نحصل على معلومات توضح كيفية حمل الميت وعلام يحمل أثناء الجنازة؟ ولكن المقريزى يروى أن الأمير عبد الله بن المعز خرج عند دفنه فى تابوت[١] كما أن الأفضل بن بدر الجمالى وضع أيضا عند وفاته فى تابوت[٢] ودفن فى قبره بالتابوت[٣] مما يوحى بأن كبار رجال الدولة كانوا عند وفاتهم يوضعون فى توابيت تحمل على الأكتاف إلى مقابرهم حيث يدفنون وهم بداخلها، ومن المحتمل أن العامة كانوا يستعملون نفس الطريقة حسب ثراء المتوفى، أو يحملون بدون توابيت إلى مدافنهم.

وكان من عادة الناس الخروج خلف الجنائز لتشييع الميت إلى مثواه الأخير وهم مترجلون، ولم يكن يركب فى هذه المناسبة إلا الخليفة إذا حضر تشييع الجنازة[٤] وكان الخليفة يحضر بنفسه جنازة أفراد أسرته وكبار رجال دولته، ومن أمثلة ذلك حضور الخليفة العزيز لجنازة الأمير تميم بن المعز[٥] كما حضر العزيز جنازة وزيره يعقوب بن كلس[٦] وصلى عليه وألحده بيده فى قبره[٧] وخرج الخليفة الحافظ بنفسه لتشييع جنازة بهرام الأرمنى وسار خلف تابوته راكباً بغلة شهباء، ونزل عن بغلته عند حافة القبر وبكى بكاءاً شديداً[٨].

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٨.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٥.

(٣) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧.

(٥) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٩٧، ٩٨

(٦) ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢٣.

(٧) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، الغزولى، مطالع البدور، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٨) اتعاظ، ج ٣، ص ٧٥.

ويبدو أن النساء كن يخرجن خلف الجنائز سافرات الوجوه[١] بالبكاء والعويل، وكانت النائحات اللاتى يحترفن هذا العمل، يخرجن خلف الجنازة أيضاً ينشدن المراثى بعبارات حزينة، يصاحبهن الطبل والزمر[٢] لالهاب حماس المشيعين وأقارب الميت.

وكانت توجد نساء محترفات لكتابة المرثيات التى تقال أثناء الجنازة ومن أمثلة ذلك، ما رثت به نائحة تدعى "خسروان" الوزير ابن السلار عقب اغتياله فقالت:

مـــــا تقبـــــل الغفلــــــة ∴ يــــــا شـــــهيد الـــــدار
يــــا شـبيـــــه ذى النـــــورين ∴ صـــــاحـــــب المختـــــار[٣]

وكانت المدافن الرئيسية فى العصر الفاطمى تقع فى القرافة بظاهر جبل المقطم[٤] وكانت القرافة موضع عناية واهتمام بها جوامع ومساجد يتجمع بها العباد وطلاب الآخرة للخلوة والتعبد، وكان الناس يهتمون ببناء المقابر وإعدادها[٥].

ونحن لا ندرى الهيئة التى كانت عليها المقبرة فى ذلك العصر، وإن كانت الآثار التى ترجع للعصر الفاطمى توضح أن القبر كان يوضع عليه شاهد من الرخام تكتب عليه البسملة وآية قرآنية، مع كتابة اسم المتوفى وتاريخ وفاته[٦].

---

(١) راجع: مخطوط زبدة الفكرة، لوحة ٢٠٥ أ.
(٢) تاريخ الأنطاكى، ص ١٨٦.
(٣) اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٥.
(٤) راجع: خطط، ج ٢، ص ٤١٣ وما بعدها.
(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٩.
(٦) راجع: دليل معرض الفن الإسلامى، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٢٦٥.

وكان بعض الناس يهتمون بصنع المقبرة وتزيينها فى حياتهم(١) للاطمئنان على مثواهم الأخير. أما الخلفاء وأفراد الأسرة الفاطمية فكانوا يدفنون فى تربة الزعفران أو التربة المعزية الواقعة بالقصر الكبير الشرقى(٢) وكان بعض الوزراء وكبار الشخصيات في الدولة يدفنون في دورهم(٣) وهناك أمثلة متعددة على ذلك منها الوزير يعقوب بن كلس الذى دفن فى دار الوزارة(٤) كما أوصى الوزير أبو القاسم أحمد بن على الجرجرائى بأن يدفن فى داره فى المكان الذى كان يجلس فيه، وقد نفذت وصيته(٥) ودفن الأمير المظفر ابن أمير الجيوش بدر الجمالى فى الدار التى أنشأها والده لتكون مقراً للوزارة ثم آلت إليه بعد وفاته(٦).

وكانت الملابس السوداء اللون تعبر عن الحزن قبل العصر الفاطمى(٧) والمثال الوحيد الذى لبس فيه السواد كان تعبيراً عن الحزن بوفاة الخليفة الفاطمى الفائز سنة ٥٤١ هـ / ١١٥٤ م حيث سار طلائع بن رزيك ومعه كبار رجال الدولة فى جنازة الفائز مرتدياً السواد وهو حافياً مكشوف الرأس وقد شق ثيابه واقتدى به الناس(٨) وقد اعتبر المؤرخون هذا الحدث نذير شؤم

---

(١) راجع: دليل معرض الفن الإسلامى، ص ٢٨٤، لوحة ٣٦.

(٢) راجع: خطط، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٣٥.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٤) ابن خلكان، وفيات، ص ٣٦٦، ابن القلانسى، ذيل، ص ٣٢.

(٥) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٦٤.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٦١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٢٠٩.

(٨) راجع: ابن ميسر، أخبار مصر، ص ٨٤، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٨٦، مخطوط فى التاريخ، ورقة ٨٢، ٨٣.
راجع: صبح، ج ٣، ص ٣٧١، اتعاظ، ج ٣، ص ٢١٧.

على الدولة الفاطمية فلم تمضى خمسة عشرة عاماً حتى دخل العباسيون القاهرة بأعلامهم السود وأزالوا الأعلام البيضاء شعار الدولة الفاطمية(١).

أما ملابس الحداد فى العصر الفاطمى فكانت غالباً من اللون الأخضر الذى لا يشاركه لون آخر، ويبدو أن اتخاذ هذا اللون كان راجعاً لكره الفاطميين استخدام اللون الأسود شعار الدولة العباسية، ويروى المقريزى أن الخليفة الحافظ عند خروجه لتشييع جنازة بهرام الأرمنى(٢) ركب بغلة شهباء وعليه عمامة خضراء وثوب أخضر بغير طيلسان(٣)، وعند موت الخليفة الفاطمى الفائز وتوليه الخلافة للعاضد، أمر صاحب خزانة الكسوة أن يحضر بدلة ساذجة خضراء، وهى لبس ولى العهد إذا حزن على من تقدمه"(٤).

وكان خلع العمامة وتشويه الهيئة تعبر عن الحزن الشديد فى ذلك الوقت ومثل ذلك ما رواه المقريزى عن وفاة الأمير عبد الله بن المعز سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م" فجلس المعز للعزاء، ودخل الناس من غير عمائم، ومنهم من شوه نفسه وأظهر الجزع الشديد(٥)، كما كان لبس اللثام يعبر عن الحزن، ونلاحظ هذا الأمر فى الاحتفال الحزين بذكرى مقتل الحسين(٦) ويروى المقريزى أن الخليفة الفاطمى الآمر" أظهر الحزن على فقد وزيره

---

(١) راجع: صبح، ج ٣، ص ٣٧١، اتعاظ، ج ٣، ص ٢١٧.

(٢) توفى بهرام فى ٢٠ ربيع الأول سنة ٥٣٥ هـ / أكتوبر ١١٤٠ م، وكان قد تولى الوزارة للحافظ ما يقرب من السنتين، وطرد من الوزارة على يد رضوان بن ولخشى. (راجع: صبح، ج ٦، ص ٤٦١، اتعاظ، ج ٣، ص ١٥٩).

(٣) اتعاظ، ج ٣، ص ٧٥.

(٤) اتعاظ، ج ٣، ص ٢٤٤.

(٥) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٧.

(٦) راجع الفصل الخاص بالأعياد الشيعية.

الأفضل فتلثم وتلثم جميع المحنكين والحاشية"[1] وأظهر الناس الحزن على الأفضل في حضرة الخليفة بالبكاء والعويل" وخرق كل أحد ما عليه، ورميت المناديل، يعنى العمائم، إلى الأرض[2].

وكان أهل الميت يجتمعون ليلة تشييع الجنازة لتلقى العزاء[3]، وإن كانت مظاهر العزاء تختلف من طبقة إلى أخرى، ومن أمثلة ذلك أن زوجة العزيز عند وفاتها أقامت ابنتها عند قبرها شهراً تقيم العزاء، والخليفة العزيز يأتيها كل يوم وتوزع على الناس الأطعمة والصدقات[4].

وكانت قراءة القرآن من مظاهر الترحم على الميت، فتتلى الآيات القرآنية أثناء غسل الميت وإعداده للدفن[5] كما كانت تلاوة القرآن تستمر على قبر الميت لمدة شهر[6] في بعض الأحيان حسب مكانة المتوفى الاجتماعية. وكان يقام احتفال في اليوم التالى للدفن يعرف" بالصبحة"[7] يجتمع فيه الناس للاستماع إلى تلاوة القرآن والترحم على الميت، وكان يتكرر نفس الاحتفال في اليوم الثالث للوفاة ويعرف" بالثالث"[8] وكانت القراءة والترحم على الميت تستمر طوال الشهر كما ذكرنا، وفي نهايته

---

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٣.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٣.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٩٠.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢٩٨.

(٥) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٧، ج ٣، ص ٦٥.

(٦) اتعاظ، ج ١، ص ٢٨٩، ج ٣، ص ٦٩.

(٧) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧.

(٨) نفس المصدر السابق.

يقام عـزاء كبير يعرف" بتمـام الشـهر"[١] ويستمر خلال الشهر توزيع الصدفات والأطعمة عند مقبرة المتوفى ترحماً عليه[٢].

وكان من مظاهر الحداد على الوزراء وكبار رجال الدولة إغلاق الدواوين وتعطيل الأعمال عدة أيام[٣] وأحياناً كانت تغلق الأسواق[٤] ومن أمثلة ذلك أن الخليفة العزيز أمر باغلاق الدواوين فى الدولة ثمانية عشر يوماً حزناً على وفاة وزيره يعقوب بن كلس[٥].

أما عن جنائز النصارى، فكان المتبع فى ذلك العصر أن يقوم بطريرك الطائفة التابع لها الميت بغسل الميت وتجهيزه إذا كان من كبار الشخصيات، ويقوم بهذه المهمة أحد القساوسة إذا كان الميت من العامة[٦]. وكان الميت يخرج فى تابوت ومن حوله المشيعون من النصارى يطلقون البخور، وتحمل طائفة أخرى الشموع الموقدة، ويغطى التابوت بثوب ثمين ورجال الدين يحيطون به وهم يرتلون. ومن أمثلة جنائز المسيحيين فى ذلك العصر، جنازة الطبيب أبى الحسن سهلان بن كيسان طبيب العزيز (توفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) الذى خرجت جنازته من داره إلى كنيسة الروم بقصر الشمع وقد غطى تابوته بثوب منسوج بالذهب وحوله حملة الشموع يحملون خمسين شمعة موقدة وخلف التابوت يسير المطران والأطباء وعدد كبير من النصارى، وبعد أن تمت الصلاة عليه فى الكنيسة طوال الليل دفن فى دير

---

(١) اتعاظ، ج ٣، ص ٦٩.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٥٧.

(٣) ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢٣، ابن القلانسى، ذيل، ص ٣٢.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٧.

(٥) راجع: مخطوط شرح لمعة، لوحة ٥ ب، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤

(٦) اتعاظ، ج ٣، ص ٧٥.

القصير[١]. وحدث مثل ذلك فى جنازة يعقوب بن نسطاس النصرانى طبيب الحاكم[٢] وبهرام الأرمنى وزير الحافظ[٣].

وكل من عادة الناس زيارة المقابر فى الأعياد والمواسم وليالى الوقود الأربع[٤] للترحم على موتاهم وتوزيع الصدقات، ولكن الزيارة غالبا ما كانت تخرج عن الترحم وقراءة القرآن على المقابر إلى اللهو والمرح ونصب الخيام للاقامة فيها، فكان الناس يجتمعون بالقرافة" على عادتهم فى كثرة اللعب والمزاح"[٥] ولعل هذا ما دفع الحاكم فى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م إلى إصدار أوامره بمنع النساء من نصب الخيام فى المقابر أيام الزيارة[٦].

وكانت القرافة فى العصر الفاطمى تجمع بين غرضى النزهة والتعبد، فكان بها عدد من القصور الفخمة والجوامع والمساجد[٧] التى اعتاد أن يغشاها الناس فى أوقات التعبد وللزيارة، وكان جماعة من كبار رجال الدولة الفاطمية يقضون ليالى الصيف فى جامع القراقة يتسامرون فى صحفه، وفى الشتاء يناموت عند المنبر ويحملون معهم كميات كبيرة من الأطعمة والأشربة وأصناف الحلوى، وكان هذا يحدث فى معظم مساجد القرافة، فكان الناس يتجمعون فى ليالى الجمع للمبيت فى القرافة من أجل ما يحمل إليها من" الحلاوات واللحومات والأطعمة"[٨] حيث يحصلون على نصيب وافر من هذه الأطعمة.

---

(١) ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء، القاهرة، ١٢٩٩ هـ. ج ٢، ص ٨٩.

(٢) راجع: اتعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) راجع: اتعاظ، ج ٣، ص ٧٥.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٤٥٠، ص ٤٥٣.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٨٩.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٦.

(٧) راجع: خطط، ج ٢، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

(٨) خطط، ج ٢، ص ٤٤٤.

وكانت هذه المجالس لا تخلو بجانب التعبد من الطرب والمرح[١] وقد اعتاد الخليفة الآمر النزول فى قصر القرافة الذى بنته السيدة تغريد أم العزيز سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م، وكان قد أضاف إلى هذا القصر مصطبة للصوفية، فيجلس فى شباك بالمنظرة التى بناها بأعلى القصر ليشاهد الصوفية وهم يرقصون أمامه[٢].

---

(١) وفى هذا يقول أحد الشعراء:

إن القرافة قد حوت ضدين من ∴ دنيا وأخرى فهى نعم المنزل

يغشى الخليج بها السماع مواصلا ∴ ويطوف حول قبورها المتبتل

خطط، ج ٢، ص ٤٤٤.

(٢) خطط، ج ٢. ص ٤٥٣.

الفصل الخامس

اللهو والطرب ووسائل التسلية

أولاً : الغناء والموسيقى.

ثانياً : الألعاب ووسائل التسلية:

١ - النرد والشطرنج.

٢ - الملاهي والألعاب.

٣ - خيال الظل.

ثالثاً : الصيد والقنص.



أولاً : الغناء والموسيقى:

انتشر الغناء والطرب في عصر الدولة الفاطمية بين كافة طبقات المجتمع المصرى ولعل هذا الذيوع راجع إلى تشجيع الخلفاء وكبار رجال الدولة على هذا الاتجاه، فلم يكن يخلو مجلس من مجالسهم الخاصة ومآدبهم المتعددة من سماع الغناء والموسيقى ومشاهدة فنون الرقص والألعاب المسلية، بالإضافة إلى كثرة الأعياد التى كان من أهم مظاهر الاحتفال بها الخروج إلى المتنزهات للانطلاق والمرح وما يصاحب ذلك من أنواع الملاهى والغناء والعزف.

وقد جذب انتشار الموسيقى والغناء فى هذا لعصر المؤرخ المشهور عز الملك المسبحى (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) إلى تأليف كتاب فى هذا الفن بعنوان" مختار الأغانى ومعانيها"[(١)] وقد صور الفاطميون العديد من مظاهر ما يدور فى مجالسهم من الغناء والرقص على جدران قصورهم وحفروها على أبوابها ورسموها على قطع الخزف التى كانوا يستعملونها، كما عبر عنها الفنانون بطرق متعددة، ومازالت الآثار المتبقية من العصر الفاطمى تنطق بتلك المعانى، وتوجد فى دار الآثار العربية مجموعة من التحف الخشبية الثمينة مصدرها القصر الفاطمى الغربى، صور فيها الفاطميون مجالسهم المرحة وما كانت تحويه من غناء وطرب وشراب، ومن المناظر المنقوشة على تلك الآثار نقش يمثل أميراً جالساً على أريكة ويحمل كأساً فى يده اليمنى، وزهرة فى يده اليسرى، وإلى يساره الساقى يصب له الشراب فى كأسه، كما توجد رسوم المطربين والمطربات وهم يعزفون على الآلات الموسيقية[(٢)]، وتدل بعد تلك الآثار

---

(١) راجع: فارمر، مصادر الموسيقى العربية، ترجمة حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٧، ص٧٤.

(٢) زكى حسن، كنوز الفاطميين، لوحة ٤٧، أحمد فكرى، مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٦، لوحة ٣.

على أن الرقص لم يكن قاصراً على النساء فقط، بل توجد رسوم لصور الراقصين، كما توجد رسوم تمثل رقصة عسكرية بين رجلين يحمل كل منهما سلاحه وكأنهما في معركة(١). ونلاحظ في إحدى القطع الخشبية نقش لاثنين من الضاربين على العود، وحولهما أشخاص يرقصون رقصاً توقيعياً(٢).

وتوجد العديد من صور الراقصات على القطع الخزفية التى ترجع إلى العصر الفاطمى، فعلى طبق خزفى صورة لراقصة ترتدى ثوباً طويل الأكمام وسروالاً واسعاً وفي يديها منديلين طويلين لإبراز حركاتها فى الرقص وقد ألقت على كتفيها بشال(٣) وعلى جزء من شباك قلة فخار رسم راقصة تبدو شبه عارية(٤) وعلى قطعة مماثلة صورة راقصة عارية تماماً(٥) مما يوحى بأن الراقصات كن يرقصن عاريات في بعض الأحيان.

ومن صور العازفين نرى ذلك على طبق من الخزف يمثل سيدة تعزف على آلة ذات وترين تشبه القيثارة(٦) كما يوجد على حشوة من العاج رسم يمثل عازفاً على الناى(٧) كما عثر على تمثال صغير من البرونز يرجع للعصر الفاطمي يمثل امرأة تضرب بالدف(٨) وكان للعامة شغف بسماع الغناء

---

(١) راجع: زكى حسن، نفسه، ص ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٤، ٢٠٥، دليل متحف الفن الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٢، ص٢٨.

(٣) الفن الإسلامى فى مصر(٩٦٩-١٥١٧م) دليل لوزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٦٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٣.

(٥) المرجع السابق ص ١٧٤

(٦) المرجع السابق ص ١٥٧.

(7) Wiet: Album du musee Arabe du oaire, Cairo, 1930, Plate 38.

(8) Wiet, Op. Cit., Plate 40.

والطرب والإقبال علـى مجالس الأنس والبهجة وكانوا يعبرون عن هذا الشغف في المواسم والأعياد التي تعددت في الدولة الفاطمية، فكان الناس يخرجون في تلك المناسبات إلى المتنزهات المنتشرة في ضواحي القاهرة والفسطاط ويقيمون السرادقات والخيام ومعهم أهلهم وأولادهم وبصحبتهم المغنيات والراقصات ويقضون وقتهم في تناول الطعام والشراب والاستماع إلى فنون الغناء والموسيقى، ويقضون عدة ليال على تلك الحال فكانوا ينامون في أماكنهم ليواصلوا احتفالاتهم في اليوم التالي[١] وكان موسم فيضان النيل من أجمل المواسم في مصر وأحسنها، فتغمر أرض مصر الزهور والورود الزاهية، وتصبح متنزهاتها في أبهى صورة و" يطرقها أهل الخلاعة والقصف ويتناوبها ذوو الآداب والظرف"[٢].

وكانت في مصر متنزهات تشتهر بجمالها الأخاذ، منها بركة الحبش التي كانت محط أنظار الشعراء والأدباء وعشاق اللهو والطرب، وكان الأمير تميم بن المعز يملك قصراً وبساتين تطل عليها[٣] وجرت عادته أن يجتمع بأصحابه في تلك الرياض ويختلط بعامة الناس ويقدم إليهم الطعام والشراب على سبيل الهدية وقد عبر عن حبه هذه المنطقة في أشعاره[٤]

(١) راجع: خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) راجع: أبو الصلت، الرسالة المصرية، ص ١٩، ٢٠.

(٣) خطط، نفس المصدر والصفحات.

(٤) وقد عبر تميم عن ذلك في ديوانه كثيرا ومنها على سبيل المثال:

قد اجتمع البستان والروض الخمر ∴ وحركت الأوتار وارتفع الزمر

فيا لك لا تغدو إلى السراح غدوة ∴ يبيحك فيها كل ما تشتهي النكر

(راجع: ديوان تميم، ص ١٦٣، راجع أيضاً: ص ١٦٩).

وللشاعر أبى الصلت أيضاً أشعار فى بركة الحبش تعبر عما فيها من مظاهر الجمال والحسن(١).

وكانت توجد مجموعة من الأديرة تطل معظمها على النيل يقصدها الناس للنزهة حيث تعقد مجالس الطرب والغناء والرقص والشراب، من تلك الأديرة دير نهيا بالجيزة(٢) ودير طرا القريب من بركة الحبش الذى كان" لا يخلو من قصب وشرب"(٣) ودير شهران وكان به قصر للخليفة الحاكم يقيم فيه عند خروجه للنزهة والصيد(٤).

ومن أشهر تلك الأديرة، دير القصير الواقع فى أعلى جبل المقطم مطلاً على الصحراء والنيل وتحيط به البساتين والحدائق الزاهرة، وكان ملتقى أهل الطرب واللهو، وقصده الشعراء وأبدعوا فى وصف جماله ومجالسه الصاخبة(٥).

وكان من عادة الخلفاء الفاطميين الخروج إلى قرية الخلقانية فى ضواحى قليوب للنزهة لما تشتهر به تلك القرية من انتشار حدائق الزهور بها، وكانت من ممتلكات الفاطميين الخاصة وتمد القصر بحاجته من الزهور التى تستخدم فى

---

(١) من ذلك قوله:

لله يومى ببركة الحبش ∴ والجو بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب ∴ كصارم فى يمين مرتعش
فعاطنى الراح إن تاركها ∴ من سورة الغم غير مرتعش

(راجع: الرسالة المصرية، ص ٢١، على بن ظافر، بدائع البدائة، ص ٣٢).

(٢) راجع: الشابشتى، الديارات، بغداد، ١٩٥١، ص ١٩١، ابن فضل الله العمرى، مسالك الأبصار، ج ١، تحقيق دكتور أحمد ذكى، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٣٦٢.

(٣) العمرى، نفسه، ص ٣٧٣.

(٤) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٦٠.

(٥) راجع: ديوان تميم، ص ٤٤ - ٤٧، ص ٤٤٣، الشابشتى، الديارات، ص ١٨٤.

الموائد والحمامات وخزانة الكسوة[١] وغيرها، وكان يجرى بتلك القرية في موسم كثرة الزهور احتفالاً كبيراً يحضره الخليفة بنفسه، فيعمل بتلك المناسبة قصر فخم كله من الورد على هيئة متناسقة من الفن والجمال، ويقضي الخليفة يومه في النزهة في ضواحي القرية ثم يشاهد القصر وخلال ذلك تجرى الاحتفالات بتقديم فنون الغناء والطرب والتسلية بحضرة الخليفة[٢].

وكان الخلفاء الفاطميون وكبار رجال دولتهم يقبلون على الغناء والطرب وسماع الموسيقى ولا تخلو مجالسهم من تلك المظاهر، فقد عرف عن الخليفة العزيز شغفه بالاستماع إلى الغناء ومشاهدة الألعاب والملاهي، وكانت له جماعة من الجوارى الحسناوات والراقصات المبدعات يلازمنه في أوقات خلوته ويقضي معهن أوقاتاً مرحة وهو يحتسي الخمر ويشاركهن العزف والغناء، ويغدق عليهم بسخاء فكان ينثر عليهن في نهاية مجلسه نفيس الجوهر والأحجار الثمينة[٣].

وكان برجوان وصى الحاكم يقبل على سماع الغناء والموسيقى شديد الشغف بذلك، وكان يجمع بداره المغنين من الرجال والنساء وتبسط معهن ويكون معهم كأحدهم[٤].

وقد اتسم عهد الخليفة الحاكم بأمر الله بالتطرف في العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية، فأصدر عدة قرارات بمنع الناس من الغناء أو الاستماع إلى الأغاني، وأمر بكسر سائر ما يعثر عليه من آلات الموسيقى وإحراقها، والنهي عن بيع المغنيات، ثم أصدر أوامره بنفي" سائر المغنين وأصحاب الملاهي"[٥].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٢٢، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٢٤.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٨٨، اتعاظ، ج ٣، ص ٩٦.

(٣) راجع: الذخائر والتحف، ص ١٣، ١٤.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤، اتعاظ، ج ٢، ص ٢٦.

(٥) راجع: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٠، ٢٠٢، ابن سعيد، النجوم، ص ٦٢.

ورغم هذا الموقف فإن طبيب الحاكم الخاص يعقوب بن نسطاس استطاع إقناع الحاكم بأهمية شرب النبيذ وفوائده الصحية، فاستجاب الحاكم لمشورته وأخذ يتعاطى الخمر،" واستدعى مجلسه جماعة من المغنيين وأصحاب الملاهي وكان يشرب على غنائهم وتبسط معهم وأحسن إليهم[١].

والمعروف أن ابن نسطاس أنه كان محباً للخمر حتى أن وفاته كانت بسبب سقوطه في بركة ماء وهو سكران[٢] والواضح أنه رغب في جذب الحاكم إلى شرب الخمر حى لا يحرم منها طبقاً لقرارات الحاكم في هذا الشأن، وكان ابن نسطاس بالإضافة إلى ذلك بارعاً في الموسيقى ويجيد الحكم على الأصوات والألحان التي يستمع إليها. ويصفه المقريزى بقوله" ما يغنى له قط صوت إلا حفظه، ولو غناء مائة مغن في مجلس واحد لحفظ سائر ما غنوه وتكلم على ألحانها وأشعارها وكانت له يد في الموسيقى"[٣].

وأباح الخلفة الظاهر كل ما منحه والده، وأقبل الناس في عهده على شرب الخمر واللهو وسماع الأغاني والاستغراق في لذاتهم[٤] ويبدو أن ذلك كان تعويضاً لفترة الحرمان التي عانى منها الخاصة والعامة في عهد الحاكم، والواقع أن الخليفة الظاهر نفسه قضى مدة حكمه مشغولاً بملذاته مقبلاً على مجالس الغناء والطرب، فتأنق الناس في أيامه بمصر، واتخذوا المغنيات والراقصات، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً"[٥] ولم يتورع البعض عن إظهار تلك الأمور حتى في الشهور التي اعتادت الدولة الفاطمية أن تنزهها من مظاهر

---

(١) تاريخ الأنطاكي، ص ١٩٢.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٠.

(٤) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٣٨، اتعاظ، ج ٢، ص ١٢٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٥٥.

الخلاعة والإثم، وهى شهور رجب وشعبان ورمضان، مما دفع الخليفة الظاهر إلى المحافظة على مظهر الخلافة الإسلامى، فأصدر سجلاً فى رجب سنة ٤١٤ هـ / أكتوبر ١٠٢٣ م" برفع المناكير وترك التظاهر بشئ منها، وأن تنزه هذه الأشهر الشريفة من المناكير وألا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجزيرة والجيزة والقرافة على شئ منها ومن المحظورات، وأن يمنع الغناء ظاهراً"[١].

وكانت الجوارى المغنيات المدربات فى القصور الفاطمية من الهدايا النفسية التى تهدى إلى كبار رجال الدولة وعمال الولايات، فقد أهدى الظاهر عدداً من مغنيات القصر إلى والى صقلية سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م[٢] كما يروى صاحب الذخائر والتحف أن الظاهر أرسل هدية إلى المعز بن باديس والى المغرب سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م من بينها" حسان الجوارى المغنيات والراقصات المفتنات"[٣].

وكانت مجالس الخليفة المستنصر لا تخلو من مظاهر الغناء والطرب، وقد اشتهر فى عهده عدد من المغنيات والمغنين، ومن أشهر المغنيات فى عهد المستنصر" نسب الطبالة" ويصفها المقريزى بأنها" طبالة المستنصر"[٤]. وكانت من عادتها الوقوف تحت القصر الفاطمى الكبير فى المواسم والأعياد ومعها فرقتها لترديد الأغانى فى تلك المناسبات السعيدة، وتسير فى ركاب الخليفة أيام المواكب ومن حولها فرقتها وهى تضرب بالطبل وتنشد الأغانى[٥].

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١٣٥.

(٢) نفسه، ص ١٣٦.

(٣) الذخائر والتحف، ص ٧٠.

(٤) خطط، ج ٢، ص ١٢٥.

(٥) خطط، نفسه، اتعاظ، ج ٢، ص ٢٥٤.

وعندما ورد الخبر إلى مصر باستيلاء أبى الحارث البساسيرى[١] على السلطة في بغداد وإقامة الدعوة للخليفة المستنصر سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٩ م عمت الأفراد البلاد وأقبلت نسب الطبالة وغنت بين يدى المستنصر وهى تضرب بدف في يدها:

يا بنى العباس ردوا ∴ ملك الأمير معد
ملككم ملك معار ∴ والعوارى تسترد[٢]

فأعجب المستنصر بهذه الأبيات، وقال لها تمنى. فسألت الخليفة أن يقطعها الأرض المجاورة للمقس، فاستجاب الخليفة لرغبتها وأصبحت تعرف منذ ذلك الوقت بأرض الطبالة نسبة إليها[٣].

وممن اشتهر بالغناء في عهد المستنصر ابن ميسرة الكتامى الذى كان يغنى في مجالس المستنصر[٤] ومن أسهر الملحنين فى ذلك العصر أبو الحسن بن الطحان الذى كان قمة في صنعة التلحين فقد لحن معظم الأغانى التى شاعت فى مصر آنذاك، وكان الوزير اليازورى يجعله ويقدره وأسند إليه مهمة تعليم

---

(١) هو أبو الحارث أرسلان البساسيرى أحد قادة الأتراك فى الدولة العباسية وكان على عداء مع الخليفة العباسى القائم بأمر الله، ويميل إلى الدعوة الفاطمية، وأعلن عن رغبته فى إقامة الدعوة للفاطميين فى بغداد، وقد تمكن بفضل جهود الداعى هبة الله الشيرازى وما قدمه له المستنصر من مساعدات من الانتصار على العباسيين ودخل بغداد سنة ٥٤٠ هـ / ١٠٥٩ م وأقام الدعوة للخليفة المستنصر على منابرها.

(راجع: ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٤٤، اتعاظ، ج ٢، ص ٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) راجع: ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٠، النويرى، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة٦٥.

(٣) راجع: ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٠، ابن دقماق، الانتصار، ج ٥، ص ٤٣. النجوم، ج ٥، ص ١٢.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٤٤٨.

جواريه الغناء والموسيقى، ولابن الطحان كتاب في التلحين والغناء اسمه" جامع الفنون وسلوة المحزون، في ذكر الغناء والمغنين"(١).

وكان الخليفة الفاطمي الظافر مقبلاً على سماع الغناء كثير اللهو واللعب والشغف بالجوارى الحسان(٢) كما عرف الوزير الأفضل حبه للترف وإقباله فى مجالسه على سماع الغناء والموسيقى واقتناء الجوارى المغنيات والراقصات(٣). وانشأ قصراً وحدائق فى الجزيرة أطلق عليها الروضة وكان يتردد على المكان في المراكب ومعه حاشيته حيث تعقد مجالس الغناء والطرب، وصارت الجزيرة كلها منذ ذلك الوقت تعرف بالروضة(٤).

واشتهر الخليفة الفاطى الآمر بحبه للهو والعزف والغناء، واعتاد الخروج إلى بساتينه بمظاهر القاهرة ثلاث أيام فى الأسبوع وكان الناس فى يوم ركوبه يخرجون من القاهرة ومعهم طعامهم وشرابهم للاحتفال به والتطلع إلى موكبه وكأن يوم عيد(٥) وكان يقتنى الجوارى اللاتى يجدن فنون الغناء والرقص والموسيقى(٦).

وقد عبر شعراء العصر الفاطمى فى أشعارهم عن الكثير من مظاهر الحياة الفنية وخاصة ما يتعلق بالغناء والطرب ووصف الآلات الموسيقية والراقصات ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشاعر السكندرى ابن قلاقس(٧):

---

(١) راجع: ابن سعيد، النجوم، ص ٣١٥.
(٢) ابن خلكان، ج ١، ص ٧٧، ٨٧، اتعاظ، ج ٣، ص ٢٠٩.
(٣) النويرى، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٨٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٧١.
(٤) خطط، ج ٢، ص ١٨١.
(٥) اتعاظ، ج ٣، ص ١٢٩.
(٦) راجع: نجوم، ج ٥، ص ٢١٨.
(٧) نصر الله بن عبد الله بن قلاقس من أهل الإسكندرية وتوفى بعيذاب عند عودته من اليمن سنة ٥٦٣ هـ.
(راجع: الخريدة، قسم شعراء مصر، ج ١، ص ١٤٥).

ومغـن تنـاولت يـده العـود ∴ فعـادت بنـا الأفـراح
جـس أوتـاره فأصلـح منـا ∴ صالحـاً صـار في يد الإصلاح[(١)]

وكان الشعراء يوجهون النقد إلى أهل الغناء والموسيقى إذا لم يتقنوا صناعتهم أو دخل فيها من ليس أهلاً لهذا الفن، ومن ذلك قول ابن قلاقس يذم مغنياً موسيقياً:

ينـافر إيقاعـه صوتـه ∴ فهـذا يزيـد وذا ينقـص
ويتبعـه زامـر مثلـه ∴ تبيـع لـه نفـس أوقـص[(٢)]
فـإن قـام مـا بيننـا راقصـاً ∴ فكـل إلى بيتـه يرقـص[(٣)]

ووصف الشعراء اتقان الراقصات وخفة حركتهن، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشاعر الفاطمي محمد بن هانئ[(٤)]:

ولطيفـة فـي الرقـص يعطـف قدهـا ∴ كتعطـف السيز نيـة السـمراء
تختـص بالحركـات منهـا سـرعة ∴ كتخصـص الأرواح بالأعضـاء
خفـت فلـو رقصـت بأعلى لجة ∴ مـا بـل أخمصـها حبـات المـاء[(٥)]

وكان بعض الشعراء يجمع بين موهبة قرض الشعر واتقان العزف على الآلات الموسيقية والغناء، ومن أمثلة من اشتهر في هذا المجال الشاعر المصرى

---

(١) الخريدة، ج ١، ص ١٤٥.
(٢) أوقص: قصير.
(٣) يرقص: يسرع، راجع: الخريدة، ج ١، ص ١٦٢.
(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأزدى الأندلسى، ينسب إلى ابن هانئ الأندلسى. كان مقيما فى مصر، وتوفى قبل سنة ٥٦٠ هـ.(راجع الخريدة: ج ١، ص ٢٤٨).
(٥) الخريدة: ج ١، ص ٢٦٢.

قمر الدولة ابن دواس الذى وصفه الخريدة بأنه" صاحب نوادر ومضاحك، يلعب ويطرب، ويشعر ويكتب، ويغنى بالعود ويضرب، إن لعب بالشطرنج فاق، أو بالنرد راق، أو ضرب بالبربط، انشرح القلب الذى ضاق"(١).

ثانياً :الألعاب ووسائل التسلية:

١ - النرد والشطرنج:

من وسائل التسلية التى كانت منتشرة فى مصر فى العصر الفاطمى النرد وهى لعبة ذات أصل فارسى(٢) وتشبه فى تكوينها وطريقة لعبها ما يطلق عليه العامة فى وقتنا الحالى" الطاولة" وكان يمارس لعب النرد العامة والخاصة فكان أمراء المصريين ورجال الأدب والشعراء يهوون لعب النرد والشطرنج(٣).

ويبدو أن النساء كان لهن ولع بهذه الألعاب فى البيوت والقصور، لقضاء وقت الفراغ الطويل الذى كان من سمات حياة المرأة فى تلك العصور،

---

(١) راجع: الخريدة، ج ٢، ص ٢١٨، ٢١٩، وقد ترجم له ابن سعيد، وقال عنه أنه من أمراء المصريين وأصحاب الألقاب فى الدولة العبيدية، وكان حياً سنة ٥١٨ هـ.
(راجع: ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٢٤ - ٢٢٦).

(٢) وقد صنع النرد مثالاً للدنيا وتقلبها بأهلها واختلاف أمورها، فرتبت الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة، وجعل قطع اللعب ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر، وجعل الفصين بمثابة الأفلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين فيها سبعة، وما يأتى به اللاعب من رميه الفصين من أعداد كالقضاء والقدر، تارة له وتارة عليه وهو يحرك قطع اللعب طبقاً لما جاء به الفصين، وأن الفطنة والحذر لا تجدى اللاعب إلا إذا أسعده الحظ أو القدر، ولكن يمكن لمن يملك بعد النظر أن يتحايل على خصمه حتى ينال منه ويهزمه.
(راجع: السعودى، مروج الذهب، ج ١، ص ٨٠، صبح، ج ٢، ص ١٤٨، ١٤٩).

(٣) راجع: الخريدة، ج ٢، ص ٢١٨، ٢١٩.

وقد وجد فى تركة السيدة عبدة ابنة الخليفة المعز عند وفاتها" من الشطرنج والنرد المحمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والأبنوس برقاع الحرير والمذهب ما لا يحد كثرة ونفاسة"[١].

كما كان اللعب بالشطرنج[٢] منتشراً فى مصر الفاطمية، ولكن يبدو أنها أخذت طابع المقامرة أو انشغل الناس بلعبها عن آداء أعمالهم، فقد أصدر الحاكم قراراً فى سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م بمصادرة ما يعثر عليه من رباع الشطرنج، فجمع منها أعداداً كبيرة وأحرقها[٣] وفى العام التالى" قبض على جماعة بسبب اللعب بالشطرنج وضربوا وحبسوا"[٤].

ولا يأتى ذكر لمثل هذا الحظر إلا فى عهد الحاكم مما يوضح أن النرد والشطرنج كانا منتشرين فى عهود غيره من الخلفاء كوسيلة من وسائل التسلية.

٣ - الملاهى والألعاب:

من الألعاب الطريفة التى كانت منتشرة فى العصر الفاطمى ويقبل على مشاهدتها العامة والخاصة، الحواة الذين يلعبون بالثعابين وغيرها من الزواحف طبقا لمثيلتهم وسيطرتهم عليها، وكان لهم فى ذلك فن ومقدرة كبيرة وكان بعض كبار الشخصيات لهم هواية جمع الأفاعى والحيات، وكان الحواة فى مصر يصيدون الحيات الضخمة، ويتباهون فيما بينهم بأحجامها وبالنادر من أجناسها ويعرضون ألعابهم فى المجالس الخاصة[٥].

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤١٥، اتعاظ، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) الشطرنج من أصل هندى، راجع تفاصيل تكوينها وصناعتها.

(المسعودى، مسوح الذهب، ج ١، ٨٠، ٨١، صبح، ج ٢، ص ١٥٠، ١٥١).

(٣) اتعاظ، جـ ٢، ص ٩٠.

(٤) اتعاظ، جـ ٢، ص ٩٤.

(٥) اتعاظ، جـ ٢، ص ٣١٩.

وقد عرف القصر الفاطمي أنواعاً متعددة من الملاهي والألعاب المسلية والهزليات، فكانت هناك فرقة هزلية مهمتها التهريج والاضحاك والقيام ببعض الألعاب التي تدخل السرور والبهجة على الخليفة وأفراد الحاشية وكانت تلك الفرقة تعرف" بالضاحكية"[١] وكانت ترجع في أصلها إلى المغرب ومعظم أفرادها من المغاربة الذين صحبوا المعز عند حضوره إلى مصر[٢] وقد استمرت في القيام بدورها بعد أن انضم إليها عناصر أخرى من المضحكين، وكان يشرف على فرقة الضاحكية أحد الأمراء المرموقين في الدولة، ويوصف المقريزى هيئة أفراد الفرقة والمناسبات التي يقدمون فيها ألعابهم بأنهم" يلبسون المناديل، ويرخون العذب، ويلبسون الثياب بالأكمام الواسعة، وفي أرجلهم الصاجات، وفي الأعياد يشدون أوساطهم بالعراضي الدبيقي، ولا يتقدمهم أحد إلى الخليفة على ما جرت به عادتهم في المغرب"[٣].

ومن الألعاب المسلية التي كانت تجري في القصر، ما كانت تقوم به الحيوانات المدربة على ألعاب التسلية التي يمكن تشبيهها بما يقدم في ألعاب" السيرك" حديثا ويروى صاحب الذخائر والتحف أن ملك الروم أهدى إلى الخليفة المستنصر في سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م هدايا جليلة من جملتها" دباب عظام تلعب بالملاهي"[٤] كما كانت الفيلة من الحيوانات المدربة على الألعاب المسلية وكانت لها في خزائن القصر أجلة من الحرير المذهب[٥] ترتديها في المواكب وعند قيامها بألعاب التسلية، وكان الفاطميون يهتمون باستيراد الفيلة

---

(١) اتعاظ، جـ ٣، ص ٥٧

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) الذخائر والتحف، ص ٧٦.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٨٤

من مواطنها وترتيبيتها(١) كما كانت ترد إلى القصر الفاطمى الحيوانات من الأقطار المختلفة(٢) وكان بالقصر مدربون وظيفتهم تدريب تلك الحيوانات على اللعب بالملاهى، ومن أمثلة ذلك شيخ يدعى" الابرارى" كان موجوداً فى عهد الخليفة الحاكم، مهمته تدريب القرود على ألعاب الإضحاك وصفع الخارجين على الدولة أثناء موكب التشهير بهم، وكان القرد المدرب يركب مع المشهر به على جمل ويضربه أثناء الطريق بدرة فى يده بين صيحات الجماهير وضحكاتها وكان لذلك المدرب أجر ثابت من الدولة(٣).

٣ - خيال الظل(٤):

عرف العصر الفاطمى التمثيليات الضاحكة الهزلية وذات الموعظة واليأس فى فن خيال الظل، الذى ترجع جذوره التاريخية فى مصر إلى ذلك العصر فيروى صاحب مطالع البدور أن صلاح الدين الأيوبى خلال توليه وزارة العاضد أخرج من القصر الفاطمى من" يعانى خيال الظل ليفرجه (للقاضى الفاضل) فقام الفاضل، فقال له صلاح الدين: إن كان حراماً فما تحضره. وكان حديث عهد بخدمته قبل أن يلى السلطنة، فما آثر أن يتكدر عليه، فقعد إلى آخره، فلما انقضى ذلك قال له السلطان: كيف رأيت ذلك ؟ فقال: موعظة عظيمة، رأيت دولاً تمضى ما كأنها، ودولاً تأتى، ولما طوى الأزارطى السجل للكتاب، إذ بالمحرك واحد، فأخرج هذا الجد فى هذا الهزل"(٥).

---

(١) راجع: أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٢.

(٢) راجع: الذخائر والتحف، ص ٧٤، اتعاظ، ج ٢، ص ١٢٤، ١٤٣

(٣) راجع: أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٧، ٥٨، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٤.

(٤) المقصود بخيال الظل الصورة الظلية التى يعكسها الخيال المادى للشخوص من الدمى التى تقوم بالأدوار أمام الضوء الخلفى. فيشاهدها النظارة وكأنها خيالات تتحرك أمامهم.

(راجع: إبراهيم حمادة، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٥، ١٦).

(٥) الغزولى، مطالع البدور، ج ١، ص ٧٨، ٧٩.

وهى أول إشارة واضحة عن وجود فن خيال الظل فى مصر الإسلامية وهذه الإشارة تدل على أن هذا الفن كان له أصالة وعراقة فى العصر الفاطمى ولم يكن يكتفي بعرض الهزليات والمضحكات وهى سمة حياة القصور التى تتسم بالبذخ والثراء، ولكنه اشتمل على تمثيليات تاريخية

جادة، يدل على ذلك قول القاضى" رأيت دولاً تمضى ما كأنها كانت ودولا تأتى" وأن اعجاب صلاح الدين الأيوبى والقاضى الفاضل بتمثيليات خيال الظل يدل على أن هذا الفن قد وصل فى العصر الفاطمى إلى درجة من التطور كانت له نصوص تمثيلية جيدة تشجع على المشاهدة[١].

فكانت توجد فى القصر الفاطمى فرق ظلية تقصر نشاطها على عرض فنونها لتسلية الخليفة وأسرته ورجال الحاشية، ومن المحتمل أن هذا الفن قد لعب دوره السياسى والدينى فى الترويج للدعوة الفاطمية[٢].

ويروى المقريزى أنه كان يوجد بالقصر الفاطمى" مجلس اللعبة"[٣] ويبدو أن هذا المجلس كان مسرحاً لألعاب خيال الظل وغيره من أنواع الفنون والملاهى التى كانت تعرض فى القصر.

ولم يكن خيال الظل فناً ملكياً مخصصاً للقصر وأهله، بل كانت هناك العديد من الفرق الخيالية المتنقلة التى تعرض فنونها وتمثيلياتها بين الناس فى أماكن تجمعهم وخاصة فى الأعياد والمواسم، ويبدو أن الدمى المشتركة فى الخيال كانت تخرج في المواكب وأمام الأسمطة بوجه خاص ليتفرج عليها الناس ويسروا بأشكالها المعبرة، وهناك العديد من الإشارات إلى هذا الأمر فى المصادر

---

(١) راجع: إبراهيم حماده، خيال الظل، ص ٤٠، ٤١.

(٢) إبراهيم حماده، خيال الظل، ص ٤١.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٣.

التاريخية فكان سماط عيد الفطر في الدولة الفاطمية يخرج على العادة في نهاية رمضان في حراسة صاحب الشرطة ويشق به البلد "بالخيال والطبالين"[١] كما يروى المقريزى في حوادث سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨ م في عهد الخليفة الحاكم أنه حمل سماط عيد النحر يوم التاسع من ذى الحجة على عادته، غير أنه أبطل منه الملاهي والخيال واللعب الذى كان يعمل في كل سنة"[٢].

كما كانت توجد في عهد الخليفة الفاطمي الآمر فرقة تمثيلية تعرف "بالرمادية" كانت تلعب في مجلسه وفي المناسبات المختلفة "بالتماثيل والمضاحك والخيال والحكايات"[٣].

والنص واضح في أن تلك الفرقة كانت تستخدم الدمى أو الشخوص في تقديم فنها من الهزليات والقصص المختلفة عن طريق خيال الظل. وكانت فرق الخيال تخرج في مناسبات الأعياد والاحتفالات المختلفة لتعرض فنونها أمام العامة الذين يحتشدون للفرجة والاستمتاع[٤] ويبدو أن التمثيليات كانت تأخذ في تلك الحالة طابع الهزليات للترويح عن الناس، وجذب قلوبهم إلى طاعة الدولة والولاء لها.

ومن الألعاب التى كانت منتشرة في العصر الفاطمي بين كبار رجال الدولة والأمراء لعبة الكرة، فيروى المقريزى أن الوزير أبو على أحمد بن الأفضل خرج في المحرم سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م إلى الميدان بالبستان الكبير

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٠.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤) راجع: اتعاظ، ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٦.

خارج باب الفتوح من القاهرة للعب بالكرة على عادته[١]، كما كان ضرغام وزير الخليفة العاضد يجيد اللعب بالكرة[٢]. وكانت هذه اللعبة لها رسوم وتقاليد في الدولة الأيوبية، ومن عادة السلطان والأمراء وكبار رجال الدولة الخروج في موكب كبير مرة في الأسبوع كل يوم سبت ثلاث مرات متوالية بعد وفاء النيل لممارسة هذه اللعبة[٣] إلا أن مؤرخي الدولة الفاطمية قد أغفلوا ذكر تفاصيل هذه اللعبة ورسومها في العصر الفاطمي، ولكن النصوص التي رجعنا إليها تدل على أنها كانت منتشرة في ذلك العصر منذ بدايته، فيروى المقريزي أن الخليفة العزيز" أول من ضرب بالصوالجة"[٤] والمعروف أن من أدوات هذه اللعبة الصولجان الذى تضرب به الكرة، وهو عبارة عن عصا مدفونة برأسها خشبة معقوفة[٥].

ومن الألعاب التي كان الخليفة الحاكم يهوى مشاهدتها القفز إلى الماء من مكان مرتفع، وكان يخصص للفائزين في هذه الرياضة هبات مالية[٦].

كما كانت رياضة التحطيب من الألعاب المنتشرة في العصر الفاطمي، يدل على ذلك ما وجد على طبق من الخزف يرجع للعصر الفاطمي يزين باطنه رسم رجلين يتبارزان بالعصا[٧].

---

(١) راجع: نهاية الأرب، ج٢٦، لوحة٨٨، ابن سعيد، النجوم، ص٤٨، اتعاظ، ج٣،ص١٤٣.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٢٧٤.

(٣) صبح، ج ٤، ص ٤٧.

(٤) خطط، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٥) راجع: صبح، ج ٤، ص ٤٧، ج ٥، ص ٤٥٨، خطط، ج ٢، ص ١٩٨.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ١٤.

(٧) راجع: عبد الرؤوف يوسف، الرسوم الآدمية، مجلة المجلة، العدد ٢١، سبتمبر ١٩٥٨. ص ٧٩، شكل ١١، الفن الإسلامي، ص ١٦١.

وكانت المصارعة بين إنسان وإنسان أو بين إنسان وحيوان من الرياضات الشائعة في هذا العصر[١] وكانت المصارعة ذات طابع شعبي يحضرها حشد من الناس للمشاهدة، فعلى طبق من الخزف يرجع للعصر الفاطمي، يرى في وسطه رسم رجلين يتصارعان، وإلى اليمين رجلان يتابعان المصارعة، ويرى أيضاً رجلان عن يمين المتصارعين وشمالهما وهما يرفعان أيديهما كما لو كانا يمثلان حكمي المصارعة[٢].

ثالثاً : الصيد والقنص:

كانت رياضة الصيد منتشرة في العصر الفاطمي وخاصة بين الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة[٣] يدل على ذلك الرسوم التي خلفها الفاطميون على آثارهم والتي تحوي العديد من مناظر الصيد، فتشاهد على أحد النقوش رسم صياد يمسك بازاً ويمتطي حصاناً وبالقرب منه محارب يمسك رمحاً ودرعاً وجملاً يحمل هودجاً تطل منه سيدة[٤] مما يوحي بأن السيدات كن يشاركن أحياناً في رحلات الصيد.

كما نلاحظ العديد من أمثال تلك المشاهد في الآثار الخشبية التي ترجع للعصر الفاطمي، تحوي زخارف تمثل مناظر الصيد والقنص وبعض الفرسان يهاجمون الوحوش وبعض الرجال يهاجمون أسيداً باستخدام الرمح[٥].

---

(١) ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨.

(٢) راجع: عبد الرؤوف يوسف، المرجع السابق،ص٧٩، شكل١٣، الفن الإسلامي، ص١٦٥.

(٣) راجع: عمارة اليمني، النكت العصرية، ج ١، ص ٩٤.

(4)Migeon: Manuel d'art musulman, 2 vols(Paris, 1927), i , Plate, 154, wiet, Album, plate, 38.

راجع أيضا: الفن الإسلامي، ص ٥٨، انظر لوحة ٩١ المرفقة.

(٥) راجع: دليل متحف الفن الإسلامي، ص٢٨، ٣٩، الفن الإسلامي، ص٢٩٩، ٣٠٦، ٣٠٩.

وقد أجمع المؤرخون على حب الخليفة العزيز للصيد وشدة كلفه به[١] ووصفه المسبحي بأنه" يصيد بالخيل، والجارح من الطير، محبا للصيد مغرى به، ويصيد السباع"[٢] حتى أنه كان يلقب" الخليفة الصياد"[٣].

وكان الخليفة العزيز مغرماً بصيد السباع بوجه خاص، وكان يخرج إلى الصحراء بمنطقة الجيزة لهذا الغرض[٤] كما كان من أفضل الهدايا إلى نفسه الضباع الصغيرة[٥] وكان يحتفظ بها ويعنى بتربيتها، وكانت لمثل هذه الحيوانات في الدولة الفاطمية ديوان خاص يعرف بديوان الكراع وكانت مهمة العاملين فيه الإشراف على تربية الدواب الخاصة بالخليفة بالإضافة إلى الفيلة والزرافات والوحوش[٦].

ولم يكن قاصراً على الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة، بل أن بعض الناس كانوا يتخذون من الصيد حرفة يتعيشون منها[٧] أما الصيد للخلفاء وكبار رجال الدولة فكان بمثابة ترويح عن النفس وتقوية للأبدان وممارسة رياضة عنيفة تبعدهم عن التكاسل والدعة لعدم ممارستهم الحروب بأنفسهم

---

(١) راجع: تاريخ القضاعي، مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٦٨٠١ ج، لوحة ١١٨ أ، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٥، أبو الحسن علي، بلغة الظرفاء في ذكر تاريخ الخلفاء، القاهرة، ١٩٠٩م، ص ٧١.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٥٢، خطط، ج ٢، ص ٢٨٤.

(٣) أبو عبد الله الحسن بن الحسين، كتاب البيزرة، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٩٥٣، ص ٧.

(٤) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧٧، ٢٩٢.

(٥) اتعاظ، ج ١، ص ٢٧٢.

(٦) راجع: صبح، ج ٣، ص ٤٩٢.

(٧) كتاب البيزرة، ص١٩.

غالباً، فكان الصيد بمثابة حرب بين الصائد وفريسته تظهر فيها فنون القتال من خطط وكر وفر تحفز الصائد وتجعله مستعداً لمواجهة الأخطار وعدم الاستسلام للأمان والدعة(١).

ويصف مؤلف كتاب البيزرة رحلات الخليفة العزيز للصيد بمنطقة دير القصير وعلى ذروة جبل المقطم وما كان يجرى خلالها من فنون الصيد بالطيور الجارحة والكلاب الضخمة المدربة، وكانت رحلة الصيد غالباً ما تنتهى بقضاء أوقات سعيدة مرحة وإقامة مأدبة تستخدم فيها لحوم الطيور والحيوانات التى وقعت فى قبضة الصائدين وتصلح للأكل، ويشترك فى المأدبة المطربات والراقصات وتدور فيها كئوس الشراب، وفى هذا يقول صاحب كتاب البيزرة:

ولحمان مما أمسكته كلابنا ∴ علينا ومما صيد بالشبكات
وكأس وإبريق وناى ومزهر ∴ وساق عزيز فاتر اللحظات(٢)

وكان الخليفة العزيز يهتم باستيراد النادر من الطيور المستخدمة فى الصيد من جميع الجهات، ووصل إليه فى ليلة واحدة مائة باز(٣) وكان يشرف على تمرينهم لممارسة الصيد وتعقب الطيور والحيوانات البازيار المتخصص فى هذا العمل(٤) ومن الهدايا القيمة التى كانت تصل إلى الخلفاء

---

(١) راجع: كتاب البيزرة، ص ١٩، ٢٠، طيبرغا الأشرفى، مخطوط الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية، مكتبة محافظة الإسكندرية رقم ١٢٠١ ب، فنون حربية، ورقات ١ - ٤.

(٢) كتاب البيزرة، ص ٤٧.

(٣) البزاة: من أقوى الطيور الجوارح، وأحرصها على طلب الصيد، ويمكنه أن يصيد بدون تدريب، ويطلق على مدربه البازيار، ثم أصبح هذا اللقب يطلق على من يقوم بتدريب الحيوانات والطيور للصيد.

(راجع: مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٤، صبح، ج ٢، ص ٥٥ - ٥٧).

(٤) كتاب البيزرة: ص ٦٩، ٧٠.

الفاطميين" كلاب الصيد[١] وكانت ترد إليهم غالباً من بلاد المغرب، ومن أباطرة الدولة البيزنطية"[٢].

ويبدو أن الخليفة العزيز بالإضافة إلى شدة تعلقه بالصيد، فقد كان أيضاً خبيراً بفنونه، فيروى صاحب كتاب البيزرة أن الخليفة العزيز" قد ركب يوماً للصيد فصاد بواحدة من العقبان[٣] ثمانية كراكى[٤] وهو، عليه السلام، الذى عرفنا أن نصيد بالعقبان الكراكى لأننا لم نسمع بذلك فى الشرق ولا فى الغرب"[٥].

ويضيف إلى ذلك أنه تربى فى كنف الخليفة العزيز منذ حداثة سنه، وأنه تعلم على يديه وترقى فى سلم وظائف الصيد حتى صار مقدماً للبيازرة ووصل دخله فى الشهر عشرين ألف دينار، وكان مجموع ما ينفق على البيازرة فى عهد الخليفة العزيز خمسين ألف دينار سنوياً، تنفق على روابتهم وإطعام الطيور والفهود والكلاب السلوقية[٦] التى يشرفون على تدريبها وتعليمها فنون الصيد، وهذا غير الدواب التى تشترى فى كل سنة[٧] لاستخدامها فى رحلات الصيد.

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ١٧٩.

(٢) راجع: الذخائر والتحف، ص ٧٤، ٧٦.

(٣) العقاب: ويعرف العنقاء أيضا، وهو طائر جارح خفيف الجناح، سريع الطيران، ويمكنها صيد حمر الوحش وأجود أصنافها ما جلب من بلاد المغرب.

(راجع: مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٢، نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٨١، ١٨٣).

(٤) الكركى:طائر يشبه الوز، أبتر الذنب، رمادى اللون، قليل اللحم، صلب العظم، يأوى الماء أحيانا.

(راجع: نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٨٧، صبح، ج ٢، ص ٦٢، ٦٣).

(٥) كتاب البيزرة , ص ١١١.

(٦) نسبة إلى قرية سلوقة باليمن، ويقال أن الكلاب تسفد الذئاب هناك فيتولد بينهما الكلاب السلوقية.

(راجع: مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١١، نهاية الأرب، ج ١٠، ص ١٤٠).

(٧) كتاب البيزرة، ص ٧

وكانت تربية الطيور والاهتمام بالنادر منها من الأمور التى حظيت باهتمام الخلفاء الفاطميين ورجال دولتهم، وكانت توجد دار تحوى الطريف من الطيور تسمى "دار الطيور"[(١)] وكان الخليفة العزيز يملك مجموعة نادرة من الطيور المدربة على الألعاب والسباق، وكان لوزيره يعقوب بن كلس أيضاً مجموعة ممتازة من الطيور وكانت تجرى مباريات فى السباق بين حمام الخليفة والوزير، وحدث أن سبق حمام الوزير فى احدى السباقات حمام الخليفة، وأراد أعداء ابن كلس استغلال الفرصة للطعن فيه لدى الخليفة مظهرين أن الوزير يختار لنفسه الجيد من كل صنف ويترك للخليفة ما دون ذلك، فعندما بلغ هذا الأمر إلى ابن كلس كتب للخليفة:

قل لأمير المؤمنين الذى ∴ له العلا والنسب الثاقب
طائرك السابق لكنه ∴ جاء وفى خدمته الحاجب[(٢)]

فأعجب الخليفة العزيز بذكاء وزيره، وزال ما بنفسه منه[(٣)].

وكان الأمير تميم بن المعز من هواة الصيد، وقد وصف ذلك فى ديوانه[(٤)] ومن أمثلة ذلك ما كتب به إلى أحد أصدقائه يستهديه طائراً جارحاً فقال:

---

(١) خطط، ج ٢، ص ٢٠.

(٢) يروى صاحب الدول المنقطعة هذه الحادثة ولكنه يذكر البيتين بهذه الصورة:

قل لأمير المؤمنين الذى ∴ له العلا والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه ∴ لم يأت الا وله حاجب

(راجع: مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٤٩، ٥٠).

(٣) راجع: ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ٣٣٤، الغزولى، مطالع البدور، ج ٢، ص٢٦٠، ابن سعيد، النجوم، ص ٢١٥.

(٤) راجع: ديوان تميم بن المعز، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٠، ٢١.

قـد عزمنـا علـى التصيـد والـنز ∴ هـة والصيـد فـي التـنزه فضـل
فيـه ضـرب مـن السياسـة والعـز ∴ م وفيـه للحـزم عقـد وحـل
ولدينـا مـن الجـوارح للطيـ ∴ ـر ضـروب فهـن للطـير قتـل
ولديك البواشـق فـي اللائي قدرحـ ∴ ـن كمـا رحت مـا لفضلـك مثـل
فتفضـل بباشـق كـل ما فيـ ∴ ـها جناح ومخلـب فيه نصل[١]

كما كان الخليفة الحـاكم كثير الخـروج للصيـد إلى ضواحـي القـاهرة[٢] ويبدو أنه كان مغرماً بصيد الوحوش وخاصة الأسود. ففي غمرة قراراته العنيفة ضد رجال دولته والمحيطين به، نلاحظ.

أنه يحتفل بـ" متولى الأسـود" ويخلـع عليـه[٣] كمـا أصـدر أمانـاً" لسـائر البيازرة والفهادين"[٤].

وكان الخليفة الظاهر محباً للصيد، وكان كثير الخروج في رحلات خـارج القاهرة لهذا الغرض[٥] وكان مغرماً بصيد الطيور واقتنائها وخاصة الببغاء وكان ينفق في شرائها أموالاً طائلة[٦] ويروى المقريزى خبراً طريفاً يـدل علـى مـدى حب الخلفاء الفاطميون للطيور النـادرة وتربيتهـا وتدريبهـا، فيذكـر أن الخليفـة الظافر كان يملك في قصره ببغاء" تقرأ المعوذتين وتستدعى كثيراً من الأسـتاذين بأسمائهم ونعوتهم"[٧].

---

(١) ديوان تميم، ص ٣٥٥.
(٢) مخطوط درر التيجان، ورقة ٢٦٩، اتعاظ، ج ٢، ص ٣١.
(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٤٨.
(٤) خطط، ج ٢، ص ٢١، اتعاظ، ج ٢، ص ٥٦.
(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٥.
(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ١٤٨.
(٧) اتعاظ، ج ٣، ص ٢١٠.

وكان العمل بالبيزرة والبيطرة من الوظائف الهامة فى الدولة الفاطمية وقد يصل من يعمل بها أعلى مناصب الدولة وهى الوزارة، وقد سبق أن ذكرنا أبا عبد الله بازيار العزيز الذى وصل إلى منصب الوزارة، كما أن نجم الدين بن مصال وزير الخليفة الحافظ كان يخدم قبل تولية الوزارة فى البيزرة والصيد والبيطرة وكان والده يعمل فى نفس المهنة، وقد استطاع ابن مصال أن يصل إلى منصب الوزارة عن طريق عمله بالصيد[١] الذى جعله قريباً من قلب الخليفة.

وكان الخليفة الحافظ جوارح كثيرة من البزاة والصقور والشواهين[٢] وكانت لتلك الطيور زمام يخرج منهم مرتين فى الأسبوع يصحبه عدد كبير من البيازرة يحملون الجوارح على أيديهم لتدريبهم على الصيد، ويروى أسامة بن منقذ أنه كان يخرج فى هذا اليوم للفرجة ومراقبة الجوارح أثناء الصيد، وكان الخليفة غالباً ما يكون على رأس مركب الصيد، وعندما رغب أسامة فى المشاركة فى إحدى رحلات الصيد، كانت التقاليد تفرض أن يستأذن مقدم البيازرة الخليفة حتى يوافق على اشتراك شخص من خارج الحاشية فى موكب الصيد[٣].

وكان الخليفة الآمر يتردد على دير نهيا ويفضله عن غيره من البقاع لرحلة الصيد، ويصف الشابشتى هذا الدير وما حوله من بساتين بأنه "من المتنزهات الموصوفة والبقاع المشهورة وله خليج يجتمع إليه سائر الطيور فهو أيضاً متصيد حسن"[٤] فكان الآمر يخرج إلى هذه المنطقة فى موكب الصيد

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٣٧٠، اتعاظ، ج ٣، ص ١٩٨.

(٢) الشواهين من جوارح الصقور وهى السود العيون، وتعد من أسرع الجوارح وأشجعها وأخفها وأشدها ضراوة على الصيد.(مطالع البدور، ج٢، ص٢١٧، صبح، ج٢،ص٥٨).

(٣) راجع: أسامة بن منقذ، الاعتبار، الولايات المتحدة، ١٩٣٠، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٤) الشابشتى، الديارات، ص ١٩١، العمرى، مسالك الابصار، ص ٣٦٢.

وأحياناً يقضى الليل داخل الدير فى ضيافة الرهبان ليواصل الركوب للصيد فى اليوم التالى(١).

ويبدو أن أعداد البيازرة قد تضاعف فى عهد الخليفة الآمر مما دفع زمام البيازرة إلى الشكوى إلى الخليفة من" ضيق دار الطيور بمصر، وسأل أن يفسح للبيازرة فى عمارة حالة على شاطئ الخليج بظاهرة القاهرة لحاجة الطيور والوحوش إلى الماء فأذن له فى ذلك"(٢) وهذا يوضح بالإضافة إلى الاهتمام بالصيد والبيزرة فى ذلك الوقت، ما كان يتمتع به مقدم البيازرة من نفوذ لدى الخليفة حتى سمح له بإقامة حارة خاصة للبيازرة على شاطئ الخليج، ولاشك أن الدور والمنشآت للطيور والحيوانات التى تصاحب الخلفاء فى مواكب الصيد.

---

(١) راجع: تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٦٥، ٧٨، ٨١.

(٢) خطط، ج ٢، ص ٢٠.



الباب الثالث

الطعام والشراب والملابس فى العصر الفاطمى



الفصل الأول

الطعام والشراب

أولاً : الحبوب والبقول .

ثانياً : اللحوم .

ثالثاً : الألبان ومنتجاتها .

رابعاً : الأسماك .

خامساً: الحلوى والفاكهة .

سادساً: أنواع الشراب .



مدخل :

تميزت الديار المصرية على مر العصور بوفرة خيراتها وكثرة إنتاجها الزراعي والحيواني والذى كان غالباً ما يزيد عن حاجتها فلا تبخل بخيراتها على جيرانها وتسد حاجاتهم من الغلال والأطعمة والصناعات الراقية (١) فمصر "تمير ولا تمار من قمح وشعير وأرز وفول " (٢) حتى يمكن القول أنها كانت تتمتع بما يعرف في الاقتصاد الحديث بالاكتفاء الذاتي، فأهلها " يستغنون بها عن كل بلد، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور، لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع الأرض "(٣).

ويبدى الرحالة الفارسي ناصر خسرو دهشته من كثرة ما شاهده في أسواق مصر في يوم واحد من أصناف الأطعمة والخضروات والفاكهة والزهور التي يستحيل أن تجتمع بمثل تلك الصورة من التنوع والوفرة في أى قطر أخر(٤)، فيوجد بمصر في كل وقت " المأكول والمأدوم " (٥) والمشموم وسائر البقول والخضر، جميع ذلك في الصيف والشتاء " (٦) وتلك الخيرات الوفيرة بهرت الأجانب الذين زاروا مصر وجعلهم يشيدون بخيراتها وتراثها، وقد سجل

---

(١) راجع ما اعتادت مصر أن تميز به جيرانها في العصر الإسلامي وخاصة بلاد الحجاز والحرمين من الأطعمة والغلال والأقمشة. (عمر بن يوسف الكندى، فضائل مصر، تحقيق دكتور ابراهيم العدوى، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٣، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٩٥).

(٢) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ١٨٥. (نقلاً عن ابن زولاق).

(٣) عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٤٥، خطط، ج ١، ص ٢٨.

(٤) سفرنامة، ص ٦٠.

(٥) الأدم والادام، ما يؤتدم به، تقوم أدم الخبز باللحم. (القاموس المحيط).

(٦) عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٧٠.

الرحالة ذلك فى مشاهداتهم، ومثال ذلك بنيامين التطيلى زار مصر فى أواخر العصر الفاطمى، والذى تجول فى العديد من البلدان يقرر أنه " ليس فى العالم كله بقعة آهلة بالسكان، كثيرة الزروع مثل مصر الواسعة المليئة بالخيرات "(١).

وقد أظهر الفاطميون اهتماماً واضحاً بالتأنق فى طعامهم وشرابهم والاهتمام بالجيد من أصنافه والانفاق على مآدبهم العامة والخاصة بسخاء وبذخ، وكان توزيع واقامة الأسمطة الفخمة مقترناً بجميع أعيادهم واحتفالاتهم(٢)، كما كانت الدولة الفاطمية تسد حاجة موظفيها وأرباب الرواتب فيها من الغلال (٣) وسائر ما يلزم مطابخهم من الأطعمة المختلفة (٤).

وسنعرض فى الصفحات التالية لأهم أصناف الطعام والشراب التى انتشرت فى مصر فى العصر الفاطمى.

أولاً : الحبوب والبقول :

تمتاز مصر بوفرة إنتاجها من الغلال والبقول مثل القمح والشعير والعدس والحمص والفول وغيرها (٥) ومعظم هذه الزراعات تدخل فى غذاء الشعب المصرى، ويعد الخبز من أهم عناصر الطعام على المائدة المصرية، سواء فى ذلك طعام العامة أو الخاصة، حتى مائدة الخليفة الفاطمى لم تكن تخلو من الخبز (٦)

---

(١) رحلة بنيامين التطيلى، ص ١٧٥.

(٢) راجع التفاصيل فى الباب الخاص بالأعياد.

(٣) صبح، ج ٣، ص ٤٧٥.

(٤) صبح، ج ٣، ص ٤٧٣، خطط، ج ١، ص ٤٢٢.

(٥) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٤، ١٠١.

(٦) خطط، ج ١، ص ٣٨٧.

لذلك كانت جودة صناعة الخبز والمحافظة على نظافته موضع اهتمام الدولة الفاطمية والمسئولين فيها.

فكانت الدولة تراقب المطاحن عن طريق المحتسب وأعوانه، وتشترط على الطحانين ضرورة غربلة الغلة لفصل ما قد يكون قد علق بها من مواد غريبة والعناية بتنقيتها قبل طحنها، وألا يخلطوا الغلة بأنواع أخرى أقل قيمة من القمح مثل الشعير أو الفول أو الحمص [١].

وقبض على جماعة من الخبازين سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م في عهد الخليفة الظافر وضربوا لاستغلالهم ظروف المجاعة التي اجتاحت البلاد وخلطوا التراب بالدقيق [٢].

كما كانت عملية عجن الدقيق تخضع لشروط دقيقة الهدف منها المحافظة على نظافة الخبز، فكان على العجان الاهتمام بغسل الأوعية التي يستخدمها ولا يستعمل في العجن قدميه ولا ركبتيه ولا مرفقيه، وقد أصدر الخليفة الحاكم مرسوما في سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م يحرم على الخبازين استخدام أرجلهم في العجن [٣]، كما كان العجان يلتزم بلبس ملابس تحول دون وصول العرق الذى قد ينزل من أبطيه في الطعام [٤] ويكون ملثما حتى إذا عطس أو تكلم ولا ينزل رزاز من فمه أو أنفه في العجين، ويشد على جبينه عصابة بيضاء حتى تمتص عرقه فلا يتسرب منه شئ في العجين[٥].

---

(١) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢١، ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٥٢.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٦٦.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣.

(٤) راجع ملابس العجان في الفصل الخامس الملابس.

(٥) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢١، معالم القربة، ص ١٥٢.

ويخبز العجين بعد التأكد من تخمره، ويضاف إليه أنواع من التوابل لينصلح مذاقه (١) ولا يخرجه الخباز من الفرن إلا بعد التأكد من تمام نضجه، وكان يشترط على أصحاب المخابز أن يفصلوا بين الخبز، وما قد يصل إليهم من الناس من أطعمة لإنضاجها مثل الأسماك وغيرها، حتى لا يسيل شئ من هذه الأطعمة على الخبز فيفسد مذاقه ورائحته (٢).

وعرف من أنواع الخبز فى العصر الفاطمى، الخبز الخشكار (٣) وهو أقل أنواع الخبز ثمناً ولا يقبل عليه الناس بسبب سواد لونه لأنه يصنع من الدقيق الغير منخول (٤) وكان هذا النوع من الخبز ينتشر أثناء المجاعات حيث تقل الغلال لتكالب الناس على الخبز مما يؤدى إلى تلاعب الطحانين والخبازين فى صناعة الخبز، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م عندما تعذر وجود الخبز وظهر فى الأسواق الخبز الأسود، فضج الناس ورفعوا شكواهم للخليفة الحاكم ومعها رغيف (٥) ليشاهد بنفسه ما عليه حال الخبز.

وكان معظم ما يخبزه أهل القاهرة والفسطاط هو الخبز الحوارى (٦) وهو مصنوع من الدقيق الأبيض المنخول، وكان أغلى سعراً من الخشكار (٧)، أما

---

(١) نهاية الرتبة، ص ٢٣.

(٢) نفسه، ص ٢٤.

(٣) الخشكار : هو الدقيق الخشن الذى لم تنزع نخالته. (راجع ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة، ١٢٩١هـ، ص ٦١، ابن عبد ربه، كتاب الطعام والشراب، بيروت، ١٩٥٤، ص ٦٩).

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ١٥١.

(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٤.

(٦) أحسن التقاسيم، ص ١٩٩.

(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ١٥١.

الخبز " السميد " فكان أغلاها ثمناً لأنه يصنع من أرقى أنواع الدقيق [١] وكان يصنع للخليفة الفاطمي خبز خاص يسمى " الخبز الموائدى"[٢]، ولا شك أنه أرقى أنواع الخبز دقيقاً وصناعة.

وكان الخبز اليابس المعروف بالكعك [٣] يؤكل فى القرى ويخزن لفترات طويلة، كما كان الكعك يعتبر طعاماً أساسياً لرجال الأسطول فى عهد الدولة الفاطمية [٤] لإمكان تخزينه لفترات طويلة.

والطريف أن الخبز اليابس كان يستخدم في ذلك الوقت كوسيلة للتعامل والتبادل، فيشترى به الناس بعض الأشياء، ويدفعونه ثمنا لدخول الحمامات [٥] وكان الخبز يصنع أيضاً من الشعير، وكان طعام الفقراء لرخص ثمنه عن الخبز المصنوع من دقيق القمح [٦].

وكانت الدولة الفاطمية تراقب عملية إنتاج الخبز حتى يظل متوفراً فى الأسواق ومن وظيفة المحتسب تسجيل أسماء الخبازين وأماكن حوانيتهم، ويحدد لكل خباز كمية من الدقيق يخبزها كل يوم ويلتزم الخباز بذلك [٧].

---

(١) ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص ١٢، اتعاظ، ج ٢، ص ١٥١.

(٢) خطط، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤، الجواليقى، المعرب، ص ٣٤٥.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٥.

(٥) المقريزى، إغاثة الأمة، ص ٦٧، ٦٨.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٣١، الغزولى، مطالع البدور، ج ٢، ص ٤٢.

وفى ذلك المعنى يذكر الشاعر :

خبز شعير بغير أدم ∴ عند فقير من الكرام

ألذ عندى من ألف لون ∴ عند غنى من اللئام

(راجع : الغزولى، نفسه، ص ٤٣).

(٧) راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢٢، ٢٣.

وكان الفول من الأطعمة التى يقبل عليها الناس، وكان يؤكل أخضر [١] كما كان يؤكل مسلوق ويضاف إليه الفلفل والملح والبهارات [٢] وكان أحياناً يطبخ بالسمن واللبن ويطلق عليه البيسار [٣].

وكان الترمس من الحبوب التى يقبل الناس على أكلها، فكان يسلق وينقع فى الماء عدة أيام لتذهب مرارته [٤] وكان يحلى أو يملح بعد ذلك [٥] والمعروف عن الترمس أنه اذا ترك لفترات طويلة عند الباعة يصبح غير صالح للأكل ويضر بآكليه، لذلك أصدر الحاكم فى سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م قرارا بمنع بيع بعض أنواع من الأطعمة من بينها " الترمس المعفن " [٦].

وكان الحمص المسلوق من الحبوب التى ينتشر بيعها فى الأسواق، وكان يحمله الباعة الجائلون فى القدور ويباع أيضاً فى الحوانيت [٧] كما كان يستخدم الحمص والترمس والحلبة وغيرها من الحبوب فى أنواع مختلفة من الأطعمة [٨].

---

(١) ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، نقلاً عن ابن زولاق، ص١٣٠، خطط، ج ١، ص١٠١.

(٢) الشيزرى، نفسه، ص ١١٦، النويرى، نهاية الأرب، ج ١١، ص ١٨ – وكان الباعة الجائلون يطوفون بقدور الفول على عرباتهم فى الأسواق وبين الدروب لبيع بضاعتهم، وفى ذلك المعنى يقول الشاعر :

أنا ابن الذى فى الليل تسطع ناره .·. كثير رماد القدر للعب يحمل
يدور بأقداح العوافى على الورى .·. ويصبح بالخير الكثير يفول

(راجع : الغزولى، نفسه، ص ٢٣).

(٣) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٢٣، هامش (٢).

(٤) ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية، ص ١٣٤.

(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٤.

(٦) اتعاظ، ج ٢، ص ٧٧، ص ٨١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٣٣١.

(٨) خطط، ج ١، ص ٤٤، ابن ظهيرة، الفضائل، ص ١٣٩.

أما الأرز فكان يزرع فى مصر بكميات وفيرة [١] وكان من الأطعمة الرئيسية لسكان السواحل المصرية حيث يطبخونه مع السمك [٢] وكثيراً ما يدخل الأرز فى صناعة أنواع متعددة من الحلوى [٣] فكان يطبخ باللبن ودهن اللوز [٤] وبطرق أخرى متعددة.

أما العدس الأسود والمقشر فكان من الأطعمة التى يقبل عليها العامة، وكان يوضع على مائدة الخليفة فى سماط الحزن بمناسبة الاحتفال بيوم عاشوراء[٥].

وكان الكشك من الأطعمة المنتشرة فى ذلك العصر وهو من أصناف الأطعمة التى تمنع لأرباب الوظائف فى الدولة الفاطمية [٦] ويعرف هذا الصنف من الطعام أيضاً بالكشكية [٧] وهو ما هرس من الحنطة أو الشعير حتى ينسلخ قشره، ويضاف إليه اللبن وأحياناً يطبخ باللحم [٨].

ومن الأطعمة التى تدخل الحبوب فى صناعتها " السويق " [٩] وطريقة صنعه أن تحمص الحبوب جيداً ثم تطحن ويصنع من دقيق الحنطة أوالشعير أو

---

(١) ابن ظهيرة، نقلاً عن ابن زولاق، الفضائل، ص ١٣٩.

(٢) البغدادى، الإفادة، ص ٤٣.

(٣) سنتناول هذا الموضوع فى الجزء الخاص بأنواع الحلوى.

(٤) نهاية الأرب، ج ١١، ص ٢٣.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٠٠.

(٧) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٩٨.

(٨) الخوارزمى، مفاتيح العلوم، القاهرة، ١٣٤٢ هـ، ص ١٠٠.

راجع أيضاً : Dozy, suppl, 2, p, 472.

وقد ورد ذكر هذا الطعام (السويق) فى بردية ترجع للقرن الثالث الهجرى.

(راجع : أوراق البردى، ج ٦، ص ١٧٣).

(٩) راجع : أوراق البردى، ج ٦، ص ١٦٩.

الفول (١)، وأحياناً يطحن مع الحبوب البلح والسكر ويمكن فـي هـذه الحالـة أن يصنع منه شراباً حلواً (٢) والسويق طعام يصلح لـلرحلات لأنـه سـهل التجهـيز وتصنع منه غالباً العصيدة أو الثريد بإضافة الماء أو الزبد إليه.

كما كـان السـويق يصنـع أيضـا مـن الفواكـه بعـد تجفيفهـا وقليهـا ثـم طحنها(٣) وكان السويق الناعم من الأطعمة التى تقـدم للخليفـة الفـاطمى علـى مائدة السحور فى شهر رمضان (٤).

ثانياً: اللحوم:

تعد اللحوم من عناصر الغذاء الرئيسية والتى تدخل فى صناعة الكثير من الأطعمة فى مصر على مر العصور، وتعتبر من العناصر التى تعتمد عليها الأسرة المصرية فى العصر الفاطمى، فكانت من بين المشتريات اليوميـة للأسـرة المصريـة كما ورد فى برديات ترجع إلى القرن الرابع الهجرى (٥).

وكانت الأسواق فى مصر الفاطمية تحتوى على أعداد كبيرة من حوانيت باعة اللحوم النيئة والشوائين والطباخين الذين يسـتخدمون فـى طبـائخهم لحـوم الحيوانات المختلفة والطيور. وكانت الدولة الفاطمية تصدر قـرارات فـى بعـض الأحيان بمنع ذبح الأبقار محافظة على الثروة الحيوانية وحتى تستخدم فى أعمـال

---

(١) ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص ٧، تذكرة داود، القاهرة، ١٩٢٦م، ص ١٩٥.

(٢) ابن قتيبة، كتاب الأطعمة، ص ٢٠٦، ٢٠٧، Dozy, suppl, 1, p, 700.

(٣) تذكرة داود، ص ١٩٥.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٥) راجـع: أوراق البـردى العربيـة، ج ٦، ص ١٦٨ - ١٧١، ص ١٧٣ - ٢٧٥، ص ١٩٠ - ١٩٦.

الزراعة ولا يصرح بذبحها إلا فى عيد الأضحى [١] وقد ضج الجزارون بالشكوى عندما منع الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ، ١٠٢٤ م ذبح الأبقار، لأن فى حوزتهم أعداداً كبيرة منها أنفقوا عليها الأموال فى علفها وتسمينها وإعدادها للذبح وأعلنوا فى شكواهم أن تلك الأبقار لا تصلح لأعمال الزراعة، وسألوا الاذن فى ذبحها، فاستجاب لهم الخليفة، وحدد لهم ثلاثة أيام فقط لتصريف ما عندهم من لحوم، فازدحم الناس فى طلب اللحوم خلال تلك الفترة، ثم أحضر المحتسب الجزارين والهراسين ومنعهم من بيع اللحوم وذبح الأبقار [٢] ولعل هذه الحادثة هى أول إشارة تاريخية لتحديد بيع اللحوم فى أيام معينة من الأسبوع حفاظاً على الثروة الحيوانية وعدم انقراض الحيوانات التى كانت عماد الحياة الزراعية فى ذلك الوقت.

وكانت حوانيت بيع الشواء تنتشر فى أسواق مصر والقاهرة، وكانت الخراف تشوى كاملة فى الأفران، وللتأكد من تمام نضجها لابد أن ينقص وزنها بمقدار الثلث [٣] وكانت الخراف الصغيرة المشوية من أفضل الأطعمة على مائدة الخليفة الفاطمى [٤] كما كانت توزع الخراف المشوية التى تعمل بمطبخ القصر على أرباب الوظائف فى الدولة احتفالاً بموسم رأس السنة الهجرية [٥]، وفى مناسبات أخرى متعددة.

---

(١) راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٥٣، ٩٥، ٤٩.

(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) نهاية الرتبة، ص ٣٠.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٧.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

وكان للخليفة الحاكم ولع بالتجول في الأسواق، وكان من عادته الوقوف بحانوت ابن الأزرق الشواء والتحدث اليه (١) ويبدى اهتمامه بصناعته وما يقدمه من ضروب الشواء.

وكانت " الهريسة " من أهم أنواع الأطعمة المنتشرة في مصر في العصر الفاطمي وتدخل في صناعتها لحوم الضأن والبقر والدجاج ودقيق بعض الحبوب مثل القمح بالإضافة إلى البصل والتوابل بنسب محددة (٢). وكانت الهريسة من الأطعمة التى تفرقها الدولة الفاطمية على أرباب الوظائف فيها بمناسبة الاحتفال بعيد النيروز (٣).

وكان المحتسب وأعوانه في الدولة الفاطمية يشرفون على صناع الهريسة في الأسواق ويراقبونهم أثناء صناعتها حتى لا يخلون بالشروط الضرورية

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١٢١.

(٢) راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٦، مخطوط الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب، مؤلف مجهول، دار الكتب رقم ٧٤ صناعات، ورقة ١٠٥، ومن الأوصاف التى تشرح طريقة صناعة الهريسة والمواد التى تدخل فى صناعتها ما ذكره أحد الشعراء :

ألذ ما يأكله الإنسان ∴ إذا أتى من صيفه نيسان
وطالت الجديان والخرفان ∴ هريسة يصنعهما النسوان
لهن طيب الكف والإتقان ∴ يجمع فيها الطير والحملان
وتلتقى فى قدرها الأدهان ∴ واللحم والألية والشحمان
وبعده أوزة سمان ∴ والحنطة البيضاء والجلبان
وبعد هذا اللوز والابان ∴ جوذها يطحنه الطحان
وبعده الملح وخولنجان ∴ قد تعبت لعقدها الأبدان

(راجع : المسعودى، مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٦٧).

(٣) خطط، ج ١، ص ٢٩٣.

لإخراجها فى أفضل صورة، ويلزمونهم بعملها طبقا للنسب المقررة من اللحم والدقيق والبصل والتوابل ثم يختمون على قدور الهريسة بعد إتمام صناعتها لمنع تغيير ما فيها أو إضافة مواد أخرى إليها [١].

وهناك نوع من الهريسة تسمي " هريسة الفستق " يدخل فى صناعتها الفستق ولحم الدجاج[٢] وكانت الهريسة تعد من أفضل الأطعمة فى فصل الشتاء [٣] لما تمتاز به من دسم وتوابل ومواد تبعث على الدفء.

ومن الأطعمة المشهورة فى ذلك الوقت أيضاً " النقانق " وهى تصنع بحشو أمعاء الحيوانات المذبوحة باللحم المدقوق يضاف إليه البصل والتوابل [٤] وكانت النقانق تباع فى الأسواق مقلية [٥] ويقبل الناس على شرائها، وكانت تخضع لمراقبة المحتسب مثل غيرها من الأطعمة حتى لا ينالها غش فى صناعتها.

كما كانت اللحوم تدخل فى صناعة " السنبوسك " [٦] وهو طعام يعمل من فخذ الضأن بوجه خاص، وطريقة صنعه أن يقطع اللحم قطعاً صغيرة ويسلق

---

(١) نهاية الرتبة، ص ٣٦، خطط، ج ١، ص ٤٦٣.

(٢) البغدادى، الإفادة، ص ٤٢.

(٣) ابن ظهيرة، الفضائل، نقلاً عن ابن زولاق، ص ١٣٨.

(٤) نهاية الرتبة، ص ٣٨.

(٥) معالم القربة، ص ١٥٨.

(٦) ومن الأشعار التى وصفت صناعة السنبوسك ما قاله إسحق بن إبراهيم الموصلى :

يا سائلى عن أطيب الطعام ∴ سألت عنه أبصر الأنام
اعمد إلى اللحم اللطيف الأحمر ∴ فدقه بالشحم غير مكثر
واطرح عليه بصلاً مدوراً ∴ وكرنبا رطبا جنيا أخضرا
والق السذاب بعده موفرا ∴ ودار صينى وكف كزبرا
وكف كمون وشئ من مرى ∴ وملئ كفين بملح تدمر=

إلى أن ينضج ثم يصفى عنه الماء ويدق إلى أن ينعم ويوضع في إناء ويضاف إليه دهن وتوابل وحمص، فإذا نضج يوضع عليه بقدونس ونعنع، ويضاف إليه الخل وماء الليمون ويغلي، ثم يحشى في الرقاق [١].

ومن الأطعمة التي اشتهرت دار الفطرة بصناعتها " البرماورد " أو " البزماورد " [٢] وهو طعام يدخل في صناعة اللحم وخاصة لحوم الجداء وصدور الدجاج التي تقلى بالزبد والبيض [٣]، وكان " البزماورد " يوزع في المناسبات وبعض الأعياد على أرباب الوظائف في الدولة الفاطمية [٤].

ومن أصناف اللحوم التي اشتهرت صناعتها في ذلك العصر " الطباهجة المشققة "[٥] وتصنع من اللحم المقطع شرائح وتقلى في الدهن، ويدخل في صناعتها

=فدقه يا سيدى شديدا ∴ ثم أوقد النار له وقودا

واجعله في القدر وصب الماء ∴ من فوقه واجعل له غطاء

حتى اذا الماء فنى وفلا ∴ ونشفته النار عنه كلا

فلفه ان شئت في رقاق ∴ ثم احكم الأطراف بالالزاق

(المسعودى، مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٦٥).

والسنبوسك تعريب لسنبوسة الفارسية التي تعنى فطير بلحم مثلث الشكل.

(راجع : حلمى سالم، رسالة دكتوراه، غير مطبوعة، ص ١٣٩).

(١) راجع : مخطوط الوصلة إلى الحبيب، ورقة ٢٢.

(٢) يسميه الجواليقى " الزماورد " ويقول أن العامة تسميه بزماورد، وهي كلمة فارسية معربة. (راجع : المعرب، ص ٢٢١).

(٣) راجع : الرازى، منافع الأغذية، القاهرة، ١٣٠٥ هـ، ص ٣٤.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٢٦، ٤٥٦، النجوم، ج ٤، ص ٩٦.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٣٨، وطباهجة : كلمة فارسية معربة من طباهجة وقد عرفت بأنها الكباب وكان من عادة المصريين أن يضيفوا إليها قلقاسا مقلوا بالشيرج.

(راجع : ابن سيدة، المخصص، ص ١٢٧، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٣٨)

أحيانا البصل والبيض ويطلق عليها في هذه الحالة " الكباب الشامي " وذلك بأن يدق اللحم دقا ناعماً ويضاف إليه البصل ثم يقلى في دهن الشيرج[١].

وكان الطباخون ملزمون بأن يعلنوا عن نوع اللحم الذى يستخدمونه في مطابخهم حتى لا يخلطوا لحوم الضأن مع لحوم المعز، ولا لحوم الابل مع لحوم البقر. وكان المحتسب يراقب هذه الأمور تحاشياً من وقوع الغش [٢] لاختلاف أثمان كل نوع من هذه اللحوم، ولما قد تسببه من أضرار للناس الذين لا يحتملون بعض أنواعها أو لا تستسيغون طعمها.

وكانت كبد الحيوانات المذبوحة من الأطعمة المنتشرة في الأسواق وتقبل الناس على شرائها وتقدم مسلوقة مع البصل أو مشوية [٣].

وقد انتشرت حوانيت بيع الرءوس في العصر الفاطمي [٤] وكانت الرءوس والأكارع تباع نيئة أو ناضجة، وكان الناضج منها يسلق بالماء المضاف إليه التوابل المناسبة والمسلح ليطيب مذاقها، وكانت تباع في بعض الأحيان مشوية [٥]. ومن وظيفة المحتسب مراقبة إجادة تنظيف الرءوس والأكارع وتنقية ما عليها من شعر وصوف قبل بيعها [٦]، وكانت الرءوس المشوية تخرد من مطابخ القصر الفاطمي وتوزع على رجال القصر بمناسبة الاحتفال برأس السنة الهجرية [٧].

---

(١) الرازى، منافع الأغذية، ص ٣٠، ابن عبد ربه، العقد الفريد (الطعام والشراب)، ص ٩٨.

(٢) نهاية الرتبة، ص ٣٤، خطط، ج ١، ص ٤٦٣.

(٣) معالم القربة، ص ١٥٩.

(٤) كان يوجد سوق الرواسين في مصر في عصر المماليك ومن المحتمل أن مثل هذا السوق كان له مثيل في العصر الفاطمي. (راجع : خطط، ج ٢، ص ٩٥).

(٥) معالم القربة، ص ١٧٢.

(٦) نهاية الرتبة، ص ٣٢.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

ويبدو أن هذا الصنف من الطعام كان موضع إقبال لدى الخليفة الظاهر وحاشيته، فيذكر المقريزى فى حوادث سنة ٤١٤ هت / ١٠٢٣ م أنه " وكل بدكاكين الرواسين فى جميع الأسواق، وأخذ ما فيها من الرءوس، وكان قد طلب خمسمائة رأس، وألف رطل رقاق " [١].

وقال الشاعر الفاطمى ظافر الحداد فى الرءوس :

غدونا للغذاء غداه قر ∴ لأكل رءوس أبناء النعاج
صغار السن وافرة سمان ∴ تربك صفاء ناعمة نضاج
كأغشية مبطنة بقطن ∴ مقدرة على أدراج عاج [٢]

وكانت معظم تلك الأطعمة تصنع فى حوانيت الطباخين فى الأسواق ويقبل أهل مصر على شرائها ولا يطبخون فى منازلهم إلا نادراً، فمن عادة أهل مصر عدم إدخار الطعام بل يتناولون أغذية كل يوم من الأسواق [٣] ولعل هذا هو السبب وراء انتشار حوانيت الطباخين فى معظم أسواق الفسطاط والقاهرة.

وكان أهل مصر يطبخون اللحوم مع البقول والخضر بأن تقطع من البامية [٤] أو القلقاس[٥]، ويقال أن الملوخية انتشرت فى مصر فى عهد الخليفة الفاطمى المعز عندما اقترح عليه الأطباء أكلها كعلاج من يبس فى مزاجه.

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ١٣٣.

(٢) راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ٧٥، وله فى نفس المعنى أيضا ص ١٧٣، ص ٢١٦. ٢١٧، وظافر الحداد من شعراء العصر الفاطمى الثانى، ومدح من الخلفاء الامر والحافظ ومن الوزراء الأفضل والمأمون وأبا على أحمد وتوفى سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م.

(٣) خطط. ج ١، ص ٥٠.

(٤) ابن البيطار. الجامع. ص ٨١.

(٥) المقدسى، أحسن التقاسيم. ص ٢٠٤

وعوفى من مرضه فأكثر المعز وحاشيته من أكلها وسموها ملوكية. فحرفتها العامة وقالت ملوخية (١) وعند طبخ اللحوم مع الخضروات أو البقول كانت تنسب إليها الطبخة مثل الكرنبية والقنبيطية واللفتية والجزرية (٢).

واشتهرت مصر بتربية أنواع الطيور التى تؤكل وخاصة الدجاج، وكانت معامل إنتاج الفراريج بطريقة صناعية منتشرة فى أنحاء البلاد وكان المعمل ينتج فى المرة الواحدة ما بين عشرة وعشرين ألف فروج وكانت هذه العملية صناعة يتخذها الناس للتجارة والكسب (٣).

وكان الاهتمام بتربية هذه الفراريج كبيراً، حيث أن الدجاج كان له أثماناً مختلفة تبعاً لتغذيتها وأنواعها، ويقدم لنا المقريزى فى حوادث سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م أنواع الدجاج وأثمانها: الدجاج المعرق (٤) وسعره ستة بدينار والمصدر أى كبير الصدر، أربعة بدينار، والمسمن ثلاثة بدينار، والفائق اثنان

---

(١) راجع : الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، نهاية الأرب، ج ١١، ص ٤٧، هامش (٥)، ويصف ظافر الحداد إعداد الملوخية ويدعو صديقاً له إلى مشاركته فيها :

أيا سيدى وأخى لا تغب ∴ فعندى لك اليوم ما يستحب
ملوخية سبقت أوقاتها ∴ وجاءت كهيئة حضر الزغب
وقد نقيت قبل تقطيعها ∴ بكفى لبيب خبير درب
وقد أحكمت بفراخ الحمام ∴ ودهن الدجاج وصفر الكبب

(راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ٦١).

(٢) الرازى، منافع الأغذية، ص ٣٠، ٣١، البغدادى، الإفادة، ص ٧ - ١١.

(٣) راجع التفاصيل : البغدادى، الإفادة، ص ١٧، خطط، ج ١، ص ٢٦.

(٤) المعرق قليل اللحم أو السلم بلحمه. (راجع : ابن سيده، المخصص، ج ٥٤، ص ١٣٧، القاموس المحيط).

بدينار، وكانت مائدة الوزير اليازورى تحوى الدجاج الفائق أما أهل داره وحاشيته فكان طعامهم من الدجاج المسمن [١].

ومن مشهيات الطعام المخللات، وكان الباذنجان ينقع فى الماء والملح بعد تقطيعه ثم يقلى فى الزيت، بالإضافة إلى تمليحه حيث يضاف إليه بعد سلقه الخل الحاذق والفلفل وأنواع التوابل وذلك بعد قلع أقماعه اليابسة [٢] كما كانت المخللات تصنع من الخيار والبصل والثوم والزيتون وغيرها[٣]، وكانت الملوحات والمخللات تقدم فى سماط ذكرى عاشوراء على مائدة الخليفة [٤] تعبيرا عن الحزن.

ومن المواد المستخدمة فى المطبخ المصرى بالإضافة إلى اللحوم والخضروات زيت الزيتون والشيرج (زيت السمسم) والتوابل والخل وغيرها مما ورد فى الحسابات اليومية للأسر المصرية فى القرن الثالث والرابع الهجرى[٥].

---

(١) اتعاظ، ج ٢، ص ٢٣٩ - وقد احتج الخليفة المستنصر لصاحب مطبخه لأن راتب مائدة الوزير اليازورى الدجاج الفائق وراتبه دون ذلك، وكان المستنصر يحضر دار اليازورى كل ثلاثاء على عادته فتقدم إليه المائدة.(راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٢٤٠).
وكان الدجاج المسمن من الأطعمة التى تحويها مائدة الخليفة فى سماط العيدين بالإضافة إلى الفراريج وفراخ الحمام. (راجع : خطط، ج ١، ص ٣٨٧).

(٢) نهاية الأرب، ج ١١، ص ٤٤، معالم القربة، ص ١٦٠.

(٣) الرازى، منافع، ص ٣٢، ٣٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٥) راجع : أوراق البردى، ج٥، ص٥٢-٥٣، ص٧٨، ١٨٥. ج٦، ص١٧٩-١٨٣

ثالثاً : الألبان ومنتجاتها :

كانت الألبان ومنتجاتها من الأطعمة التي يقبل عليها العامة والخاصة في ذلك العصر [١]، وأهم تلك المنتجات الجبن التي انتشرت صناعته في مصر ومن أصنافه الجبن الحالوم والجبن الأقراص الذى يصنع من لبن الجاموس [٢] والمصريات يجدن صناعة الجبن فى البيوت [٣].

وكان الجبن من الأطعمة اليومية للأسر المصرية وكان يفضل مع اللبن كغذاء للأطفال [٤]. وكان توزيع الألبان من بين رسوم الدولة الفاطمية في احتفالها بليلة رأس السنة الهجرية [٥] كما كان الجبن واللبن الخالى من الدسم من الأطعمة في سماط الاحتفال بعاشوراء [٦] وكان اللبن الطازج والذى نزع منه الزبد من الأطعمة التي تقدم على مائدة السحور للخليفة الفاطمى [٧]، كما كان اللبن الرائب [٨] والجبن القريش [٩] من الأطعمة المنتشرة بين المصريين في العصر الفاطمي وتقدم إلى أرباب الدولة من بين ما يصرف لهم من رواتب الأطعمة.

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٥.

(٢) محمد بن الشيخ، الكواكب السائرة، مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٦٨٠١ ج، لوحة ١١٨.

(٣) راجع : ديوان تميم بن المعز، ص ٤٢١.

(٤) راجع أمثلة على ذلك فى حسابات الأسر المصرية فى القرنين الثالث والرابع والتى يدخل فيها اللبن والجبن : أوراق البردى، ج ٦، ص ١٧٣ – ١٧٥، ١٧٧ – ١٧٨، ١٩٠ – ١٩٦.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤٣١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٨) خطط، ج ١، ص ٢٧٠.

(٩) خطط، ج ١، ص ٤٢١.

رابعاً : الأسماك:

تعددت مصايد الأسماك التي امتازت بوفرة إنتاجها في مصر كنتيجة طبيعية لما تمتاز به البلاد من سواحل طويلة تطل على بحرين كبيرين بالإضافة إلى البحيرات الداخلية ونهر النيل [١] حتى أن أهل مصر يأكلون صيد البحر الأحمر والبحر المتوسط طازجاً [٢] لقرب المسافة بين البحرين.

ويذكر عبد اللطيف البغدادي أن عوام المصريين يعتمدون في غذائهم على " الصير والصحناة " [٣] " والخبز والنيدة " [٤] وينقل عنه هذا الزعم بعض المؤرخين [٥]، ويبدو أن وفرة إنتاج الأسماك في مصر ورخص ثمنها دفعت المصريين إلى الإقبال على أكلها [٦] وعدم إكثارهم من أكل اللحوم [٧] ولكن ليس معنى ذلك اعتماد المصريين على الصير والصحناة في غذائهم [٨] فأوراق

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٢) مخطوط الكواكب السائرة، لوحة ١١٩.

(٣) الصحناة كلمة فارسية وهى ما يطلق عليها العرب الصير. (راجع : المعرب للجوليقى، ص ٢٦٤) والصير هى السمك الصغير الذى يصاد من النيل عند الفيضان وانصراف الماء ولا يزيد عن الأصبع في حجمه ويسمى أيضا ملوحة إذا كبس بالملح ويسمى إذا كان طازجا البسارية وتؤكل مشوية ومقلية.

(راجع : خطط ج ١، ص ١٠٨، قارن : الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠. .Dozy, suppl, I, p, 857)

(٤) البغدادى، الإفادة، ص ٤٣.

(٥) ابن سعيد، النجوم، ص ٢٨، خطط، ج ١، ص ٣٦٧.

(٦) المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٢.

(٧) نفسه، ص ٢٠٥.

(٨) لا يصلح الاعتماد على الصحناة كغذاء للإنسان فهى تسبب له اضرارا صحية (راجع برارى، منافع الأغذية، ص ٢٦).

البردى العربية تحوى وثائق هامة عن حسابات نفقات بعض الأسر المصرية فى القرنين الثالث والرابع الهجريين تبين عناصر الغذاء اليومى التى تشتريها هذه الأسر لم يذكر فيها السمك المملح بل نجد ذكر اللحم والجبن واللبن والفول والزيت والفواكه [١].

وكانت الأسماك تصاد بكميات كبيرة فى أيام الفيضان، فعند حفر الخلجان والقنوات ليتدفق إليها ماء الفيضان، يدخل معه السمك الوفير ويبقى فى الخلجان بعد انحسار الماء فيصبح من السهل اصطياده، فيأخذه الناس ويأكلون كفايتهم ويكبسون ما بقى منه بالملح ويبيعونه إلى التجار فينقل إلى أنحاء البلاد [٢].

وكان من أشهر أنواع السمك فى مصر فى العصر الفاطمى البورى واللبيس [٣] وكان البورى يملح ويحمل إلى جميع الأقطار [٤] وكان من رسوم الدولة الفاطمية توزيع السمك البورى وأنواع أخرى من الأطعمة على أعيان القبط وكبار رجال الدولة بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد المسيح وموسم الغطاس [٥].

ومن الأسماك النيلية ذات الشهرة فى ذلك الوقت، سمك " الراى " وهو نوع من السمك النيلى فى حجم البورى لونه أحمر، ويصفه الشاعر تميم بن المعز بقوله :

---

(١) راجع : أوراق البردى، ج ٥، ص ١٥١ - ١٥٢، ج ٦، ص ١٧٣ - ١٧٥، ص١٧٧ - ١٧٨، ص ١٩٠ - ١٩٦.

(٢) راجع : بنيامين التطيلى، ص ١٧١، قارن : تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٢٥، خطط، ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٣) اللبيس نوع من السمك يشبه البورى وقد أطلق عليه ذلك لأنه التبس به.
(راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٢).

(٤) المقريزى نقلا عن المسبحى، خطط. ج١،ص٦٧، مخطوط الكواكب السائرة، لوحة١١٨.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٩٤، ص ٤٩٥.

كـأن الـراى حـين أتـى طريـاً .:. بأذنـاب كمحمـر العقيـق
بلسـقيات بلـور لطـاف .:. بأسفلهـا بقـايا مـن رحيق [١]

وكان السمك يؤكل مشوياً أو مقلياً [٢] وأحياناً كـان يسلق بالقانه فـى الماء المغلى [٣] أما السمك المملح فكانت العادة أن ينقع قبل أكله بالخل والزيت والتوابل [٤] حتى ينصلح مذاقه.

وقد أصدر الخليفة الحاكم قراراً بالنهى عن تناول بعض أنواع الأطعمة والأشربة [٥] من بينها السمك الدلينى الذى لا قعر له، وأخذ العهود على بائعى السمك بامتناعهم عن بيعه وهدد من يخالف أوامره بالقتل [٦].

ويبدو أن هذا القرار كان يهدف إلى المحافظة على صحة الناس الذين كانوا يقبلون على هذا النوع من السمك [٧] ولعل خلوه من القشر يجعله سريع التلف.

---

(١) راجع : ديوان تميم، ص ٣٠٣ – والبلسقيات جمع بلسقية وهى الزجاجة أو القارورة. وقال الشاعر الفاطمى ظافر الحداد يصف الراى :

أمـالك فـى الـراى رأى فـان .:. لـه صفـة أوجبـت أن يحـب
تربـى مـع النيـل حتـى ربـا .:. وصـار مـن الشحم ضخمـا خـدب
ولا حسـن للعظـم فـى جسـمه .:. فليـس علـى الضـرس منـه تعـب
يروقـك نيـئا وفـى قلبـه .:. فتبصـر مـن حالتيـه العجـب

(راجع: ديوان ظافر الحداد، ص ٥، ٦، الخريدة، قسم شعراء مصر، ج ٢، ص ١٥، ١٦).

(٢) نهاية الرتبة، ص ٣٣، معالم القربة، ص ١٧٨، ١٧٩.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج ١٢، ص ٣٠٧، ٣٠٨.

(٤) الرازى، منافع الأغذية، ص ٢٦.

(5)Lane - pool, Abistory of Egypt, p, 120.

(٦) ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٦٦.

(٧) البغدادى، الاعتبار، ص ٤٣.

خامساً : الحلوى والفاكهة :

تعد " النيدة " من أشهر أنواع الحلوى التي يقبل عليها عامة المصريين في العصر الفاطمي، وقد أعجب المقدسي بحلاوة مذاقها [١] وطريقة عمل النيدة هي أن يطبخ القمح حتى يخرج نشاه في الماء ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ ثم يذر عليه الدقيق وعندما يتماسك قوامه يرفع عن النار[٢] وكان هذا الصنف رخيصاً يباع بسعر الخبز وتسمى نيدة البوش، أما النيدة المعقودة التي لا يضاف إليها الدقيق فأعلى سعراً من الأولى [٣]، وكان طباخي النيدة في الأسواق لا يستعملون إلا الدقيق الأبيض ويكثرون من إضافة النشا إليها لتزداد حلاوتها [٤].

ومن أصناف الحلوى التي كانت تنتشر في حوانيت الحلاويين في الدولة الفاطمية الزلابية [٥] وتصنع من الدقيق بعد عجنه وتخميره، ثم تقلى بزيت الشيرج وتؤكل بالعسل أو السكر [٦].

وكان من رسوم الدولة الفاطمية توزيع الزلابية مع أصناف أخرى من الأطعمة والحلوى على أرباب الرسوم بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد المسيح [٧].

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٣، ويعرفها ابن سعيد بأنها حلاوة القمح، ويذكر أنها لا تصنع إلا بالديار المصرية.
(راجع : النجوم، ص ٥٨).

(٢) البغدادي، الإفادة، ص ٤١.

(٣) راجع : عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٦٩، الإفادة، ص ٤١.

(٤) معالم القربة، ص ١٠٨.

(٥) راجع الجواليقي، المعرب، ص ٢٢٣.

(٦) الرازي، منافع الأغذية، ص ٥١، نهاية الرتبة، ص ٢٥، معالم القربة، ص ٩٨٠.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٩٤.

وقد أبدى الفاطميون اهتماماً بصناعة الحلوى لتوزيعها في الأعياد والمواسم على أرباب الوظائف في الدولة وتزيين موائدهم بها والتي كان يصل منها الكثير إلى أيدى العامة [١] وقد عبروا عن هذا الاهتمام منذ عهد الخليفة العزيز الذى بنى داره الفطرة [٢] وهو أول من قرر رسوم توزيع الحلوى في الدولة الفاطمية [٣].

وكانت تصنع في دار الفطرة قصور السكر الضخمة التي تزن الواحدة منها سبعة عشر قنطارا ويحملها العتالون ليزينوا بها سماط عيد الفطر وكانت تلك القصور تدهن بأوراق الذهب وفيها شخوص بارزة كأنها مسبوكة في قوالب [٤] وكان السماط يزين أيضاً بأطباق من تماثيل السكر على أشكال مختلفة [٥] وكانت تباح كل هذه الأصناف للحاضرين وتوزع منها كميات وفيرة على أهل القاهرة والفسطاط [٦].

وكانت تصنع في دار الفطرة العديد من أنواع الحلوى التي يدخل في تكوينها السكر والعسل وقلوب اللوز والبندق والفستق والزعفران وأنواع الطيب والدقيق [٧] ويبدأ العمل لصناعة الحلوى منذ النصف الثاني من شهر رجب ويستمر العمل ليلاً ونهاراً لاعداد الكميات الهائلة من أصناف الحلوى

---

(١) راجع الباب الخاص بالأعياد.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٢٥.

(٣) راجع : مخطوط اخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٨٨.

(٥) نفسه، ص ٣٨٧.

(٦) نفسه، ص ٣٨٨.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤٢٥.

التى توزع فى الأعياد والمواسم وأشهر هذه الأصناف الخشكنانج [١] والبسندود [٢] والفانيذ [٣] الذى يقال له كعب الغزال [٤] وكان يعمل فى دار

---

(١) الخشكاس أو الخشكناك : لفظ فارسي (راجع المعرب، ص ١٨٢) وهي نوع من الحلوى التي تصنع من الدقيق الأبيض الذى يعجن ويبسط مثل الرقاق ويضاف إليه السكر وقلوب اللوز والكافور وماء الورد، ويكون الرقاق أحياناً على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز والفستق (راجع : الرازى، منافع الأغذية، الحبيب، ورقة ١٢٧) وكان الخشكنانج من الحلوى التي تصنع يومياً في مطابخ القصر الفاطمي، وتقدم إلى الخليفة الأمر ووزيره المأمون وكان يخصص لصنعها يومياً قنطاراً من السكر (راجع : اتعاظ، ج ٣، ص ٨٢، حوادث سنة ٥١٥ هـ).

(٢) البسندود : لفظ فارسي الأصل، وهو نوع من الحلوى التي يدخل في صنعها الدقيق والبلح (راجع : صبح، ج ٣، ص ٥١٠) ويبدو أنها كانت تصنع على هيئة أقراص صغيرة، فيصف أحد الشعراء البسندود بقوله :

أقرصة هشة مدورة ∴ كأنها فى النقا كافور

كأنها فى الصحاف مطبقة ∴ دراهم فوقها دنانير

(راجع: مطالع البدور، ج٢، ص٨٤).

كما كان يشكل على هيئة قرص مثقوب من الوسط يخبز في الفرن، ثم يوضع كل قرصين على بعضهما، وبينهما حلوى بها لوز وفستق (راجع : حلمي سالم، المرجع السابق، ص ٥ من الملحق).

وكان البسندود من بين الأطعمة التي تقدم على مائدة سحور الخليفة الفاطمي.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٩١، ٤٩٢).

(٣) الفانيذ : ضرب من الحلوى التي تدخل في صناعتها الدقيق والعسل. راجع :

Dozy , suppl, II, p, 284.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٢٦.

الفطرة مائة صانع من المهرة فـي هـذا الفن [١] علـى رأسـهم مقـدم للحلاويـين ومقدم للخشكنانيين [٢] ويخزن في دار الفطـرة مـا ينتـج مـن أصنـاف الحلـوى، وكان الخليفة الفاطمي يحضر بنفسه بصحبة الوزير لمشاهدة ما صنع من الحلوى قبل توزيعها، ويبدأ التوزيع من نصف رمضان حتى آخـره وكـان يخصـص لهـذه المهمة مائة فراش يحملون أطباق الحلوى إلى أرباب الرسوم المقـررة ويـتراوح مـا يخص كل فرد حسب مكانته فـي الدولـة مـن ربـع قنطـار إلى رطـل واحـد، ولا يفوت أحد شيئاً من ذلك ويتهاداه الناس في جميع الأقاليم [٣].

كما كان يوزع أيضاً في دار الفطرة الكعك والزبيب والتمر والبندق [٤] وكـان الدجـاج يصنـع منـه أصنـاف محـلاة [٥] تسـمى الفسـتقية، والبندقيـة والخشخاشية والوردية نسبة إلى ما يضاف إليها من هذه الأصناف، ويصف عبد اللطيف البغدادى طريقة عمل تلك الأصناف بقوله :

" وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات، وسبيل ذلـك أن تسـلق الدجـاج ثـم ترمـى فـي الجـلاب [٦] ويلقـى بنـدق مدقـوق أو فسـتق أو

---

(١) كان الفاطميون يهتمون باقتناء المهرة في فن الطبخ وصناعة الحلوى، ويذكـر المقريـزى أن بمصر جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفـاء الفـاطميين لهـن فـي الطبـخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة.
(راجع، ج ١، ص ١٦٧).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٢٦.

(٣) راجع تفاصيل توزيع الحلوى وكمياتها : خطط، ج ١، ص ٤٢٦.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٢٧.

(٥) المقريزى نقلا عن المسبحى، خطط، ج ١، ص ٣٨٨.

(٦) الجلاب : هو ماء الورد المغلى في السكر، وهو مركب من الكلمة الفارسية كـل أى ورد، وآب أى ماء.
(راجع : المعرب، ص ١٥٤).

خشخاش أو ورد ويطبخ حتى ينعقد ويرفع، وتسمى هذه الأطبخة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية " [١]، وكانت هريسة الفستق من أصناف الحلوى التى تصنع من لحم الدجاج والجلاب والفستق المقشور [٢].

وهناك أصناف متعددة من الحلوى أوردها الشيزرى (ت ٥٨٧ هـ) فى كتابه نهاية الرتبة وهو قريب العهد بالدولة الفاطمية ونقلها عنه صاحب كتاب معالم القرية [٣] ومعظم هذه الأصناف قد عرفت فى عهد الدولة الفاطمية ومن أشهر هذه الأنواع " الخبيص " وهى نوع من الحلوى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج، ثم يضاف إليها بعد الطبخ شئ من السكر والعسل وترفع على النار لتجمد [٤] أما الحلوى المسماه " نواطف " [٥] فكانت من الأصناف التى تصنع فى دار الفطرة وتقدم على مائدة الخليفة الفاطمى كل يوم خلال شهور رجب وشعبان ورمضان [٦]. ومن أشهر أنواع الحلوى على المائدة المصرية فى العصر الفاطمى "

---

(١) الإفادة، ص ٤٢.

(٢) نفسه.

(٣) راجع : نهاية الرتبة، فى الحسبة على الحلوانيين، ص ٤٠ وما بعدها، معالم القربة، ص١٨١ وما بعدها.

(٤) راجع : مخطوط الوصلة إلى الحبيب، ورقة ١٠١، ابن عبد ربه، الطعام والشراب، ص١٤، وقارن : عبداللطيف البغدادى، الافانية، ص ٤١، الذى يذكر بأن النيدة بمنزلة الخبيص، ويبدو أن الخبيص نوع راق من النيدة. (راجع أيضاً : الرازى، منافع الأغذية، ص ٥٠).

(٥) الناطف : نوع من الحلوى يدخل فى تركيبه العسل أو السكر والفستق والبندق، انظر: الرازى، منافع، ص٥١.

(٦) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٢٢.

الجوذاب" [١] وكانت صناعتها منتشرة فى الأسواق ويقبل الناس على أكلها[٢].

كما كانت تصنع أنواع متعددة من الحلوى التي يدخل فى تكوينها الأرز واللبن والسمن مثل البهطة [٣] واللبنية [٤] وكان عادة الفاطميين توزيع الأرز

---

(١) الجوذاب : ضرب من الحلوى تدخل فى صناعته اللحم والأرز والسكر، وجوذاب معرب كوذاب بالفارسية، وهو عبارة عن دجاج يقلى ويوضع فى قدر فوق أرز مطبوخ باللبن مصبوغ بالزعفران، ويغطى القدر ليكمل نضجه بداخل الفرن فيسيل دهنه على الأرز، وأحياناً كان الدجاج يوضع فى الفرن ليشوى وهو معلق فوق قدر به أرز أو قطايف أو خبز منقوع فى اللبن ليسيل دهنه عليه.

(راجع : الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٥، لسان العرب، الرازى، منافع الأغذية، ص ٥١، حلمى سالم، رسالة دكتوراه، ص ١٣٨).

ويصف أحد الشعراء الجوذاب بقوله :

جوذابة من أرز فائق ∴ مصفرة فى اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونها ∴ من كف طاه محكم حاذق
بسكر الأهواز مصبوغة ∴ فطعمها أحلى من الرائق

مما يوحى بأن الجوذاب كان يضاف إليه السكر أحيانا.

(راجع : مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٦٨، ص ٣٦٩).

(٢) راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٣) البهط : كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء، واستعملته العرب بالهاء فقيل : بهطة طيبة (راجع : المخصص لابن سيده، ج ٥، ص ٣، لسان العرب مادة بهط، قارن : ابن قتيبة، ج ٣، من عيون الأخبار، ص ٢١٠، الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠).

(٤) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٤.

المطبوخ مع السكر واللبن فى المناسبات المختلفة على أرباب الرسوم والوظائف وخاصة بمناسبة الاحتفال برأس السنة الهجرية (١).

وكانت القطائف من أصناف الحلوى المنتشرة فى العصر الفاطمى بين الخاصة والعامة، ويزداد الإقبال على تناولها خلال شهر رمضان، فيذكر الشاعر المصرى عبد الرحمن بن هبة الله :

وفى الصيام فوافتنا قطائفه ∴ كما تسنت الكثبان من كثب
ما بين محشوة صفت إلى أخر ∴ حمر من القلى تشفى جنة السغب (٢)

وكانت القطائف من بين الأطعمة التى تقدم فى سحور الخليفة الفاطمى فى شهر رمضان كما كانت تقدم إلى المشتركين فى الاحتفال بليالى رمضان من القراء والوعاظ والصوفية وغيرهم ممن يحتشدون فى القصر بهذه المناسبة (٣).

وكان الناس يتهادون القطائف فى شهر رمضان، ومن أمثلة ذلك ما رواه صاحب الخريدة من أن مقدم الشعراء فى أيام الوزير الأفضل كتب إليه بعض المصريين أبياتاً فى القطائف منها :

جاءت مناسبة أخلاق مهديها ∴ قطائف كل طرف مودع فيها (٤)

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٩٠.

(٢) كان الشاعر المذكور موجوداً بالقاهرة سنة ٥٧٢ هـ. (راجع : ابن سعيد، النجوم، ص ٢٦٦).

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٥٢، ٤٩١.

(٤) راجع : الخريدة، قسم شعراء مصر، ج ٢، ص ٥١، ٥٢.

وقد أسهب الشعراء المعاصرين للدولة الفاطمية فى وصف القطائف [١] وما يستخدم فى صناعتها من الجلاب والمسك والفستق وغيرها.

كما كانت الكثافة من أصناف الحلوى المشهورة فى مصر [٢] فى العصر الفاطمى فيصف ظافر الحداد خباز الكنافة فيقول :

وحاذق يحكم كنافته ∴ لا تشبع العين منه بالنظر
كأنما يسطه العجين على ∴ إكراه لما حفت بمستعر
ينسج فيما من السحاب على ∴ وامض برق يكتن بالمطر [٣]

ويذكر الغزولى أبياتا طريفة فى القطائف والكنافة فيقول :

قال القطائف للكنافة ما ∴ بالى أراك رقيقة الجسد
أنا بالقلوب حلاوتى حشيت ∴ فتقطعى من كثرة الحسد [٤]

كما عرف العصر الفاطمى صناعة العديد من الحلوى التى تدخل فى صناعتها الفاكهة [٥] وكان الخليفة الفاطمى يتناول افطاراً فى أول أيام عيد

---

(١) ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشاعر ظافر الحداد يصف وعاء من القطائف فيقول :

جام جوى فى الظرف كل باب ∴ مستملح منه ومستطاب
قطائف لطائف رواب ∴ لم تحش بل صفت على اصطحاب
فى المسك والفستق والجلاب ∴ كأنها السنة الأحباب
تنزل فى الحلق بلا حجاب ∴ فهى طعام وهى كالشراب

(راجع : ديوان ظافر، ص ٧، ٨).

(٢) الأدفوى، الطالع السعيد، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٨٢.

(٣) راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ١٣٢.

(٤) مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٤.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٠٠.

الفطر في مقدمته صنف من التمور التي يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وقلوب اللوز والفستق وغيره وتختم وتقدم إليه في أواني من الذهب [١].

الفاكهة :

امتازت مصر على مر العصور بوفرة إنتاجها من الفاكهة وتنوعه على مدار العام وإقبال الناس على شرائها [٢] وكانت أصناف الفواكه المختلفة مثل التفاح والمشمش والخوخ والعنب من المشتريات اليومية للأسرة المصرية في القرن الرابع الهجري [٣].

وكان من رسوم الدولة الفاطمية توزيع الفاكهة على أرباب الوظائف في الدولة في الأعياد والمواسم، فكان يوزع في موسم النيروز من الفاكهة البطيخ[٤] والرمان والموز والتمر وغيرها وفي الغطاس يوزع القصب والليمون والنارنج [٥].

ورغم وفرة إنتاج مصر من الفواكه فإن الدولة الفاطمية كانت تستورد الفواكه من الأقطار المحيطة بها، ويذكر القلقشندي رواية طريفة عن الخليفة العزيز بالله الذي اشتاق في حضرة وزيره يعقوب بن كلس إلى القراصيا

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٥٢.

(٢) راجع : ابن سعيد، النجوم، ص ٣١، ابن ظهير، الفضائل، نقلاً عن ابن زولاق، ص١٣٣، ١٣٤.

(٣) راجع : أوراق البردي، ج ٥، ص ١٥٢ - ١٥٣، ج ٦، ص ١٩٠، ١٩٢.

(٤) وصف الشاعر الوجيه بن الذروي (ت ٥٧٧ هـ) بطيخه فيقول :

أتانا الغلام ببطيخة ∴ وسكينة قد أجيدت صقالا
فقسم بالبرق شمس الضحى ∴ وأعطى لكل هلال هلالا

(راجع: ابن سعيد، النجوم،ص٣٣٣).

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٩٩.

البعلبكية وكانت الرسائل بين القاهرة ودمشق تنقل عن طريق الحمام. فكتب ابن كلس بطاقة يأمر فيها أعوانه هناك بأن يجمع الحمام ويعلق في كل طائر حبات من القراصية البعلبكية، وترسل إلى مصر، فلم يمض النهار حتى حضرت القراصيا وقدمها ابن كلس إلى العزيز [١]، ورغم ما في القصة من مبالغة إلا أنها توضح اقبال رجال الدولة الفاطمية على الحياة والبذخ يصل حد الاسراف في تحقيق رغباتهم.

سادساً : الشراب :

إذا كان الخبز هو الطعام الذى لا تخلو منه المائدة المصرية على مر العصور فإن الماء يعتبر الشراب الرئيسي على تلك المائدة. والمصدر الرئيسي لماء الشرب في مصر هو نهر النيل ويتفرع عنه من ترع وقنوات. وكان يفضل شرب ماء النيل من مكان يجرى فيه الماء حتى لا يكون عفنا [٢] وكان الماء ينقل إلى الدور والحوانيت عن طريق السقاءين الذين يخضعون لمراقبة المحتسب وأعوانه، وكان المحتسب في الدولة الفاطمية يلزم السقاءين بتغطية ما ينقلونه من ماء للمحافظة على نظافته [٣] ورغم ذلك، فمن المعتقد أن مهمة السقاءين كانت تقتصر على حمل الماء من مصادره الأصلية وتوصيله إلى الناس، دون الالتزام باعداده ليكون صالحا للشرب؛ فكان هذا الأمر يقوم به الشاربون أنفسهم وقد أورد المقريزى العديد من الطرق التى كانت تتبع لتنقية ماء النيل وذلك بترسيب المواد الغريبة العالقة بالماء باستخدام الطباشير وأنواع من الطين وقلوب نوى المشمش، أو بتقطيره في أوانى من الخزف والفخار أو الجلود وذلك بعد غليه وتركه حتى يبرد [٤].

---

(١) راجع : صبح، ج ٢، ص ٩٧، ج ١٣، ص ٣٩١.
(٢) خطط، ج.١، ص ٦٥.
(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.
(٤) راجع التفاصيل : خطط، ج ١، ص ٦٥.

وكان عامة المصريين يهتمون بتبريد الماء فى الصيف وذلك باستخدام آنية من الخزف والفخار لهذا الغرض [١] وفى الشتاء يوضع الماء فى آنية من الزجاج المدهون، وغالباً ما كان يضاف إلى ماء الشرب القليل من ماء الورد، وأحياناً يبخر الاناء بأنواع الأبخرة الطيبة لتجويد مذاق الماء[٢].

وكان يقدم أثناء الموائد التى تقام فى القصر الفاطمى طوال شهر رمضان إلى الحاضرين " الماء المبخر فى كيزان الفقاع " [٣] وكانت أوانى الماء المثلج تخرج من عند سيدات القصر الفاطمى ملفوفة فى الأقمشة الفاخرة لتوضع بين يدى القراء فى ليلة آخر شهر رمضان لتشملها بركة ختم القرآن [٤].

وكان تبريد الماء وغيره من المشروبات يتم باستخدام الثلج فى القصر الفاطمى وفى دور كبار رجال الدولة، فيروى ناصر خسرو أن خزانة الشراب فى العصر الفاطمى التى تحمل إليها كميات كبيرة من الثلج وكان لمعظم الأمراء ورجال الحاشية وأرباب الرتب والوظائف راتب يومى من هذا الثلج [٥] وكان التثليج يتم بوضع الآنية التى تحوى الشراب على الثلج حتى يبرد ما فيها [٦].

---

(١) كانت تصنع أوانى الخزف التى يحفظ فيها الماء فى شهر أمشير، وكان بعض العامة يعتقدون أن ما يصنع من أوانى فى هذا الشهر يبرد الماء أكثر مما يصنع فى أى وقت. (راجع، ج ١، ص ٢٧٠).

(٢) خطط، ج ١، ص ٦٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ١٨٧.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٩١.

(٥) سفرنامة، ص ٦٤، صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، اتعاظ، ج ٢، ص ١٣.

(٦) مطالع البدور، ج ٢، ص ٧١.

وكان الثلج يستورد من الشام وينقل إلى مصر في عهد الدولة الإخشيدية [١] وفي عهد المماليك [٢]، ولكن المصادر التي رجعنا إليها لا تشير إلى استيراد الثلج في العصر الفاطمي، ومع ذلك فمن المستبعد أن تكون طريقة صناعة الثلج قد عرفت في هذا العصر وإلا كان قد استمر ذلك في العصر المملوكي، ومن المحتمل أن الثلج كان يأتي من الشام في العصر الفاطمي أيضاً.

ومن الأشربة الشائعة في مصر في العصر الفاطمي " المزر " وهو شراب يتخذ من القمح وكان العامة يقبلون عليه [٣] وخاصة أثناء الاحتفال بالأعياد مثل عيد النيروز [٤] و " الشمسي " ويدخل في صناعته الزبيب والعسل ويصفه المقريزي بأنه " أجود الأشربة " [٥].

ومن أكثر الأشربة شهرة في مصر شراب العسل أو نبيذ العسل الذي يصنع من ماء النيل وقت الفيضان مضاف إليه العسل [٦] وكان هذا الشراب ينقل من مصر إلى سائر الأقطار [٧] حتى أنه أطلق عليه " الشراب المصري " لاختصاص مصر بصناعته [٨].

---

(١) مطالع البدور، ص ٧١.

(٢) راجع : صبح، ج ١٤، ص ٣٩٥.

(٣) البغدادي، الإفادة، ص ٤٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٣٩٣.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٤.

(٦) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٦.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، قسم ١، ص ١٦١.

(٨) الرازي، منافع الأغذية، ص ١٧.

وكانت صناعة الخمور منتشرة فى العصر الفاطمى ويختص بصناعتها الأقباط فى موسم نضج الكروم [١] فكانت تعتصر الكروم ويضاف إليها العسل[٢]. لذلك نجد الخليفة الحالى عندما أصدر أوامره بمنع الناس من شرب الخمر، حدد كمية ما يباع من العسل بما لا يزيد عن ثلاثة أرطال ولا يتجاوز ما يباع من العنب عن أربعة أرطال وحذر من اعتصاره [٣].

ونحن لا نصادف مثل هذا الحظر على الخمور إلا فى عهد الخليفة الحاكم وإن كانت العادة المتبعة أن يحرم تناول الخمور ابتداء من أول شهر رجب حتى آخر رمضان فتغلق جميع قاعات الخمارين ويمنع بيع الخمر [٤].

وكان " شراب الفقاع " من المشروبات المنتشرة فى العصر الفاطمى ويبدو أن بعض أنواعه كانت مسكرة لذلك حرم الخليفة الحاكم شرب الخمر والفقاع [٥].

وهناك عدة أنواع من الفقاع كانت منتشرة فى ذلك الوقت من بينها " شراب الكشكاب " الذى كانت تنتشر صناعته فى المدن الساحلية [٦] وهو يصنع من دقيق الشعير [٧] ومواد أخرى، و " شراب الاقسما " وكان يصنع من السكر الأبيض النقى المضاف إلى الماء وماء الورد ويطيب بالمسك ويبرد بالثلج[٨]، كما كان يطلق عليه الخرجى، وكان يصنع من شعير يبل حتى يبدأ

---

(١) خطط، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤.

(٣) اتعاظ، ج ٢، ص ٩١.

(٤) خطط، ج ٦، ص ٤٩١.

(٥) سفرنامة، ص ٤٩، اتعاظ، ج ٢، ص ٧٧.

(٦) سفرنامة، ص ٣٨.

(7)Dozy : suppl, II, p, 412

(٨) مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٨، معالم القربة، ص ١٩٧.

في الانبات ثم يجفف ويسحق ويضاف إليه دقيق الحنطة، ثم يسكب عليها ماء في درجة الغليان، ويترك الشراب حتى يتخمر ثم يؤخذ ما يصفو من مائه بعد أن يبرد فيحلى بالسكر ويطيب بالأفاوية [١].

كما كان هناك صنف من الفقاع يصنع من دقيق القمح النقى أو الشعير ويضاف إليه كرفس ونعنع وماء الرمان ويحلى بالسكر الأبيض [٢] وكان العسل يدخل في صناعة الفقاع فى كثير من الأحيان بديلا عن السكر، ففى إحدى الوثائق البردية التى ترجع للقرن الثالث الهجرى نجد هذه العبارة " اخرج مما فى ايديك من العسل لعمل فقاع لأبى ذكر أبقاه الله " [٣].

وكان الفقاع منتشراً فى العصر الفاطمى على موائد العامة والخاصة ويبدو أنه كان يشرب بعد الفراغ من الطعام فيذكر الشاعر ظافر الحداد :

جاءنا بعد أكلنا فقاع ∴ قد أجادت احكامه الصناع [٤]

وكانت كيزان الفقاع تصنع من نوع من الطين يوجد فى جبال أسوان[٥] وكان الصناع يتأنقون فى صناعتها وحسن منظرها حتى تسر الشاربين وفى هذا المعنى يذكر ظافر الحداد :

عندنا كيزان فقاع ∴ لها حسن ومنظر
كل كوز قد تزيى ∴ وتروى وتعطر [٦]

---

(١) راجع : حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٥١.
(٢) مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٨.
(٣) أوراق البردى، ج ٥، ص ١٤٧.
(٤) راجع : ديوان ظافر الحداد، ص ٣٦٦.
(٥) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٢٦، الأدفوى، الطالع، ص ٣٣.
(٦) ديوان ظافر الحداد، ص ١٥٣.

ومن الأهمية المنتشرة فى العصر الفاطمى شراب يعرف بالجوارشى [١] كان يوضع بصفة يومية على مائدة الخليفة الفاطمى ويصنع فى دار الفطرة [٢].

وكان الخلفاء الفاطميون يتناولون الأشربة فى أوانى صنعت من مادة البازهر [٣] وقد أخرج من القصر الفاطمى أثناء الشدة العظمى مائة كأس من هذا النوع، ويمتاز هذا المعدن بتغير لونه إذا كان بالشراب شئ من السم [٤].

وكانت الأشربة المختلفة من بين الرواتب المقررة لأرباب الوظائف فى الدولة الفاطمية مثل أصناف الأطعمة الأخرى [٥].

ورغم ما كانت تقدمه الدولة لموظفيها من أصناف الطعام والشراب، فان تأنق الفاطميين فى هذا المجال وشدة اسرافهم فى البذخ قد ترك آثاره على من حولهم " حتى أن الخادم والسائس من غلمانهم ينفق فى كل يوم على طعامه العشرة دنانير والعشرين دينارا، لسعة أحوالهم " [٦].

---

(١) وهو شراب فارسى الأصل ومعناه الهاضم للطعام، وكان له أثر مفيد فى فتح الشهية للطعام وتقوية المعدة ومنفذة للسدد، ويبدو أن مصر قد عرفت هذا الشراب عن طريق العباسيين الذين كانوا يقبلون على تناول أنواع الجوارشنات على موائدهم، ويحمله هم الأطباء لفوائدة السالفة.

(راجع : صبح، ج ١٤، ص ٣٦٥، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٥١).

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) توجد معادن البازهر بالهند والصين وهو نافع من جميع السموم، والبازهر اسم فارسى من باك زهر، وباك : بمعنى النظافة وزهر : السم، فمعناه منظف السم من الجسد، ولما عرب سقطت الكاف وقيل يازهر.

(راجع : التيفاشى، أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٢٥، ابن الأكفانى، نخب الذخائر فى أحوال الجواهر، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٧٥، ٧٦).

(٤) راجع : الذخائر والتحف، ص ٢٥٤، خطط، ج ١، ص ٤١٤.

(٥) خطط، ج ١، ص ١٨٧.

(٦) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٣.



الفصل الثاني

الملابس في العصر الفاطمي

١ – ازدهار صناعة النسيج ودور الطراز.

٢ – ملابس الخلفاء.

٣ – ملابس الوزراء والأمراء والحاشية.

٤ – ملابس القضاة ورجال الدين.

٥ – ملابس النساء.

٦ – ملابس العامة.



١ - ازدهار صناعة النسيج ودور الطراز :

تمتعت مصر بشهرة واسعة في فن صناعة النسيج منذ أقدم العصور واستمرت تلك النهضة خلال العصر الإسلامي [١] وقد عبر المؤرخون والرجال الذين زاروا مصر عن تقدم صناعة النسيج ورواج تجارته فى الداخل والخارج فى العصر الفاطمى [٢]. وقد اشتهرت بعض المدن المصرية بإنتاج أنواع راقية من المنسوجات أصبحت تنسب إليها، وكانت موضع الإعجاب لجمالها وجودة صناعتها.

فكانت مدينة الإسكندرية تشتهر بإنتاج المنسوجات الكتانية الرقيقة التى يقال لها الشرب [٣] وكانت لجودتها تباع بقيمة وزنها فضة [٤].

كما اشتهرت مدينة تنيس والقرى المحيطة بها بصناعة أرقى أنواع النسيج من الشرب الرقيقة، وكانت تنتج من الخيوط الكتان نسجاً راقياً يسمى القصب[٥] كانت تصنع منه العمائم وملابس النساء [٦] " والحلل التنيسية ليس

(١) راجع : السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، ١٩٦١، ص ١٥٦، ١٧٢.

(٢) راجع على سبيل المثال : عمر بن يوسف الكندى، فضائل مصر، تحقيق ابراهيم العدوى، القاهرة، ١٩٧١، ص ٦٧، ٦٨، ابن حوقل، صورة الأرض، قسم ١، ص١٥٢، ١٥٢، ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٣٨ - ٤٠، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، الذى ينقل فصولاً عن الطعام والشراب والملابس فى مصر عن المؤرخ ابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ) ص ٦٣، ٦٧، ١٣١، ١٤٦.

(٣) راجع : Dozy : suppl, 1, P, 740.

(٤) ابن حوقل، نفسه، ص ١٥٢، خطط، ج ١، ص ١٦٣.

(٥) القصب ثياب كتان رقيقة ناعمة. (راجع : ابن سيده، المخصص، بولاق، ١٣١٦ هـ، ج ٤، ص ٦٤).

(٦) ابن ظهيرة، الفضائل، نقلا عن ابن زولاق، ص ١٣١.

في جميع الأرض ما يدانيها في القيمة والحسن.. والرقة والدقة "[١] وتبلغ قيمة الحلة المذهبة من نسيجها مائتي دينار، وما لا ذهب فيها مائة دينار[٢]. وكانت تلك الصناعة الراقية من أسباب اتجاه معظم أهالي تنيس للعمل في الحياكة وتجارة المنسوجات، فكان بها مائة وخمسين حانوتاً تباع فيها أنواع الأقمشة المختلفة[٣] واشتهرت تنيس بإنتاج أنواع من المنسوجات لم تكن تنتج في غيرها، وكانت بها مصانع خاصة بالخلفاء الفاطميين لإنتاج ما يحتاجه القصر من المنسوجات التي تستخدم في الأغراض المختلفة، فيروى ناصر خسرو أنه " ينسج بتنيس القصب الملون ولا ينسج هذا القصب في جهة ما غير تنيس[٤]، وما ينسج منه في مصانع السلطان لا يباع ولا يعطى لأحد، وبتنيس صناع مختصون بنسج ملابس السلطان.. وينسجون في مدينة تنيس هذه البوقلمون[٥] وهو قماش يتغير

---

(١) ابن حوقل، نفسه، ص ١٥٢.

(٢) خطط، ج ١، ص ١٧٧.

(٣) راجع: محمد بن احمد بن بسام، أنيس الجليس في اخبار تنيس، بغداد، ١٩٦٧، ص٣٧.

ويعطينا ابن بسام احصائية عن عدد المناسج الموجودة بتنيس وعدد عمالها في عصر الخليفة الحاكم بأمر الله فيروى أن بها من المناسج التي تعمل فيها الثياب خمسة آلاف منسج عدد عمالها عشرة آلاف سوى من يعمل بالصباغة والتلوين من الرجال والنساء، وعدد ما بها من الأسقاط التي تخزن فيها الثياب ألف وخمسمائة سفط، منها أربعمائة برسم ما يحمل إلى خزانة القصر من الثياب المذهبة التي يصل ثمن الثوب منها ألف دينار والعمامة خمسمائة دينار. (راجع : نفس المصدر والصفحة).

(٤) يؤكد هذا المعنى ابن حوقل بقوله: "وجميع ما ينسج بتنيس من الكتان".(نفسه، ص١٥٢).

(٥) يسميه ابن سيده " القلمون " ويعرفه بأنه ثوب كثير الألوان. (المخصص، ج ٤، ص ٦٨) ولكن ياقوت يذكره " البوقلمون " على أنه من المنسوجات التي تشتهر تنيس بها. (معجم البلدان، ج ١، بيروت، ١٩٥٥، ص ٤١٩) وكانت تصنع من هذا النسيج أحتار هوادج الجمال وسروج الخيل الخاصة بالخليفة. (سفرنامة، ص ٤٠).

لونه بتغير ساعات النهار وتحمل أثوابه من تنيس إلى المشرق والمغرب [١] كما اشتهرت تنيس بصناعة أصناف من المناشف الفاخرة للأبدان والأرجل [٢].

وكانت القرى المحيطة بتنيس ذات شهرة واسعة فى صناعة النسيج، مثل شطا التى تنسب إليها الملابس الشطوية الراقية [٣] ودبيق [٤] التى تشتهر بصناعة الثياب المذهبة والعمائم الشرب الملونة، والمذهبة التى تصل طول العمامة منها مائة ذراع وتبلغ قيمة ما فيها من ذهب خمسمائة دينار[٥] ودميرة وتونة [٦] التى كانت تصنع بها كسوة الكعبة الشريفة [٧].

---

(١) سفرنامة، ص ٣٨.

(٢) ابن ظهيرة، الفضائل، نقلاً عن ابن زولاق، ص ٥٣.

(٣) جروهمان، أوراق البردى، ج ٥، ص ٧١، ٧٢، خطط، ج ١، ص ٢٢٦.

(٤) اختلف الجغرافيون فى تحديد اسم هذه القرية، فيذكر البكرى أن المراكب فى طريقها إلى الشام تمر بمدينة " دبقوا " التى تصنع فيها الثياب الدبيقية. (راجع : أبو عبد الله البكرى، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب، الجزائر، ١٩١١، ص ٨٦). ويذكر ياقوت ان " ديبق " بليدة تقع بين القرما وتنيس من أعمال مصر تنسب إليها الثياب الدبيقية. (معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٤)، ولكنه عند ذكر " دبقا " يذكر نفس المعلومات السابقة، ويستطرد قائلا : " وسألت المصريين عنها قالوا : ديبق بلد قرب تنيس. (نفسه، ص ٩٣) مما يؤكد صحة اسم دبيق تلك القرية المصرية التى لا يكاد يخلو مصدر من ذكر نسيجها الدبيقى المشهور.

(٥) خطط، ج ١، ص ٢٦٦.

(٦) ابن حوقل، نفسه، ص ١٥٢، خطط، ج ١، ص ١٨١.

(٧) كانت تنيس والقرى المحيطة بها تمد مكة بالهدايا القيمة فى موسم الحج خلال العصر الفاطمى، وكانت هذه الهدايا تشمل بالإضافة إلى كسوة الكعبة على القباب الدبيقية بمراتبها والبنود وأنواع الأقمشة المختلفة وخمسين جملا بزينتها، ومائة رأس من الخيل بسروجها ولجمها.

(راجع، خطط، ج ١، ص ١٨١).

ومن المدن المصرية ذات الشهرة الكبيرة فى صناعة المنسوجات، مدينة دمياط. وكانت تختص بصناعة النسيج الأبيض الذى تبلغ قيمة الثوب منه ثلاثمائة دينار [١] وكان بها مصانع ضخمة للنسيج، والحاكة يستأجرون غرفاً بهذه المصانع لمباشرة صناعتهم[٢]، وبلغ من إتقان صناعة النسيج بها وجودته أن يبعث فى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م حلتان من إنتاجها بثلاثة آلاف دينار، ويبدى ياقوت دهشته من عظم هذا الثمن فيقول:" وهذا مما لم يسمع بمثله فى بلد " [٣]. كما اشتهر صعيد مصر بصناعة الأقمشة الراقية وكان يوجد العديد من المدن التى اشتهرت فى هذا الشأن وخاصة نسيج الصوف الذى يستخدم فى الأردية والعمائم [٤] وغيرها من الملابس.

ويبدو أن عهد الخليفة العزيز قد تميز بظهور أنواع من المنسوجات الراقية ازدهرت صناعتها فى أيامه، إذ يروى صاحب أخبار الدول المنقطعة تحت عنوان:" ذكر ما جدد فى أيام العزيز مما لم يعهد بمثله قبل ذلك : الثياب المثقل والعمائم الشرب الملونة، والدبيقى المعلم المذهب، والعمائم الشرب المذهبة طول مائة ذراع، ونسج السقلاطون [٥] بمصر ونسج العتابى [٦]

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٨٦.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٨٦، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة، ص ٦٣، ١٣٩، سيد خليفة، تاريخ المنسوجات، ص ٣٧.

(٥) السقلاطون : من الأقمشة التى اشتهرت الدولة البيزنطية بإنتاجها وكانت تصنع من الحرير وخيوط الذهب.

(٦) كان فى بغداد حى يسمى العتبية نسبة إلى عتاب بن أسيد الذى ينتهى نسبه إلى أمية بن عبد شمس، وقد أسلم يوم فتح مكة واستعمله النبى عليها بعد الفتح.

(راجع : كتاب حذف من نسب قريش، لمؤرخ بن عمرو السدوسى، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٦) ويبدو أن العتابى نسبة إليه.

بمصر " [١]. والفقرة الأخيرة توضح أن السقلاطون والعتابى وهى منسوجات ليست مصرية أدخلت صناعتها فى مصر فى عصر الخليفة العزيز.

كما أنشأ يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز " دار الديباج " بالقاهرة وكانت تلك الدار مخصصة لصناعة الحرير الديباج [٢] وقد أسند الأشراف على إدارتها إلى موظف من كبار رجال الدولة[٣].

وكانت مصانع النسيج ودور الطراز [٤] الخاصة بالدولة الفاطمية، والمنتشرة فى أنحاء البلاد وبوجه خاص فى الاسكندرية ودمياط وتنيس [٥] ترسل

---

(١) مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٢.

(٢) الحرير الديباج المقصود به الحرير المنقوش، والديباج كلمة فارسية الأصل تعنى النقش أو التزيين.

(راجع : ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٧٦، الجواليقى، المعرب، ص ١٨٨، ١٩٢).

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.

(٤) الطراز كلمة فارسية الأصل بمعنى التطرز، أو الثوب الموشى بأشرطة من الكتابة، وأخيراً أصبحت تطلق على المصنع الذى تطرز فيه تلك الأشرطة. وكان من عادة ملوك الفرس قبل الإسلام تزيين ملابسهم بالصور وبأشكال مميزة حتى لا يقلد ملابس الملوك عامة الناس وأحياناً كانوا يخصون المقربين من حاشيتهم وموظفى دولتهم ببعض هذه الملابس، وقد عرف المسلمين عنهم هذه العادة ولكنهم اعتاضوا عن الصور والرسوم بكتابة أسماء خلفائهم مصحوبة بصيغة خاصة من الدعاء أو المدح، وكانت هذه الكتابة تنسج أحياناً فى لحمة الثوب وسداه أو تطرز بعد نسجه بخيوط من الذهب أو الفضة أو الحرير الذى يختلف فى لونه عن لون الثوب المطرزة عليه، وقد اهتم الخلفاء الفاطميون بتسجيل أسمائهم على قطع النسيج الثمينة، وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة أمثلة عديدة من المنسوجات التى تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين. وتدل الآثار على وجود نوعين من دور الطراز: طراز الخاصة، وطراز العامة. ومن المحتمل أن طراز الخاصة كان ينسج ملابس الخلفاء وكبار رجال الدولة وطراز العامة مختص بنسج ثياب من هم دون ذلك الرتبة.

(راجع : الجواليقى، المعرب، ص ٢٧١، ٢٧٢، محمد عبد العزيز مرزوق، الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية، القاهرة، ١٩٤٢، ص ٢١، ٢٢، ٢٥، زكى=

ـتجوي إلى القصر الفاطمي لتحفظ في خزائن الكسوة، وكان يشرف على يد هذه المنسوجات موظف كبير فلا تسند إلا إلى أحد " أعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف [١] يطلق عليه " ناظر الطراز " وكان يعمل تحت إمرته مائة رجل لمساعدته في إدارة دور الطراز والمناسج الخاصة بالخليفة وعندما يصل ناظر الطراز إلى القاهرة حاملا ملابس الخليفة الخاصة، كان يعد له استقبال حافل، وتمنح له دابة من دواب الخليفة لركوبه، ويقيم في منظرة الغزالة [٢] وتجرى عليه الضيافة كأنه أحد السفراء الواردين على الدولة [٣].

وكان بالقصر الفاطمي خزانتان للكسوة : الخزانة الظاهرة أو الخزانة العامة وكان يشرف عليها موظف من كبار رجال الحاشية، وكانت الخزانة مقراً للخياطين الذين يقومون بحياكة الثياب واعدادها حسب ما يصدر إليهم من تعليمات، ويرأس هؤلاء الخياطين صاحب المقص وهو " مقدم الخياطين " [٤].

والخزانة الباطنة أو الخزانة العالية الخاصة [٥]، وكانت تنقل إليها الملابس التي تخص الخليفة مما صنع في الخزانة الظاهرة، وتشرف على تلك الخزانة امرأة تلقب دائما " زين الخزان " يساعدها ثلاثون جارية ولا يرتدى الخليفة ثيابه إلا

=حسن، كنوز الفاطميين، ص ١١٤، دليل متحف الفن الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٢٧، الفن الإسلامي، ص ٣٣٦، ٣٥٥).

(٥) صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، خطط، ج ١، ص ٤١٣.

(١) خطط، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) منظرة الغزالة من جملة مناظر الفاطميين على شاطئ الخليج، وكان يقطنها الأمير أبو القاسم بن المستنصر، ثم أصبحت مخصصة لاقامة ناظر الطراز عند قدومه إلى القاهرة. (خطط، ج ١، ص ٤٦٩).

(٣) المقريزى، نفسه.

(٤) صبح، ج ١٠، ص ٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٢.

(٥) صبح، نفسه.

في هذه الخزانة وليس عند أحد من زوجاته أو جواريه ثياب له، وكانت تجلب لتلك الخزانة يومياً الزهور العطرة لتوضع في صناديق الثياب لتكسبها رائحة(١) قبل ارتداء الخليفة لها.

وكانت خزانة الكسوة العامة تخزن فيها الملابس بعد إعدادها حتى يأتي موعد توزيعها على موظفي الدولة، فيروى المقريزى أن الفاطميين " كانوا يخرجون من خزائن الكسوة إلى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير، كسوات الصيف والشتاء من العمامة إلى السراويل، وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس " (٢).

وكانت تلك الملابس تختلف في مكوناتها وقيمتها تبعاً لوظيفة الشخص الممنوحة له ومكانته الاجتماعية، فالملابس غالباً ما تعبر عن الوضع الاجتماعي لمرتديها فهي ذات طابع طبقي في كل مكان وزمان، وللأسف فإن المصادر التي بين أيدينا – رغم وفرتها – قد أسهبت في ذكر تفاصيل ملابس الخاصة من الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، ولكنها أغفلت ذكر ملابس العامة إلا بعض الإشارات المتفرقة التي لا تعطي صورة واضحة عن ملابس هذه الطبقة وسنحاول إعطاء صورة عن الملابس التي تميزت بها فئات المجتمع المختلفة في العصر الفاطمي.

---

(١) صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، خطط، نفسه.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٠٩، وبلغت عدد قطع الملابس التي وزعت على موظفي الدولة في كسوة الشتاء سنة ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وخمس قطع، وكانت الكسوة توضع في شدة أو ربطة تحمل اسم صاحبها ومعها رقعة من ديوان الإنشاء موجهة إلى صاحب الكسوة تبين فضائل الدولة الفاطمية على رجالها، وإنعامها عليهم، وحقها في إخلاصهم وطاعتهم. (راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١٢).

٣ - ملابس الخلفاء :

اتخذ الفاطميون اللون الأبيض شعاراً لدولتهم، وألقوا اللون الأسود شعار الدولة العباسية[1] من جميع مظاهر الحياة الرسمية، فما كاد جوهر الصقلي يستولى على مقاليد الأمور في مصر حتى أصدر أوامره بمنع الخطبة لبني العباس، وألبس الخطباء البياض إعلاناً عن قيام الدولة الفاطمية [2] " وأزال من مصر السواد " [3] وقد تشدد جوهر في هذا الأمر، فيروى المقريزى في حوادث ٣٦٢هـ/٩٧٢م أن عبد الله بن طاهر الحسيني دخل على جوهر في مجلسه وبرفقته القضاه والعلماء والشهود، وكان يرتدى طيلساناً [4] كحلياً، فاستاء جوهر من لبسه هذا اللون، ومد يده فشق الطيلسان، فغضب ابن طاهر وتكلم محتجاً، فأمر جوهر غلمانه بتمزيق الطيلسان وهو يضحك، ثم أمر بإحضار عمامة خضراء ورداء أخضر وقام بنفسه وألبس ابن طاهر وعممه [5]. وكان اللون الأخضر من الألوان المحببة لدى

---

(١) كان العباسيون يتخذون اللون الأسود شعارا لدولتهم، ويروى القلقشندى أن سبب ذلك أن النبى (صلعم) عقد لعمه العباسي يوم حنين يوم الفتح راية سوداء، ورواية أخرى تذكر أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية عندما قتل إبراهيم بن محمد العباسي، أول مطالب بالخلافة من بنى العباس، حزن عليه العباسيون ولبسوا السواد، فلزمهم ذلك وصار شعاراً لهم. (راجع : صبح، ج ٣، ص ٢٧١).

(٢) راجع : ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ١٢٠، السيوطى، تاريخ الخلفاء، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٤٠٢.

(٣) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ١١٩، نقلا عن ابن زولاق.

(٤) الطيلسان : ثوب يلبس على الكتف مثل الطرحة، وغالباً ما يكون خال من التفصيل والخياطة، ويذكر ابن جبير أن الطيلسان هو الذى يسمى في المغرب الإحرام.
(راجع : ابن جبير، الرحلة، بيروت، ١٩٦٤، ص ٢٤، ٢٥، الجواليقى، المعرب، ص٢٧٥، هامش (١) صبح، ج ١، ص ٤٢٨، Dozy : vet, P, 278).

(٥) اتعاظ، ج ١، ص ١٣٢.

الفاطميين. وتروى المصادر التاريخية أن الخليفة المعز عندما حضر إلى مصر ظهر أمام الناس وقد ارتدى الحرير الأخضر[(١)].

ومن الجدير بالملاحظة أن اللون الأسود لم يكن منبوذاً تماماً لدى الفاطميين، بل كان الخلفاء يستعملونه فى ملابسهم وفرشهم [(٢)] وهناك من الدلائل على أن لبس السواد في الدولة الفاطمية كان يعبر عن الخوف على الدولة والتحفز للدفاع عنها [(٣)] وكأن المقصود بذلك التحذير من عواقب الكارثة التى قد تؤدى إلى عودة سيطرة الدولة العباسية.

---

(١) العينى، عقد الجمان، ج ١٩، ورقة ٢٦٧، أبو المحاسن، النجوم، ج ٤، ص ٧٤.

(٢) من أمثلة ذلك نسيج من الكتان الأسود موجود فى متحف الفن الإسلامى يزينه شريطان من الكتابة الكوفية ومسجل عليه اسم الخليفة الحاكم بأمر الله.
(راجع : الفن الإسلامى، ص ٢٣٦)، فقد عرف عن الحاكم لبسه الملابس السوداء.
(راجع : تاريخ الأنطاكى، ص ٣٠٥)، كما يروى المقريزى أن الخليفة الظاهر كان يرتدى فى مواكبه عمامة شرب وثوب دبيقى وكلاهما مدير بسواد.
(راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ١٣٧).

(٣) لعل ذلك يفسر ارتداء منجوتكين والى دمشق فى عهد الخليفة الحاكم بالسواد عندما أرسل له برجوان كتاباً يخبره فيه بالخطر الذى يتعرض له الخليفة نتيجة سيطرة ابن عمار على شئون الدولة، فسارع منجوتكين إلى المسجد الجامع فى دمشق مرتديا السواد، وجمع قواده وكبار رجال الولاية وخطب فيهم يحثهم على طاعة الخليفة الحاكم والذود عنه، " وبكى وخرق ثيابه السود ".
(راجع : ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤ - ٤٦، النويرى، مخطوط نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٠، ٥١. وعندما قتل الخليفة الظافر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م واضطربت الأمور فى القاهرة، واستنجد بأهل القصر بالصالح طلائع بن رزيك والى الصعيد، الذى أقبل إلى القاهرة حاملاً أعلاماً سوداء ويرتدى ملابس سوداء للقضاء على الفتنة ورغم نجاحه فى مهمته إلا أن ذلك أعتبر فال سيئ، فيروى المقريزى تعليقا على هذا الحدث " فإن الأعلام العباسية السود دخلت القاهرة وأزالت الأعلام العلوية البيض بعد خمس عشرة سنة".
(راجع : ابن الأثير، الكامل، ج ١١، ص ٧٢، ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص٣٩٥، ٣٩٦، صبح، ج ٣، ص ٢٧١، اتعاظ، ج ٣، ص ٢١٧).

وكانت ملابس الخليفة الفاطمي تختلف باختلاف المناسبة التي يرتديها فيها، كما كانت ملابسه في المواكب الرسمية تغاير ما يرتديه داخل القصر وطبقا للمعلومات التي أوردها المقريزى، عن ملابس الخليفة في موكب عيد الفطر يمكن تحديد زيه على الوجه التالي : لباس الرأس وهى العمامة وكانت تتكون من ثلاثة قطع " شاشية طميم"[1] ومنديل بعمود ذهب [2] وبطانة

---

(١) الشاشية ما يلبس على الرأس من قماش الشاش المعروف، وتوضع قبل لف العمامة وقد تلبس على الرأس بدون عمامة أو ما يدار حول العمامة، وطميم بمعنى رقيق (المحيط).

(راجع : Dozy : vet, P, 240، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٢).

(٢) المقصود بالمنديل هنا قماش العمامة التي تلف حول الرأس. (راجع: اتعاظ، ج٣، ص٢٤٨). والعمود الذهب آلة توضع عليها العمامة بعد ربطها كعلاقة بعد تعميم المنديل فوق الشاشية.

(راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٣٠).

ويوضح المقريزى ذلك في ذكره لما يمتلكه أحد رجال الدولة الفاطمية من ملابس، فيقول أنه كان يملك ثلثمائة وستون بدلة مذهبة، فكان يلبس كل يوم بدلة " وكل منديل، وهى العمامة، على مسمار فضة ".

(اتعاظ، ج ٣، ص ١٤٨).

وهذا يناقض التفسير الذى ذكره الدكتور محمد حلمى محقق كتاب اتعاظ الحنفا (الجزء الثاني والثالث) عند ذكر خلعة أحد الأمراء الفاطميين التي تحتوى على " بدلة طميم منديلها مائة ذراع " ففسر المنديل هنا بأنه " يجعل في المنطقة المشدودة في الوسط بمعنى الحزام ".

(راجع : اتعاظ، ج ٣، ص ١٠١، وهامش (٢) من نفس الصفحة).

ولكن المقصود بالبدلة ومنديلها : العمامة التي تلبس معها. (راجع : نفسه، ص١٠٢).

فالمعروف أن هذا التصنيف من المناديل كانت تشتهر بصناعته مدينة دبيق التي تنتج العمائم الشرب المذهبة ويبلغ طولها مائة ذراع. (راجع : خطط، ج ١، ص ٢٢٦).=

للمنديل " (١). وكانت عمامة الخليفة غالية الثمن، ويروى ناصر خسرو أن أحد صناع تنيس قد صنع عمامة للخليفة المستنصر بلغت قيمتها أربعة آلاف دينار غير ما تحويه من الجواهر (٢).

= وكان المنديل يستخدم أيضاً لأغراض مسح اليد والوجه وهى نفس الأغراض التى يستخدم فيها حالياً، ويوجد بالمتحف الإسلامى منديل مربع طول ضلعه ٤٠ سم من نسيج الكتان الرقيق بزخارف على شكل أشرطة من حرير، وعليه اسم الخليفة الفاطمى العزيز با لله.

(راجع : الفن الإسلامى، ص ٣٣٥، قارن، ابن سعيد، المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، ص ١٨٥).

كما يروى صاحب الذخائر والتحف أن من بين التحف التى أخرجت من القصر الفاطمى فى الشدة العظمى " قطعة منديل من نسيج زغب ريش سمندل، وهو طائر معروف ينسج من زغب ريشة مناديل للفم لا تحترق بالنار ". (راجع : الذخائر والتحف، ص ٢٥٩).

ونجد هذا المعنى فى عبارة " منديل سلام " التى وردت بين ملابس الخليفة الفاطمى فى موكب فتح الخليج، والمعروف أن الخليفة كان يشير بمنديله للقاضى ردا على تحيته له فى هذه المناسبة.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٧١، ٤٧٤، وراجع التفاصيل فى موسم الاحتفال بفتح الخليج فى الفصل الخاص بالأعياد المصرية).

كما أن المنديل كان يعنى أحياناً اللفة التى توضع داخلها الملابس فى العصر الفاطمى.

(١)(راجع : اتعاظ، ج ٢، ص ٩، ج ٣، ص ٦٥، راجع أيضاً : Dozy : vet, P, 414, suppl, 2, P, 653).

(١) خطط، ج ١، ص ٤١٠.

(٢) سفرنامة، ص ٣٨.

وكان يطلق على عمامة الخليفة " منديل الجوهر " [١] لكثرة ما تحويه من الجواهر الثمينة، كما كانت تسمى " شدة الوقار " أو " التاج الشريف " [٢] وكان يرتدى الخليفة هذه العمامة فى المواكب العظام ويقوم بشدها وإعدادها موظف كبير من خواص الخليفة من طبقة " الأستاذين المحنكين " قد تمرس على هذا العمل، فكان يرصع العمامة بالجواهر على هيئة هلال من الياقوت الأحمر وفى الوسط جوهرة لا تقدر بثمن تعرف باليتيمة تكون فوق جبين الخليفة عند لبس العمامة[٣]. وكان الخليفة يضع على رأسه أحياناً الكلوته [٤] المرصعة بالجوهر التى كانت تلبس بمفردها أو مع العمامة، وتقدر قيمتها بمائة وثلاثين ألف دينار [٥].

أما باقى ملابس الخليفة فكانت تتكون من ثوب حريرى مزين بالرسوم المذهبة مفصل على قدر جسده، يليه ثوب آخر من الحرير الديبقى وسطانى

---

(١) تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٣٢.

(٢) صبح، ج ٣، ص ٣٢.

(٣) راجع : صبح، نفسه، ص ٤٦٨، ٤٨٠، أبو المحاسن، النجوم، ج ٤، ص ٨٤.

(٤) يصفها دوزى بأنها طاقية يلبسها علية القوم وجمعها كلاوات وكلوتات.

(راجع : Dozy : vet, P, 387).

ويذكر المقريزى الكلوتات من بين الملابس التى يرتديها البحارة وتمنح لهم من الدولة فى العصر الفاطمى.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٧٢).

ولا شك أنها نوع من الطواقى كما ذكر دوزى وأن كلوته الخليفة كانت على درجة عالية من الصنعة والقيمة غير التى يرتديها البحارة وغيرهم من الطبقة الوسطى.

(راجع أيضا : ديوان تميم، ص ٣٥٣).

(٥) الذخائر والتحف. ص ٢٥٨. اتعاظ، ج ٢، ص ٢٩٠).

وبعدها قميص حرير [١] بالإضافة إلى سروال " حجرة " [٢] له حزام مطرز بالذهب [٣] ولا شك أنه كان يرتدى في قدمه حذاء من صنف ولكن لم يذكره المقريزى هنا، ولكنه ذكر في كتابه اتعاظ الحنفا أن الخليفة العزيز خرج في

---

(١) كان القميص يلبس في ذلك الوقت فوق السروال وليس تحته كما هو معروف، ويصل في الطول حتى منتصف الساقين، وله كمان واسعان يصلان إلى المعصم.

(راجع : Dozy : vet, PP, 387، أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤).

(٢) يرى الدكتور عبد المنعم ماجد أن كلمة " حجرة " التى أوردها المقريزى بين ملابس الخليفة وغيره من موظفى الدولة الفاطمية لا تعنى شيئاً، ويقترح أنها " حجرة " بمعنى حزام.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠ – ٤١٣، حيث تكررت كلمة " حجرة " وقارن: ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٢).

ولكن صاحب لسان العرب يذكر " الحجر بالفتح والكسر للحاء : الثوب. سحر الانسان وحجره : ما بين يديه من ثوب. (راجع : مادة حجر) والمقصود بكلمة حجرة في نص المقريزى السروال، ويؤكد هذا المعنى ما أورده المؤرخون عن تركة برجوان التى كانت تحتوى على " ألف سروال دبيقى بألف تكسة حرير ".

(راجع : ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٢٨، ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٨٨، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٥٢).

ولكن صاحب أخبار الدول المنقطعة يذكر أن تركة برجوان " اشتملت على ألف حجرة جديدة ما لبست، وفى كل حجرة تكة جديدة قيمتها وحدها ثلاثة دنانير ".

(راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤).

وهكذا وضع النص كلمة حجرة مكان كلمة سروال، والمعروف أن كلمة تكة أو دكة كما يسميها العامة رباط السراويل. (راجع : Dozy : vet, PP, 99, P, 203).

بما يوضح أن كلمة حجرة تعنى السروال.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤١٠، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٢.

موكب صلاة الجمعة وعليه طيلسان وفي رجله حذاء [١] وإن كنا لا نملك تفاصيل هيئته ومادة صناعته[٢].

وكانت تلك الملابس لا تختلف كثيراً عما يرتديه الخليفة في المواكب الأخرى إلا في عدد القطع التي تتكون منها أو الألوان التي تميزها. فكان الخليفة يرتدي عند خروجه لصلاة الجمعة في شهر رمضان الثياب الحريرية البيضاء غير المذهبة توقيراً للصلاة، والعمامة والطيلسان المقور [٣] أما رداءه في عيد الأضحى فكان يغلب عليه اللون الأحمر [٤] ولعل هذا اللون تمييزاً لهذه المناسبة التي تذبح فيها الضحايا، وكان الخليفة يقوم بنفسه بنحر الذبائح [٥].

---

(١) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) ومن المحتمل أن الخلفاء كانوا يرتدون الحذاء العربي المكشوف الذي يحفظ في الرجل بواسطة زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها، فيروى المقريزي أن الخليفة الحاكم كان يرتدي في ركوبه " حذاء عربي بقبالين ".

(اتعاظ، ج ٢، ص ١٠١).

وقبال النعل : زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها (القاموس المحيط).

(٣) انظر : صبح، ج ٣، ص ٥٠٦، اتعاظ، ج ٢، ص ١٥٩).

والطيلسان المقور نوع من الطيالس كانت تخيط وتعمل بها فتحة تسع الرقة وتسدل على الأكتاف فالمقصود بالقوارة ما قورت من الثوب، أى قطعت بقصد التفصيل.

(راجع : المخصص، ج ٤، ص ٦٨، ٧٩، ٨٧، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٢، Dozy : vet, P, 218).

ويذكر المقريزي هذا الضرب من الطيالسة من بين خلع الوزراء في العصر الفاطمي ويعرفه بقوله :" الطيلسان المقور الذي يسمى الطرحة ".

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤٤، قارن : ابن حجر، رفع الاصر، ص ١٣٢).

(٤) صبح، ج ٣، ص ٥١١.

(٥) راجع : التفاصيل في فصل الأعياد الدينية موضوع " عيد الأضحى ".

وكان الخليفة الفاطمى يرتدى فى موسم فتح الخليج ثوبا يسمى البدنة [١] يصنع للخليفة فى مناسج تنيس ولا يدخل فيه من الغزل غير أوقيتين وينسج باقيه من الذهب بصناعة محكمة لا يحتاج بعدها إلى تفصيل وخياطة وتبلغ قيمته عشرة آلاف دينار [٢].

وكان الخليفة يخرج فى المواكب المختصرة والتى غالباً ما تكون بهدف النزهة، مرتدياً ثياباً أقل تعقيداً من التى يرتديها فى المواكب الرسمية، فكان فى تلك الحالة يرتدى الملابس المذهبة البيضاء، وعلى رأسه عمامة قد أرخى نهايتها

---

(١) يبدو أن البدنة قد أخذت اسمها من أنها تغطى البدن وتكون فوق الملابس مثل العباءة، فقد وصفها ناصر خسرو كما رآها على الخليفة المستنصر بأنها فضفاضة كالتى تلبس فى بلاد المغرب.

(راجع : سفرنامة، ص ٥٤).

ويروى القلقشندى أن ولاة الأقاليم فى عهد الدولة الفاطمية كان يخلع علبهم عند التعيين "من خزانة الكسوة بالبدنة وهو النوع الذى يلبسه الخليفة فى يوم فتح الخليج".

(صبح، ج ٣، ص ٤٩٤).

ومن المستبعد أن تكون البدنة التى تخلع على والى الاقليم قيمتها عشرة آلاف دينار مثل بدنة الخليفة.

(سفرنامة، ص ٥٤، خطط، ج ١، ص ١٧٧).

ومن المحتمل أن القلقشندى قارن بين بدنة الخليفة والوالى لمجرد ورود البدنة كلباس للخليفة فى موسم فتح الخليج، ومن المعتقد أنها أقل قيمة بكثير ولعلها تختلف عنها فى الشكل فالبدنة كانت لباساً شعبياً فى القرن الرابع الهجرى ويصفها دوزى بأنها صديرى قصير بغير أكمام يصنع من الكتان أو الحرير.

(راجع : أوراق البردى، ج ٥، ص ١٥٤، Dozy : suppl, 1, P, 58, vet, P, 57).

(٢) راجع : سفرنامة، ص ٥٤، خطط، ج ١، ص ١٧٧، ٤٧١.

وتركها تتدلى من جانبها الأيسر [١] أما ملابس الصيد فكانت تتكون من ثوب أحمر مذهب، وعلى رأسه عمامة من نفس اللون [٢] ومن الملاحظ أن هذا اللون تعبيراً عن ما في الصيد من قنص وذبح للحيوانات وهو نفس المعنى الذى سبق ذكره عند ارتداء الخليفة اللون الأحمر في عيد الأضحى.

ولم تكن الملابس التى يرتديها الخلفاء ذات تقاليد جامدة لا يمكن تغييرها فالمعروف عن الخليفة الحاكم أنه كان زاهدا في كل مظاهر الحياة، وكان يلبس الصوف على ظاهر جسده رغم خشونته، وكان يرتدى اللون الأسود ويكثر من الخروج مكتفياً في ملابسه بالدراعة [٣] والعمامة وفى رجله حذاء عربى بقبالين [٤] وفى موكب عيد الفطر سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م لم يرتد الخليفة الحاكم الملابس التى اعتاد الخلفاء ارتدائها في هذه المناسبة، بل اكتفى بثوب من اللون الأصفر وعلى رأسه عمامة تحنك بطرفها، وليس عليه من شارات الملك إلا تاج الجوهر [٥].

وكان الخليفة يرتدى داخل القصر ملابس بسيطة تختلف عن تلك التى يظهر بها أمام الناس في المواكب والمناسبات تعرف بالملابس الدارية [٦] تتميز بقصر أكمامها وقلة اتساعها [٧] وكان يكتفى بلبس الثوب والعمامة [٨]، ومن

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٨٤.
(٢) اتعاظ، ج ٢، ص ١٣٦.
(٣) الدراعة نوع من الثياب تشبه الجبة مشقوقة من الأمام وغالباً ما تكون من الصوف (لسان العرب).
(٤) تاريخ الأنطاكى، ص ٢٠٥، اتعاظ، ج ٢، ص ١٠١.
(٥) اتعاظ، ج ٢، ص ٥٨.
(٦) خطط، ج ١، ص ٤١٣.
(٧) صبح، ج ٣، ص ٥١٨، خطط، نفسه.
(٨) اتعاظ، ج ٢، ص ١٤٤.

الجائز أن ينتقل الخليفة بهذه الملابس بين القصرين وفي هذه الحالة كان لابد من أن تصاحبه المظلة التي غالباً ما تكون من نفس لون الملابس التي يرتديها [١].

وكان الخليفة العزيز يتخفف من معظم ملابسه داخل القصر ويكتفى بارتداء الخفتان [٢] وحول وسطه الحزام [٣]، وكانت الملابس التى يرتديها الخليفة مقدسة وتعد من الهدايا النفيسة التي لا تهدى إلا فى المناسبات المهمة وإلى الشخصات الكبيرة، ومن أمثلة ذلك ما رواه ابن خلكان أن جوهر الصقلى عند خروجه على رأس جيوش المسلمين لفتح مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م، كان الخليفة المعز فى وداعه وبعد عودته إلى القصر بعث له " ملبوسه وكل ما كان عليه سوى خاتمه وسراويله " [٤] وكانت ملابسه تهدى أيضاً إلى أتباع الدولة والموالين لها اعترافاً بفضلهم وتكريماً لهم[٥].

---

(١) اتعاظ، نفسه، ص ١٥٠.

(٢) الخفتان أو القفطان ثوب يشبه الجبة مفتوح من الأمام ومزين بأزرار حول الصدر بأكمام قصيرة تمتد حتى الكوع، ويبلغ طوله حتى منتصف الساق وأحياناً أقل انخفاضا وإن كان لا يقصر عن الركبة، وكان الأثرياء يرتدون الخفتان مصنوعا من الحرير أو القطيفة.

(راجع : Dozy : vet, PP, 162 - 168).

ونلاحظ أن القفطان كان من الملابس الشعبية فى العصر الفاطمي وقبله وكان موضع اقبال من الناس ورغم أننا لا نملك تفاصيل هيئته إلا أنه كان يصنع من الحرير بوجه خاص، وقد تكرر ذكره فى قوائم بعض بائعى الأقمشة فى أوراق البردى العربية.

(راجع : أوراق البردى، ج ٦، ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١٠٠).

(٣) اتعاظ، ج ١، ص ٢٩٣.

(٤) وفيات، ج ١، ص ١١٩.

(٥) راجع هدية الآمر إلى حرة اليمن، اتعاظ، ج ٣، ص ١٠٣.

٣ - ملابس الوزراء والأمراء والحاشية :

اعتاد الخلفاء الفاطميون أن يخلعوا على وزرائهم عند التعيين في منصب الوزارة وبمناسبة الأعياد والمراكب [١] وكانت هذه الخلع تتفق وثراء الدولة الفاطمية وحبها للبذخ والفخامة في رسومها، فكانت خلعه الوزير بمناسبة موكب عيد القطر بدلة خاصة مذهبة " موكبية " بالإضافة إلى ما كان يمنح لزوجاته وأولاده [٢] وكانت تلك الملابس الموكبية تبلغ عدد قطعها إحدى عشر قطعة مثل بدلة الخليفة [٣] وكان من أعظم مظاهر التكريم أن يخلع الخليفة على وزيره " ملابس جسده الطاهر " [٤] فعند عودة الخليفة من موكب صلاة عيد الفطر إلى القصر، ينزع عنه " الثياب العيدية ويلبس سواها من خزائن الكسوات. " [٥] ثم تمنح هذه الملابس للوزير تشريفاً له في هذه المناسبة [٦] وكان يحدث نفس الشئ في عيد الأضحى [٧].

وكانت ملابس الوزراء في العصر الفاطمي الأول تتميز بالعمامة الكبيرة المكونة من عدة طبقات وينتهي طرفها ليدور حول الحنك، مع إرخاء ذؤابة

---

(١) انظر على سبيل المثال : النويرى، نهاية الارب، ج ٢٦، لوحة ٧٠، المقريـزى، اتعاظ، ج ٢، ص ٥، ٢٩، ابن حجر، رفع الإصر، ص ١٩٤.

(٢) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٣، خطط، ج ١؛ ص ٤١١.

(٣) راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤٤٠، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٩.

(٤) ابن الصيرفي، الإشارة، ص ٥٩.

(٥) خطط، ج ١، ص ٣٨٨ نقلاً عن المسبحي.

(٦) نفسه، ص ٤٥٥.

(٧) صبح، ج ٣، ص ٥١١، راجع التفاصيل في فصل الأعياد الدينية عند الحديث عن عيدى الفطر والأضحى.

العمامة على الظهر تمييزاً للوزير عن سائر أرباب السيوف والأقلام (١) وكان إرخاء طرف العمامة على الظهر يعد تكريماً لصاحبها، ولا يسمح لأى شخص أن يفعل ذلك وخاصة فى المواكب الرسمية غير الخليفة والوزير (٢).

وكان الزى المميز للوزراء هى الدراعة أو الجبة (٣) وهى رداء قصير لا يصل إلى الركبتين مشقوقة من الرقبة إلى أسفل الصدر، وكانت تزين بعرى وأزرار غالباً ما تصنع من الأحجار الكريمة، وكانت هذه الملابس هى " علامة الوزارة " للوزراء من أصحاب الاقلام (٤).

أما فى العصر الفاطمى الثانى عندما أصبح الوزراء من أرباب السيوف، فكان يضاف إلى الزى السابق الطيلسان، وهو الزى المميز للقضاة لأن الوزير أصبح يجمع بين وظيفتى الوزارة والقضاء، كما أنه " إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام " (٥).

فعندما تولى بدر الجمالى الوزارة (٤٦٦ هـ - ٤٨٧ هـ / ٩٧٦ - ٩٩٧م) فوض إليه الخليفة المستنصر أمر القضاة والدعاة، وصار من اختصاصه

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) نفسه، ص ٤٧٣.

(٣) ذكر بعض المؤرخين عند وصفهم لخلع الوزراء الجبة بدل الدراعة وهما يحملان نفس المعنى تقريباً.

(راجع : ابو شامة، الرؤضتين، ج ١، قسم ٢، ص ٤٣٩، السيوطى، حسن، ج ٢، ص ٢٠، ٢١، قارن : اتعاظ، ج ٣، ص ٣٠٨).

والمعتقد أن الجبة التى كان يرتديها الفقهاء أطول من الدراعة.

(راجع : Dozy : vet, P, 170).

(٤) راجع : اتعاظ، ج ٣، ص ٤٨٥، ٤٨٦، خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

تعيين القاضي والداعي على أن يكون كل منهما نائبا عنه، وأضيف إلى ملابسه الطيلسان المقور أو الطرحة على حد تعبير ابن حجر [١] فكان الطيلسان في العصر الفاطمي الثاني هو الإضافة الجديدة التي ميزت وزراء هذا العصر عن وزراء القلم بعد أن أضيف إليهم مهام جديدة ويحدد ذلك النويرى بقوله " وخلع المستنصر با لله على بدر الجمالى بالطيلسان، وصار أمر المستخدمين في حكمه والدعاة والقضاة نوابه " [٢].وبعد أن تخلص الخليفة الآمر من سيطرة الوزير الأفضل بن بدر الجمالى بقتله سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ م أى أن يحد من سلطة وزيره الجديد المأمون ابن البطائحى، فلم يخلع عليه بالطيلسان [٣] ولم يأت ذكر الطيلسان بعد ذلك في خلع الوزراء حتى وزارة الصالح طلائع بن رزيك، فيروى المقريزى في معرض حديثه عن ملابس الوزراء قوله " ولما قام الأفضل بن أمير الجيوش خلع أيضاً عليه بالسيف والطيلسان المقور، وبعد الأفضل لم يخلع عليه أحد من الوزراء كذلك إلى أن قدم طلائع بن رزيك وجعل في خلعته السيف والطيلسان المقور " [٤].

وقد استمرت ملابس الوزراء على تلك الصورة حتى نهاية عصر الدولة الفاطمية [٥] أما كبار رجال الدولة من الأمراء فكانت ملابسهم تتسم بالفخامة

---

(١) راجع : ابن حجر، رفع الاصر، ص ١٣٢، قارن : الإشارة : ص ٥٦، خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) نهاية الأرب، ج ٢٦، لوحة ٣٠.

(٣) الإشارة، ص ٦٣.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٥) راجع تفاصيل خلعة صلاح الدين الأيوبى آخر وزراء الدولة الفاطمية عندما ولى الوزارة للخليفة العاضد سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م في : ابو شامة، نفسه، ص ٤٣٩، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٠٨.

وتوحى بالتأنق والثراء، وكانت ملابسهم تتكون من بدلة مذهبة وعمائمهم من القصب المطرز بالذهب وتبلغ قيمتها خمسمائة دينار، وكان أكابر الأمراء من القواد يتميزون بالطوق الذهب الذى يوضع حول أعناقهم، وهؤلاء يعرفون بالأمراء المطوقين (١) وكان وزير القلم فى العصر الفاطمى الأول يشاركهم فى لبس هذا الطوق، ثم صار فى العصر الفاطمى الثانى يتميز عنهم بلبس عقد الجوهر عوضاً عن الطوق (٢) وكانت قيمة هذا العقد خمسة آلاف دينار (٣).

وكانت تختلف الملابس التى يرتديها باقى موظفى القصر وأرباب الرتب فى الدولة ما بين بدلة مذهبة " وبدلة حريرى، وكانت عدد القطع المكونة للبدلة تختلف من شخص لآخر حسب مكانته فى الحاشية أو أهمية وظيفته، ولكنها غالباً تشتمل على الأجزاء الأساسية للملابس فى هذا العصر وهى القميص والسروال (٤) فكانت مكونات أقل كسوة فى الدولة الفاطمية لا تقل عن قطعتين (٥).

وكانت طبقة الحاشية والخدم فى القصر يتميز منها الأستاذون المحنكون وكانوا يرتدون البدل المذهبة ويلقون عمائمهم حول أحناكهم، أما غير المحنكين منهم فكانوا يرتدون البدل الحريرية (٦).

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢) نفسه، قارن : ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٨.

(٣) اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٣.

(٤) كانت القمصان والسراويل هى الملابس التقليدية للرجال والنساء فى مصر قبل العصر الفاطمى وخلاله، وكانت تصنع من الكتان والقطن والحرير المخلوط وأحياناً من الجلد.
(راجع : أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٩).

(٥) راجع : خطط، ج ١، ص ٤١١.

(٦) راجع : صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، نفسه.

أما عن ملابس طوائف العسكر في الدولة الفاطمية فمعلوماتنا عنها نادرة وإن كان المقريزى يذكر أن الفرسان والمشاة كانت تخرج فى المواكب على أحسن وجه من التجمل وكمال الزى [١] وكان صبيان الركاب الذين يحيطون بالخليفة في المواكب لحراسته ويبلغ عددهم أكثر من ألف رجل تتميز ملابسهم بالعمائم الكبيرة ويشدون أوساطهم بالأحزمة وهم يشهرون الأسلحة فى ايديهم[٢] ويروى ناصر خسرو، أنه كان يسير أمام الخليفة المستنصر في موكب فتح الخليج ثلاثمائة راجل من الديلم " عليهم ثياب رومية مذهبة، وقد حزموا خسورهم، وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر " [٣].

وكان رؤساء السفن يرتدون الشقق [٤] الدمياطي والعمائم الحريرية والنواتية يرتدون الشقق الاسكندراني والطواقى (الكلوتات) على رءوسهم[٥].

٤ – ملابس القضاة ورجال الدين :

كان للفقهاء ورجال الدين في الدولة الفاطمية ملابس تميزهم عن غيرهم من فئات المجتمع[٦] وأهم ملابسهم " العمامة " وكان الاحتفاظ بها على الرأس مظهراً اجتماعياً يضفى على لابسها الاحترام والتقدير [٧] وكان حجم العمامة

---

(١) خطط، ج ١، ص ٤٤٦.

(٢) خطط، ج ١، ص ٤٤٩، النجوم، ج ٤، ص ٨٩، انظر لوحة (١٠) المرفقة.

(٣) سفرنامة، ص ٥٤.

(٤) الشقق نوع من الثياب القصيرة كانت تلبس فوق القميص فى العصر الفاطمي.
(راجع : Dozy : suppl, 1, P, 773، ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٠).

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٧٢.

(٦) اتعاظ، ج ٣، ص ٥٦.

(٧) ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨.

غالبا ما يعبر عن مكانة لابسها بين أرباب العمائم في الدولة[١] لذلك كان الشيوخ ورجال الدين غالباً ما يبالغون في لبس العمائم الضخمة[٢]

وكانت العمامة ذات الذؤابة المرخاة في آخرها. والطيلسان المقور هو الزى الرسمي للقاضي في الدولة الفاطمية[٣] وكانت عمامة القاضي ذات حجم كبير تكريماً له عن سائر أرباب العمائم في الدولة، وكان التصريح بلبس عمامة على غرار عمامة القاضي يعد تشريفا كبيرا للشخص المسموح له بذلك. فيروى المقريزى في أحداث سنة ٤١٥ هـ ١٠٢٤ م أنه عند تعيين والى الشرطة بمصر كانت من بين خلعه " عمامة قاضي مذهبة "[٤].

وكان المشرف على مقياس النيل في الدولة الفاطمية يخلع عليه في مناسبة الاحتفال بفتح الخليفة بالطيلسان المقور تشريفاً له، ويبدو أن منحه الطيلسان كان بسبب انتمائه إلى وظيفة " العدول المحنكين "[٥] وهي وظيفة قضائية.

وكان زى المحتسب في الدولة الفاطمية يشتمل على جبة[٦] وعمامة مذهبة[٧]. وكانت ملابس الفقهاء ورجال الدين وخطباء المساجد تتكون في

---

(١) راجع : خطط، ج ١، ص ٤٦٩.

(٢) راجع : الكندى، كتاب الولاة والقضاة، ص ٤٦٠.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤٠، اتعاظ، ج ٢، ص ٧١، ابن حجر، رفع الإصر، ص ٢٠٧.

(٤) اتعاظ، ج ٢، ص ١٥٠.

(٥) خطط، ج ١، ص ٤٧٧.

(٦) راجع الهامش السابق عن الجبة والدراعة، والواقع أن الجبة كانت من الملابس المنتشرة في مصر قبيل العصر الفاطمي وخلاله، وغالباً ما كانت تبطن من الداخل عند خياطتها.

(راجع : أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٩).

(٧) اتعاظ، ج ٢، ص ٣٩

الغالب من الجبة والبردة [١] والطيلسان[٢] ولذلك كانت يطلق على تلك الفئة لقب " أرباب الطيالس " [٣] في الدولة الفاطمية.

٥ - ملابس النساء :

كانت نساء القصر الفاطمي ابتداء من زوجات الخليفة إلى أقل مستخدمة يحصلن على الكساوى في المناسبات التي تمنح فيها للرجال من موظفى الدولة ومن تفاصيل هذه الكساوى يمكن معرفة أهم ما كانت ترتديه نساء القصر في العصر الفاطمي، فكانت المرأة الأولى في القصر والتي تعرف بالجهة العالية [٤] ترتدى حلة مذهبة يصل عدد قطعها إلى خمس عشرة قطعة، فكان غطاء الرأس يتكون من أربع قطع تلبس طبقاً لترتيب معين بحيث تغطى الرأس ويتدلى طرف إحدى القطع حتى تصل إلى الأرض من جهة الظهر [٥] وباقى الملابس تتكون من رداءين من الحرير، وقميص مذهب بأكمام قصيرة وسروال، وملاءة واسعة لتغطية كل تلك الثياب [٦].

وكانت ملابس باقى نساء القصر تقل مكوناتها تبعا لمكانتها في البلاط الفاطمي وتتراوح بين حلة مذهبة وحلة حريرى وهى ما ترتديه المستخدمات[٧].

---

(١) البردة كساء يلتحف به مثل العباءة (قاموس المحيط).

(٢) راجع : ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤، ٢٥.

(٣) خطط، ج ١، ص ٤٤١، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٦٢.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤١٠.

(٥) نفسه، ماجد، نظم، ج ٢، ص ٥٦.

(٦) خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١١.

(٧) خطط، ج ١، ص ٤١١.

وكانت هناك ملابس خاصة بالجوارى والراقصات الهدف منها إبراز مفاتنهن ليكونوا متعة للناظرين، فكانت العازفة والمغنية ترتدى ثوباً طويلاً واسع الأكمام مزين بالزخارف، وفوق رأسها عصابة تشبه العمامة [١] وأحياناً تضع على رأسها تاجاً [٢] أو تترك شرائط مرصعة بالجواهر تتدلى من عصابتها كذؤابة[٣].

وكانت الراقصة ترتدى ثياباً واسعة طويلة الأكمام وسراويل واسعة وتلقى على كتفيها بشال ومن المحتمل أن تضع أسفل الرداء مشدات لإبراز مفاتن جسدها [٤] وأحياناً كانت الراقصة ترتدى ملابس شبه عارية [٥].

وكان الشعراء فى ذلك العصر يبدعون الأبيات الرقيقة لكتابتها على ملابس الجوارى، وخاصة ما يضعنه على رؤسهن من عصائب، ومن ذلك ما كتبه الأمير تميم بن المعز على قطعة من ملابس جارية :

رقتى فوق رقة الأبشار ∴ عقد سحر لأعين النظار
من رآنى رأى هيباً وماء ∴ وعجيب لقاء ماء ونار [٦]

وكانت المرأة فى العصر الفاطمى مثل الحال فى كل زمان ومكان تتزين ما أمكنها التزين وخاصة بالحلى المصنوعة من الأحجار الكريمة والذهب والفضة، والتي تعلق على صدرها أو تتدلى من رقبتها وأذنيها مثل مشابك

---

(١) راجع : دليل متحف الفن الإسلامى، ص ٨٦، انظر لوحة (٤) المرفقة ولوحة (٩).

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٨، وبخصوص كلمة تاج راجع :

انظر لوحة (٩)، Dozy : suppl, 1, P, 85, vet, P, 100.

(٣) نفسه، ص ١٥٩، انظر لوحة (٩).

(٤) نفسه، ص ١٦٠، انظر لوحة (٦).

(٥) نفسه، ص ٧٣.

(٦) ديوان تميم، ص ٢٣٨، انظر أمثلة أخرى فى الديوان، ص ٢٨، ص ٢٤٤.

الصدر والعقود والأساور والأقراط وغيرها ويوجد العديد من هذه الآثار التى ترجع العصر الفاطمى في متحف الفن الإسلامى [١].

٦ - ملابس العامة :

كانت النساء من العامة يرتدين على رؤسهن العصائب، كما كان لبس السروال والغلالة[٢] منتشراً فى ذلك الوقت، بالإضافة إلى القميص. وكان لبس النساء للسراويل الواسعة يعد خروجا عن الآداب ومنافيا لتقاليد المجتمع الفاطمي، لذلك نودى فى شوارع القاهرة والفسطاط سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣ م بمنع النساء من لبس السراويل الكبار [٣].

وكانت المرأة من العامة ترتدى فوق ثيابها ملاءة واسعة فضفاضة تخفى كل جسدها [٤] بالإضافة إلى النقاب الذى يحجب وجه المرأة أثناء وجودها

---

(١) راجع : الفن الإسلامي، ص ٢٨ - ٣٢، ص ٣٤، ص ٣٨ - ٤١، انظر لوحة (٩).

(٢) الغلالة بكسر الغين ما يلبس تحت الثوب من رقيق المنسوجات. (راجع : المحيط، مادة غلل).

واشتهرت مصر بصناعة المنسوجات البيضاء الرقيقة التى تصنع منها غلائل النساء فى العصور الوسطى، وكان سعر الغلالة الحريرية فى العصر الفاطمى تتراوح بين سبعة دنانير وعشرين دينارا، مع أن أوراق البردى تعطى سعرا أقل بكثير، ولعل ذلك راجع إلى أن أسعار الملابس التى وصفها المقريزى من الأصناف التى تخرج من خزانة الكسوة بالقصر، فهى من النوع الراقى، أما النوع الذى تشير إليه البرديات فهو أقل قيمة لأنه من ملابس العامة.

(راجع : خطط، ج ١، ص ٤١٠، على بهجت، صناعات النسيج فى مصر فى العصور الوسطى، مجلة المعهد العلمى الفرنسى، القاهرة، ١٩٠٣، ص ١٠ وما بعدها، أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤).

(٣) اتعاظ، ج ١، ص ٢١٤.

(٤) الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ١٠٨

خارج دارها [١] وكان من وظيفة المحتسب منع النساء من ارتداء الملابس الخليعة والتى لا تلتزم ستر جسدهن وعدم إبراز مفاتنهن [٢].

وكانت النساء يرتدين فى أرجلهن الخفاف، وكان هناك نوعاً من تلك الخفاف تحدث صوتاً عند المشى بها مما قد يلفت أنظار الرجال إلى المرأة، وكان هذا يعد من الأمور المنافية للآداب، التى تستوجب تدخل المحتسب لمنع النساء من ارتداء هذا النوع من الخفاف وتحذير الأساكفة من صنعه[٣] كما كان النساء يرتدين فى أرجلهن داخل الدور القباقيب والرزابيل [٤].

أما ملابس رجال العامة، فكان التجار وخاصة أصحاب الحوانيت منهم يرتدون ملابس لا تختلف كثيراً عما يرتديه الفقهاء ورجال الدين، فكانت ملابسهم تتكون من " ثياب واسعة، وعمائم مدورة، وطيالس سابلة"[٥]. أما أرباب الحرف والصناعات، فكانوا يرتدون غطاء الرأس الذى يعرف بالقلنسوة[٦] والتى تصنع من الحرير أو الكتان [٧] وأحياناً يرتدون

---

(١) راجع : ياقوت، معجم الأدباء، ج ٤، ص ٥٩.

(٢) راجع : معالم القربة، ص ٢٤٣.

(٣) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٧٣.

(٤) الزرابيل، نوع من الخفاف تلبسه الجوارى.

(راجع : صبح، ج ١، ص ٤٢٨، النجوم، ج ٥، ص ٣١).

(٥) المقريزى، اغاثة الأمة، ص ٢٦.

(٦) القلنسوة والقلنسية جمعها قلانس وقلانيس وقلنس يلبس على الرأس مثل العمامة، وهى ما يلاث على الرأس تكويرا.

(راجع : ابن سيدة، المخصص، ج ٤، ص ٨١، ٨٢، قاموس المحيط، مادة قلس).

(٧) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٦٨.

العمائم المجدولة [1] وكانوا يسترون أجسامهم بالسراويل والقمصان التي تتميز بسعة أكمامها [2].

وكان بعض أرباب الحرف يرتدون ثياباً تتفق وطبيعة عملهم، فكان العجان يرتدي ثوباً بدون أكمام يسمى " ملعبة " ليمنع نزول العرق من أبطيه إلى العجين، ويربط على جبينه عصابة لنفس الغرض [3].

وكانت سراويل السقاءين تتميز بلونها الأزرق وضيقها وقصرها لتكون "ضابطة لعوراتهم"[4] وتناسب عملهم الذى يحتم عليهم الخوض في المياه لملئ قربهم، كما كان الرجال الذين يعملون في حرفة البناء يرتدون أيضاً السراويل الضيقة لستر عوراتهم أثناء صعودهم وهبوطهم [5].

وكان العامة يعتنون بارتداء ملابسهم على أحسن صورة ويهتمون بجودة تفاصيلها بحيث تكون معتدلة الأكمام والأطراف ومستوية الذيل [6]، وكانوا

---

(١) راجع : الفن الإسلامي، ص ١٦٢، زكي حسن، كنوز الفاطميين، ص ١٦٢، انظر أيضاً لوحة (١) المرفقة.

(٢) سفرنامة، ص ٥٤، الفن الإسلامي، ص ٥٩، ٦٣.

(٣) الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٢٥، ابن سيده، المخصص، ج ١٣، ص ١٦، القاموس المحيط، مادة لعب.

(٤) خطط، ج ١، ص ٤٦٤.

(٥) معالم القربة، ص ٣٤٣.

(٦) الشيزري، نفسه، ص ٦٧.

يلبسون الأقمشة المزينة بصور الحيوانات والطيور [١] والتي تزين أكتافها الأشرطة المزخرفة [٢].

وكان الناس يرتدون في المواسم والأعياد والمناسبات الأسرية أجمل ما عندهم من ثياب، وقد يضطر الفقراء منهم إلى تأجير الثياب في تلك المناسبات ويروى الشيرازى خبراً طريفاً مفاده أن الصباغين في أيام " المواسم والأعياد كانوا يؤجرون ما عندهم من ثياب أحضرها أصحابها لصبغها، لمن يلبسها ويتزين بها، وكان المحتسب يتدخل لمنع هذا العمل [٣].

وكان لباس القدم المنتشر في العصر الفاطمي هو الحذاء أو النعل [٤] وكانت صناعة النعال من الصناعات المنتشرة في مصر في العصر الفاطمي حيث انتشرت حوانيت الأساكفة في الأسواق[٥] وكانت النعال الراقية تصنع من جلد البقر المستورد من الحبشة [٦] أما الأصناف الأخرى فتصنع من الجلود المحلية.

وقد تعرض الأساكفة لكساد تجارتهم وخاصة ما يصنع منها للنساء [٧] عندما حظر الخليفة على النساء الخروج من دورهن ومنع الأساكفة من صنع الخفاف لهن.

---

(١) معالم القربة، ص ١٦٣.

(٢) عبد الرؤوف يوسف، الرسوم الآدمية، مجلة المجلة، العدد رقم ٢١، سبتمبر ١٩٥٨، ص ٧٩، شكل ١١، الفن الإسلامي، ص ١٦١.

(٣) الشيزرى، نفسه، ص ٧٢.

(٤) راجع : اتعاظ، ج ١، ص ٢١٤.

(٥) الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٧٣.

(٦) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٥٩. ٦٠.

(٧) راجع التفاصيل في فصل : المرأة في المجتمع الفاطمي.



الخاتمة



الخاتمة

حكمت الدولة الفاطمية مصر زهاء قرنين من الزمان (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م وصلت خلالها إلى ذروة مجدها السياسى، وحققت أغلى أمانيها بالدعاء لخلفائها على منابر بغداد عاصمة الدولة العباسية سنة ٤٥٠ / ١٠٥٨ م وانتصرت على الد أعدائها رغم انه كان انتصاراً مؤقتاً لم يستمر طويلاً. كما بلغت الدولة خلال تلك الحقبة قمة مجدها الحضارى ونعمت بدرجة عالية من الثراء والبذخ وتعجب المؤرخون المعاصرون مما كانت تحويه خزائن الفاطميين من ضروب التحف النادرة والكنوز النفيسة ودهشوا لعظمة رسوم الدولة ونظمها الراقية. وما كانت تغدقه على موظفيها وكل من يتصل بها من صنوف النعم والهبات السخية.

وفى نفس الوقت فإن الدولة الفاطمية قد بلغت فى مراحل من تاريخها ذروة الضعف السياسى وتعرضت عاصمتها القاهرة للغزو من قبل عناصر أجنبية وكان الخلفاء عاجزين عن رد الخطر عن قصورهم نفسها، كما بلغت أحياناً درجة كبيرة من الفقر والتدهور الاقتصادى حتى وصل الحال بأحد خلفائها إلى الجلوس وحيداً فى قصره الضخم الذى تعرى من محتوياته من التحف والذخائر ونهبته ايدى الجند ولا يجد ما يجلس عليه الا حصيراً، ويتناول طعامه من صدقة تقدمها له إحدى بنات الأشراف.

بلغت الدولة الفاطمية القمة فى الثراء والبذخ والمجد السياسى والاقتصادى كما عانت أيضاً من التدهور والفقر والاضمحلال.

- ولكن رغم ذلك فإن الدولة الفاطمية قد تركت بصماتها واضحة فى تاريخ مصر الحضارى والاجتماعى فيما تلى ذلك من عصور.

فإذا ألقينا نظرة شاملة على النشاط السياسى والعسكرى للدولة الفاطمية خيل الينا أنها قضت فترة حكمها مشغولة بإعداد الجيوش والأساطيل للوقوف فى

وجه أعدائها والتصدى لهم فى معارك متعددة لم يخلو منها عصر خليفة من خلفائها حتى انهارت فى نهاية الأمر على يد أعدائها ومن كانوا يتظاهرون بصداقتها والدفاع عنها. وإذا استعرضنا نشاط الدولة الفاطمية المذهبى والعقائدى خيل الينا فى بعض المراحل أننا أمام دولة تقوم على نظام دعائى دقيق غاية الدقة تتسلسل فيه مراحل الدعوة وإقناع الأعوان بفلسفتها ومذهبها وأحقية أصحابه فى الخلافة الإسلامية، كما يخيل إلينا فى مراحل أخرى أننا أمام نظام مفتت يوشك على الإنهيار تعددت فيه المذاهب العقائدية المنشقة التى تصارعت فيما بينها، وأن هذه الفرق المتصارعة توشك أن تحطم البناء على رأس مشيديه.

وإذا ألقينا نظرة عامة على نشاط الفاطميين الثقافى، خيل إلينا أنهم قضوا حياتهم فى محراب العلم يدنون العلماء إلى مجالسهم ويتأدبون على يديهم ويحيطون أنفسهم بالشعراء والأدباء ويغدقون عليهم من فيض كرمهم وبذخهم وكان حياتهم كلها فن وثقافة وتدين.

وإذا استعرضنا مجالس اللهو والطرب والغناء وما كان يجرى فيها من ضروب التهتك والانطلاق والشراب خيل إلينا أن حياتهم لم تكن تخلو من هذا الضرب من اللهو لكثرة ما تأنقوا فيه واهتموا به.

وإذا القينا نظرة شاملة على حفلاتهم وأعيادهم ومواكبهم الفخمة ومآدبهم العامرة خيل إلينا أن أيامهم كلها " أعراساً وأفراحاً " على حد تعبير المؤرخ الفاطمى ابن زولاق وإذا استعرضنا من جانب آخر ما تعرضت الدولة له من نكبات ومجاعات وشدائد عاصفة خيل إلينا أننا أمام قوة منهارة لا تملك من أمرها شيئا.

والواقع أن الدولة الفاطمية قد أصابت من كل هذا بسهم وافر، وتعرض المجتمع المصرى خلال عصرها لكل تلك الأمور مجتمعة.

وإذا كانت طبقة الخاصة في المجتمع المصرى فى عصر الدولة الفاطمية قد عاشت فى رخاء وبحبوحة من العيش نتيجة لما كانت تقدمه الدولة لها من ضروب الأمان والتأمين الاقتصادى، فإن طبقة العامة قد تأثرت كثيراً بمظاهر البذخ والثراء التى انطبعت بها معظم مظاهر الحياة فى ذلك الوقت، وكان يصيبها بعض تلك الخيرات وكانت تسعد بكل ما تحمله مظاهر تلك الأعياد والمواسم والاحتفالات التى كانت متنفساً للجميع فى الانطلاق والمرح والأخذ من الحياة بنصيب. وفى نفس الوقت فإن الخاصة والعامة كانوا يعانون من فترات الاضطراب الداخلى والخارجى وما يصاحبها من أمور قاسية.

وإذا كان يحق لنا سياسياً أن نقول أن صلاح الدين الأيوبى قد قضى على الدولة الفاطمية فى سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م، وأنه أعاد إلى مصر الأعلام العباسية السوداء وأسقط أعلام الفاطميين البيضاء، وأنه قضى على المذهب الشيعى الإسماعيلى ليحل محله المذهب السنى، فإنه من العبث أن نقول أن المجتمع المصرى قد تغير فى هذا التاريخ من مجتمع فاطمى إلى مجتمع عباسى أو أيوبى فإن الأحداث السياسية تجرى على السطح سريعة مهرولة، ولكن التغيير الاجتماعى يمضى فى الأعماق بطيئاً متثاقلاً.

وقد لا يجانبنا الصواب إذا قررنا أن معظم مظاهر المجتمع المصرى فى عصر الدولة الفاطمية ظلت ممتدة خلال العصرين الأيوبى والمملوكى إلا ما يتعلق منها بعقائد الإسماعيلية واحتفالاتها المذهبية.

بل لعلنا لا نغالى إذا قلنا أن الدولة الفاطمية مازالت تلقى بظلالها على بعض مظاهر حياتنا الاجتماعية فى الوقت الحاضر، وإن إلقاء نظرة سريعة على بعض عاداتنا فى الاحتفال ببعض المواسم والأعياد، وخاصة الاحتفال بشهر رمضان، وأصناف الحلوى والأطعمة التى نقبل عليها فى تلك المناسبات، وما يلهو به أولادنا من تماثيل الحلوى والفوانيس الملونة، لدليل على صحة هذا القول.



فهارس الكتاب

أولا: الأعلام

ثانيا: الأماكن والمواضع والبلدان

ثالثا: المصطلحات وأسماء الدواوين

رابعاً: القبائل والجماعات

خامساً: كشاف مفسر لأهم المصطلحات

سادساً: اللوحات



أولاً: الأعلام

(أ)

(غ)

(ف)

ثانياً: الأماكن والمواضع والبلدان

ثالثاً المصطلحات وأسماء الدواوين:

رابعاً: القبائل والجماعات

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

كشاف مفسر لأهم المصطلحات

التي وردت بالكتاب



(أ)

- أدوان الأمراء :

هم قادة الفرق الصغيرة فى الجيش الفاطمى من غير الأمراء المطوقين وأرباب القضب. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

- أرباب السيوف :

اصطلاح يطلق على أصحاب الوظائف من الطبقة العسكرية فى العصر الفاطمى، وقد تعددت وظائفهم ابتداء من الوزارة فما دونها من الوظائف. (راجع: خطط، ج ١، ص ٣٦٣).

- أرباب الطيالس :

اصطلاح كان يطلق على رجال الدين فى الدولة الفاطمية مثل القضاة والفقهاء وخطباء المساجد، وذلك لاختصاصهم بلبس الطيلسان. (ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤، ٢٥، خطط، ج ١، ص ٤٤١).

- أرباب الأقلام :

يقصد بهم طبقة الموظفين من غير أرباب السيوف فى الدولة الفاطمية وكان على رأسها الوزير فى العصر الفاطمى الأول. (صبح، ج ٣، ص ٥٢٢؛ خطط، ج١، ص ٤٦٩).

- أرباب القضب :

من أمراء الجيش الفاطمى، وكان ينعم عليهم بقضب من فضة تخرج لهم من خزائن التجمل لتميزهم عن غيرهم من الأمراء. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٦، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

- **أرباب العمائم :**

ويقصد بهم أصحاب الوظائف الدينية مثل القضاة والدعاة والشهود العدول وقراء الحضرة وغيرهم. (خطط، ج ١، ص ٤٠٣، ٤٠٤، اتعاظ، ج ٣، ص٣٩٦).

- **أستاذ الأستاذين :**

لقب كان يختص به رئيس الخدم من الأساتذة المحنكين في القصر الفاطمي. (معرض الفن الإسلامي في مصر، ص ١٤٦).

- **الأساتذة المحنكون :**

طائفة من خدم القصر الفاطمي كانوا يشغلون أرفع المناصب في الدولة ويعدون من خواص خدام الخليفة وأخذوا اسمهم لأنهم كانوا يدورون عمائمهم على أحناكهم. (صبح، ج٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧).

- **الاسفهسلار :**

اصطلاح عسكري مركب من كلمتين : أسفه بمعنى مقدم وهي فارسية، وسلار بمعنى عسكر وهي تركية، فمعناها مقدم العسكر، وكانت تطلق على قائدالجيش في الدولة الفاطمية. (أبو شامة، الروضتين، ص ٤٠٨، صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٣).

- **الأشراف الأقارب :**

كان هذا الاصطلاح يطلق في العصر الفاطمي على الأشراف الذين ينتسبون إلى البيت الفاطمي، وكان يطلق عليهم أيضاً الأشراف الإسماعيليين نسبة إلى مذهب الدولة الفاطمية.(صبح، ج ٣، ص ٤٩٦، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٤٩٦، خطط، ج١، ص ٣٨٦).

- **الأشراف الطالبيون :**

نسبة إلى أبى طالب عم الرسول (صلعم)، وكانت لهم نقابة تشرف على أمورهم فى الدولة الفاطمية. (صبح،ج٣، ص٤٧٩، خطط، ج١، ص٣٨٦).

- **الاقسما :**

نوع من الشراب كان يصنع من السكر الأبيض النقى مضاف إليه الماء أو ماء الورد ويطيب بالمسك ويبرد بالثلج. (مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٨، معالم القربة، ص ١٩٧).

- **الأمراء المطوقون :**

من كبار قادة الجيش الفاطمى، وكان يخلع عليهم بأطواق من الذهب توضع فى أعناقهم تمييزاً لهم عن غيرهم من الأمراء. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٦، خطط، ج١، ص ٤٠٣).

(ب)

- **باب الذهب :**

من أهم أبواب القصر الكبير الشرقى، كانت تعلوه منظرة يشرف منها الخليفة فى الأعياد والمناسبات ويدخل منه رجال الدولة والأجناد فى هذه المناسبات. (خطط، ج ١، ص ٣٦٢، ٢٨٥).

- **باب الزهومة :**

هو أحد أبواب القصر الفاطمى والزهومة بمعنى الزفر وقد أخذ هذا الباب اسمه من موقعه قبالة مطبخ القصر المختص بطبخ اللحوم، ومنه كانت تدخل اللحوم الخاصة باستعمال القصر. (خطط، ج ١، ص ٤٣٥).

- **باب العيد :**

أحد أبواب القصر الكبير الشرقي، وتقع أمامه رحبة باب العيد وهـى ميـدان متسع يقف فيه الأجناد فارسها وراجلها في أيام المواكب والأعياد في انتظار ركوب الخليفة الفاطمي وخروجه من هذا الباب حيث يلسير الموكب لصلاة العيد. (خطط، ج ١، ص ٣٦٢).

- **البازهر :**

نوع من المعادن يوجد في بلاد الهند والصين كانت تصنع منه كؤوس الشراب للخلفاء ويمتاز بتغير لونه إذا كان بالشراب شئ من السم. والبازهر كلمة فارسية معربة من باك زهر، وباك بمعنى النظافة وزهر بمعنى السم، أى منظف السم، ولما عرب سقطت الكاف وقيل بازهر. (راجع : التيفاشي، أزهار الأفكار، ص١٢٥، ابن الأكفاني، نخب الذخائر، ص ٧٥، ٧٦).

- **البردة :**

كساء يلتحف به مثل العباءة (القاموس المحيط).

- **بدلة موكبية :**

اصطلاح كان يطلق على بدلة الوزير في الدولة الفاطمية والتي كانت تخلع عليه بمناسبة اشتراكه في موكب عيد الفطر وتبلغ عدد قطعها إحدى عشرة قطعة. (خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١١، ٤٤٠، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٤٣).

- **البدنة :**

نوع من الملابس أخذت اسمها من كونها تغطى البدن وتكون فوق الملابس مثل العباءة. وهناك نوع من البدنة كانت لباساً شعبياً تشبه صديرى بغير أكمام يصنع غالباً من الكتان أو الحرير. (سفرنامه، ص ٢٥٤، أوراق البردى، ج ٥، ص١٥٤، Dozy, vet, p. 57).

- **البرماورد أو البزماورد :**

كلمة فارسية معربة، تعنى نوع من الطعام يدخل فى صناعته اللحم وخاصة لحوم الجداء وصدور الدجاج التى تقلى بالزبد والبيض. (الرازى، منافع الأغذية، ص ٣٤، الجواليقى، المعرب، ص ٢٢١).

- **البزاة :**

من أقوى الطيور الجارحة وأحرصها على طلب الصيد، ويطلق على مدربه البازيار، ثم أصبح هذا اللقب يطلق فى الدولة الفاطمية على من يقوم بتدريب الحيوانات والطيور على الصيد. (مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٤، صبح، ج ٢، ص ٥٥، ٥٧).

- **البسندود**

كلمة فارسية الأصل تعنى نوعاً من الحلوى التى يدخل فى صناعتها الدقيق والبلح وكان يشكل أحياناً على هيئة أقراص صغيرة تحشى باللوز والفستق. (مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٤، صبح، ج ٣، ص ٥١٠، حلمى سالم، المرجع السابق، ص٥ من الملحق).

- **البندقية :**

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع فى ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه البندق المدقوق ويطبخ حتى ينعقد ثم يرفع. (عبد اللطيف البغدادى، الإفادة، ص ٤٢).

- **البهط :**

كلمة سندية وهى الأرز يطبخ باللبن والسمن بلا ماء، واستعملته العرب بالهاء فقالت : بهطة طيبة. (ابن سيدة، المخصص، ج ٢، ص ٣، الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، لسان العرب).

- **البوقلمون :**

من المنسوجات التى اشتهرت بها مدينة تنيس فى العصر الفاطمى، ويمتاز البوقلمون بتغير لونه بتغير ساعات النهار ويسميه ابن سيده القلمون. (سفرنامة، ص ٣٨، المخصص، ج٤، ص ٦٨).

- **البيسار :**

نوع من الطعام يصنع من الفول المدشوش ويضاف إليه السمن واللبن وأحياناً تضاف الملوخية الجافة إلى الفول المدشوش. (الشيزرى، نهاية الرتبة، ص٢٣، هامش " ٢ ").

(ت)

- **تربة الزعفران :**

كانت من جملة القصر الكبير الشرقى، وفيها دفن المعز لدين ا لله أفراد أسرته اللذين أحضرهم معه فى توابيت من بلاد المغرب، وكانت تعرف أيضاً بالتربة المعزية، واستمرت مدفناً للأسرة الفاطمية، وكان يطلق على باب القصر الذى قبالتها : باب تربة الزعفران. (خطط، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٣٥).

- **التكة :**

رباط السراويل وهى ما يطلق عليها العامة الدكة. (Dozy, vet, pp, 95 6 99, p, 203).

- **التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم :**

من وظائف أرباب الأقلام في الدولة الفاطمية ويتلخص عمله فى معاونة الوزير صاحب السيف فى النظر في المظالم، كما كان يقوم بوظيفة مؤدب ومعلم الخليفة، وكان يطلق عليه أيضاً الجليس فمجالسته الخليفة. (صبح، ج ٣، ص٤٨٧ ، ابن شاكر، فوات الوفيات، ج ٢، ص ٣٣٢).

(ث)

- **الثالث :**

وهو اليوم الثالث لدفن الميت، وكانت التقاليد فى العصر الفاطمى تقضى بإقامة احتفال فى هذا اليوم يجتمع فيه الناس للاستماع إلى القرآن والترحم على الميت. (اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧).

- **الثياب الدبيقية :**

نسبة إلى قرية مصرية كانت تقع بين الفرما وتنيس، وكانت تشتهر بصنع المنسوجات الراقية. (البكرى، المغرب، ص ٨٦، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص٣٤، ٩٣).

- **الثياب الشطوية :**

نسبة إلى مدينة شطا التى كانت تقع بالقرب من تنيس وكانت ذات شهرة واسعة في مجال صناعة المنسوجات. (جروهمان، أوراق البردى، ج ٥، ص ٧١، ٧٢. خطط، ج ١. ص ٢٢٦).

- **الثياب العيدية :**

يقصد بها ما كان يرتديه الخليفة الفاطمى فى موكب عيدى الفطر والأضحى، وكانت العادة أن يخلع الخليفة على وزيره بتلك الثياب تكريماً له وذلك

بعد عودته من موكب عيد الفطر، وبعد اليوم الثالث من النحر فى عيد الأضحى. (صبح، ج ٣، ص ٥١١، ج ١، ص ٣٨٨، ص ٤٥٥).

(ج)

– **الجلاب :**

هو ماء الورد المغلى فى السكر، وأصل الكلمة فارسى من : كل أى ورد، واب أى ماء. (الجواليقى، المعرب، ص ١٥٤).

– **الجهة العالية :**

لقب كان يطلق على زوجة الخليفة الفاطمى، وفى حالة تعددهن كان يطلق عليهن " الجهات العالية "، وكان يطلق على زوجة الخليفة أحياناً " الجهة المعظمة". (خطط، ج ١، ص ٤١٠، ٤١١، اتعاظ، ج ٣، ص ٨٦).

– **الجوارش :**

نوع من الشراب الطبى الفاتح للشهية الهاضم للطعام، المزيل للسدد، كان يقدم على مائدة الخليفة الفاطمى لفوائده السالفة. (صبح، ج ١٤، ص ٣٦٥، خطط، ج ١، ص ٤٢٢، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٥١).

– **الجوذاب :**

نوع من الحلوى تدخل فى صناعتها اللحم والأرز والسكر. (الرازى، منافع الأغذية، ص ٥١، الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٥).

(ح)

– **حامل الدواة :**

من وظائف الأساتذة المحنكين فى الدولة الفاطمية، وكان صاحبها يختص بأمر دواة الخليفة فيضعها على المرتبة فى مجلسه، ويحملها أمامه على السرج فى المواكب الخلافية. (صبح، ج ٢، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٤٨٦).

- **حامل الرمح :**

من وظائف أرباب السيوف في الدولة الفاطمية، وهو الأمير الذى يختص بحمل رمح الخليفة فى المواكب. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩ ؛ خطط. ج ١ ص٤٤٨).

- **حامل السيف :**

من الوظائف العسكرية في الدولة الفاطمية، وتطلق على الأمير الذى يحمل سيف الخليفة في المواكب، وكان يعد أكبر حامل فى الموكب. (صبح، ج ٣. ص٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٤٨).

- **حامل المظلة :**

من وظائف أرباب السيوف في الدولة الفاطمية، وكان لصاحبها مكانة راقية لحملة مظلة الخليفة فى المواكب. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١. ص٤٠٣).

- **الحجرة :**

السروال. (راجع : مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٤، قارن : ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢٨، خطط، ج ١، ص ٤١٠ - ٤١٣. ماجد. نظم. ج٢، ص ٥٢).

- **الحرير الديباج :**

نوع من الحرير المنقوش، والديباج كلمة فارسية تعنى النقش أو التزيين. (ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٨٦، الجواليقى، المعرب، ص ١٨٨، ١٩٢).

(خ)

- **الخبز الحوارى :**

هو الخبز الذى يصنع من الدقيق الأبيض المنخول جيدا. (المقدس. احسن التقاسيم، ص ١٩٩، اتعاظ، ج ٢، ص ١٥١).

- **الخبز السميذ :**

هو أغلى أنواع الخبز ثمناً لأنه كان يصنع من أرقى أنواع الدقيق الأبيض الذى أحكم تنقية حنطته قبل طحنه. (ابن عبد ربه. الطعام والشراب. ص ١٢. اتعاظ، ج ٢، ص ١٥١).

- **الخبز الموائدى :**

نوع من الخبز الراقى المتقن صناعته كان يقدم على مائدة الخليفة الفاطمى. (خطط، ج ١، ص ٣٣٩).

- **الخبيص :**

نوع من الحلوى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز أو الشيرج ثم يضاف إليها بعد الطبخ بعض السكر أو العسل وترفع على النار لتجمد. (مخطوط الوصلة إلى الحبيب، ورقة ١٠١، ابن عبد ربه، الطعام والشراب. ص ١٤).

- **الخرجى :**

نوع من شراب الفقاع كان يصنع من الشعير بعد سحقه ويضاف إليه دقيق الحنطة وماء مغلى ويترك حتى يتخمر ويحلى بالسكر ويطيب بالتوابل (حلمى سالم. المرجع السابق. ص ١٥١)

- **الخروبة :**

قطعة صغيرة من النقود النحاسية مقدارها عشر درهم، جرت العادة بضربها في الدولة الفاطمية بمناسبة الاحتفال بخميس العهد وتوزع على أرباب الرتب وموظفي الدولة من المسلمين والنصارى. (خطط، ج ١، ص ٢٦٦، Dozy, Supp, Dict, At، حلمي سالم، نفسه، ص ١١ من الملحق).

- **خزانة التجمل :**

إحدى خزائن القصر الفاطمي. وكانت تحتوي على الآلات النفيسة التي تستخدم في مواكب الفاطميين التي تخرج بمناسبة الأعياد والمواسم المختلفة. (خطط، ج ١، ص ٤٤٦).

- **خزانة الجوهر والطيب والطرائف :**

إحدى خزائن القصر الفاطمي، وكان الفاطميون يحتفظون فيها بتحفهم النادرة ونفائسهم الثمينة. (خطط، ج ١، ص ٤١٤ - ٤١٦).

- **خزانة الشراب :**

إحدى خزائن القصر الفاطمي، وكانت تختص بإعداد أنواع الأشربة المختلفة والأدوية والمعاجين الطبية، وكان يشرف عليها أحد كبار الأستاذين وتصرف منها الأدوية للمرضى برقعة من أطباء القصر. (صبح، ج ٣، ص ٤٩٢، خطط، ج ١، ص ٤٢٠).

- **خزانة الطعم :**

هي إحدى خزائن القصر الفاطمي الخاصة بحفظ الأطعمة اللازمة للقصور ولأرباب الوظائف في الدولة ومنها يخرج راتب المطابخ المختلفة ولا يحتاج إلى غيرها إلا في اللحم والخضر (صبح، ج ٣، ص ٤٧٢، ٤٧٣).

- **خزانة الفرش والأمتعة :**

إحدى خزائن القصر الفاطمي، وكانت تحوى أنواع الفرش الفاخرة والستور الحريرية المنسوجة بالذهب وغيرها من المنسوجات المستخدمة فى القصر لغير الملابس. (خطط، ج ١، ص ٤١٦، ٤١٧).

- **خزانة الكتب :**

وهى من جملة خزائن القصر الفاطمى، وقد أجمع المؤرخون على عظمتها وندرة ما كانت تحويه من الكتب ووصفت بأنها من عجائب الدنيا وكان عدد الكتب بها يقدر بما يزيد على المليونى كتاب. (ابو شامة، الروضتين، ج ١، قسم٢، ص ٥٠٧، خطط، ج ١، ص ٤٠٨).

- **خزائن الكسوة الباطنة :**

إحدى خزائن القصر الفاطمى، كانت تعرف أيضاً بالخزانة العالية الخاصة، وكانت تختص بحفظ ملابس الخليفة الفاطمى ويغير فيها ملابسه وتشرف على إدارتها إمرأة تنعت بزين الخزان وتساعدها ثلاثون جارية. (صبح، ج ٣، ص٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٣).

- **خزانة الكسوة الظاهرة :**

إحدى خزائن القصر الفاطمي كان يطلق عليها أيضاً الخزانة العامة وكانت مقراً للخياطين الذين يحيكون الثياب الخاصة برجال الدولة. (صبح، ج ٣، ص٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٣).

- **الخشخاشية :**

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع فى ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه الخشخاش ويطبخ حتى ينعقد ثم يرفع. (عبداللطيف البغدادى، الإفادة، ص ٤٢).

- **الخشكار :**

هو الدقيق الخشن الذى لم تنزع نخالته ولم تنظف حنطته قبل الطحن وكان يطلق على الخبز الذى يصنع من هذا الدقيق الخبز الخشكار. (ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ص ٦١، ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص ٦٩).

- **الخشكنانج أو الخشكناك :**

كلمة من أصل فارسى تعنى نوع من الحلوى التى تصنع من الدقيق الأبيض الذى يعجن ويبسط مثل الرقاق ويضاف إليه السكر وقلوب اللوز والكافور وماء الورد ويكون الرقاق أحياناً على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز والفستق. (منافع الأغذية، ص ٥١، الجواليقى، المعرب، ص ١٨٢، مخطوط الوصلة إلى الحبيب، ورقة ١٢٧).

- **الخفتان :**

الخفتان أو القفطان ثوب يشبه الجبه مفتوح من الأمام ومزين بأزرار حول الصدر وبأكمام قصيرة تمتد حتى الكوع، وكان من الملابس الشعبية فى العصر الفاطمى. (أوراق البردى، ج٦، ص٩٤-٩٦، Dozy : vet, pp, 162 6 - 168).

- **الخليفة الصياد :**

لقب أطلق على الخليفة الفاطمى العزيز وذلك لشدة ولعه واهتمامه بالصيد. (كتاب البيزرة، ص ٧، ابن خلكان، وفيات، ج ٢، ص ١٥٢، خطط، ج ٢، ص٢٨٤).

- **خيال الظل :**

يقصد به الصور الظلية التى يعكسها الخيال المادى للشخوص من الدمى التى تقوم بالأدوار أمام الضوء الخلفى، فيشاهدها النظارة خيالات تتحرك أمامهم. (ابراهيم حمادة، خيال الظل، ص ١٥، ١٦).

(د)

- **دار الصناعة :**

المقصود بها دار صناعة السفن، وأول دار صناعة أنشئت في مصر في العصر الإسلامي هي دار صناعة الجزيرة في سنة ٥٤ هـ في ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر. (راجع : خطط، ج ٢، ص ١٩٥، ١٩٧).

- **دار الطيور :**

وهي مكان تربية طيور وحيوانات الصيد المختلفة في العصر الفاطمي. (خطط، ج ٢، ص ٢٠).

- **دار الفطرة :**

وهي عبارة عن مطبخ ضخم مخصص لصناعة أنواع الحلوى المختلفة، وبنيت هذه الدار في عهد الخليفة العزيز بالله وكان العمل يبدأ بها منذ النصف من شهر رجب ويستمر حتى قبيل عيد الفطر حيث تخرج منها أصناف الحلوى التي توزع على أرباب الرسوم في الدولة، كما كانت تغطي احتياجات القصر في الأعياد والمناسبات المختلفة من الحلوى. (مخطوط أخبار الدولة المنقطعة، لوحة ٥٣، خطط. ج ١، ص ٢٢٥، ٤٢٦).

- **الدراعة :**

نوع من الثياب تشبه الجبة مشقوقة من الأمام وغالباً ما تكون من الصوف وكانت من الملابس المميزة للوزراء في العصر الفاطمي الأول. (ابو شامة. الروضتين، ج ١، قسم ٢، ص ٤٩٩، Dozy : vet, p, 170).

(ر)

- **الراى :**

نوع من السمك فى حجم البورى يغلب عليه اللون الأحمر، وكان من أشهر الأطعمة التى يقبل عليها الناس فى العصر الفاطمى. (ديوان تميم، ص ٣٠٣، ديوان ظافر الحداد، ص ٥، ٦).

- **الركابية أو صبيان الركاب :**

فرقة عسكرية خاصة بالخليفة الفاطمى تقوم على حراسته والسير فى ركابه فى المواكب وكان عددهم يزيد على ألفى رجل. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٠، خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٤٩).

- **الرواسون :**

هم بائعو الرؤس والأكارع وكان لهم سوق كبير فى القاهرة يعرف بسوق الرواسين.(خطط، ج ٢، ص ٩٥).

(ز)

- **الزرابيل :**

نوع من الخفاف كانت ترتديه النساء. (صبح، ج ١، ص ٤٢٨، النجوم، ج ٥، ص ٣١).

- **الزلابية :**

نوع من الحلوى تصنع من الدقيق بعد عجنه وتخميره، ثم تقلى بزيت الشيرج وتؤكل بالعسل أو السكر. (الرازى، منافع الأغذية، ص ٥١، الشيرزى، نهاية الرتبة، ص ٢٥).

- **زمام القصور :**

من وظائف الأساتذة المحنكين فى القصر الفاطمى وعمله الإشراف على القصور الفاطمية. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- **زم الرجال :**

إذا كان صاحبها من الأساتذة المحنكين، كانت مهمته الإشراف على طعام الخليفة، أما إذا كان من غير المحنكين، فكان عمله الإشراف على طوائف الأجناد فى الجيش الفاطمى.(صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ٤٨٢).

- **زين الخزان :**

لقب كان يطلق على المرأة التى كانت تتولى الإشراف على خزانة الكسوة الباطنة الخاصة بملابس الخليفة الفاطمى والتى لا يغير الخليفة ثيابه إلا عندها. (خطط، ج ١، ص ٤١٣).

(س)

- **السرير الذهب :**

وهو مكان جلوس الخليفة الفاطمى فى صدر الإيوان الكبير بالقصر، وقد صنعه جوهر الصقلى من الذهب الخالص لمولاة المعز قبل وصوله إلى مصر وكان المعز أول من جلس عليه.(اتعاظ، ج١، ص١٣٦، خطط، ج١،ص٣٦٢، ٣٨٥).

- **السلاطون :**

نوع من الأقمشة اشتهرت بإنتاجها الدولة البيزنطية، وكانت تصنع غالباً من الحرير وخيوط الذهب. (Dozy : Supp, Dict, Ar).

- **السقيفة :**

موضع بالقصر الفاطمى كان من عادة الخليفة الجلوس فيه كل ليلة ليستمع إلى شكاوى الناس، فإذا ظلم أحد، وقف تحت السقيفة وقال بصوت مرتفع لا إله إلا الله محمد رسول الله، على ولى الله. فيسمعه الخليفة فيأمر بإحضاره أو يفوض أمره إلى أحد أعوانه. (خطط، ج ١، ص ٤٠٥).

- **سماط الحزن :**

يقصد به المائدة التى كانت تقام فى القصر الفاطمى فى ذكرى الاحتفال الحزين بيوم عاشوراء، وكانت تحوى أنواعاً من الأطعمة الفقيرة مثل العدس والمخللات والخبز المغير لونه.(خطط، ج ١، ص ٤٣١).

- **السنبوسك :**

تعريب لكلمة سنبوسة الفارسية ومعناها فطير بلحم مثلث الشكل، وطريقة صنعها أن يقطع اللحم قطعا صغيرة ويسلق إلى أن ينضج ثم يدق ويضاف إليه توابل ودهن وحمص ثم يوضع على النار فإذا نضج يضاف إليه بقدونس ويطيب بالخل أو ماء الليمون ثم يحشى فى الرقاق.(مخطوط الوصلة إلى الحبيب، ورقة ٢٢، حلمى سالم، المرجع السابق، ص ١٣٩).

- **السويق :**

ما أجيد طحنه من الحنطة أو الشعير أو الفول، وأحياناً يطحن مع الحبوب البلح أو السكر وفى هذه الحالة يمكن استخدام السويق فى صناعة شراب حلو، كما كان السويق يصنع من الفواكه بعد تجفيفها وقلبها وطحنها. (أوراق البردى، ج٦،ص١٦٩ ، ابن عبد ربه الطعام والشراب، ص ٧، Dozy : Supp, Dict, Ar).

- **السيدة علم الآمرية :**

لقب زوجة الخليفة الفاطمى الأمر، وغالباً ما كانت تنسب زوجات الخلفاء إليهم مثل " السيدة العزيزية " زوجة الخليفة الفاطمى العزيز. (خطط، ج ٢، ص٤٤٦).

(ش)

- **شاشية طميم :**

الشاشية ما يلبس على الرأس من قماش الشاش المعروف، وتوضع قبل لف العمامة، وقد تلبس على الرأس بدون عمامة، وهى أيضاً ما يدار حول العمامة، وطميم بمعنى رقيق.(القاموس المحيط، Dozy : vet, p, 240).

- **الشاهين :**

من جوارح الصقور التى تتميز بسواد عينيها وتعد أسرع الجوارح وأشجعها وأخفها وأشدها ضراوة على الصيد. (الغزولى، مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١٧، صبح، ج ٢، ص ٥٨).

- **شد التاج :**

من وظائف أرباب السيوف فى الدولة الفاطمية، وصاحبها يتولى شد تاج الخليفة وكانت تسند إلى أحد الاساتذة المحنكين (صبح، ج ٣، ص ٤٨٠، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- **شراب العسل :**

نوع من الشراب كانت تشتهر مصر بصناعته حتى أنه أطلق عليه الشراب المصرى، وكان يصنع من ماء النيل وقت الفيضان مضاف إليه العسل ويترك حتى يتخمر، كما كان يعرف أيضاً بنبيذ العسل. (ابن الفقية، مختصر كتاب البلدان، ص٦٦، الرازى، منافع الأغذية، ص ١٧).

- **الشرب :**

نوع من المنسوجات الكتانية الرقيقة كانت منها أصناف ملونة ومذهبة. (خطط، ج ١، ص ٢٦٦، Dozy, Supp, Dict, Ar).

- **الشقق :**

ضرب من الثياب القصيرة كانت تلبس فوق القميص. (ماير، الملابس المملوكية، ص ٤٠).

- **الشمسى :**

نوع من الشراب المخمر يدخل فى صناعته الزبيب والعسل. (خطط، ج ١، ص ٤٤).

- **الشهود العدول :**

هم أعوان القاضى لمساعدته فى التحقق من صحة الدعاوى المعروضة على مجلس القضاء، وكانوا يحضرون مجلس القاضى ويختارون بعناية من الأشخاص المشهود لهم بالأمانة فى الدين ولا يعين أحدهم إلا بإذن من الخليفة وتزكية عشرين عدلاً ممن سبقوه فى هذه الوثيقة. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٢، ٤٨٣، خطط، ج ١، ص ٣٨٦، ٤٠٤، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧).

(ص)

- **صاحب الباب :**

من أعظم وظائف أرباب السيوف بعد الوزير وكانت مهمته النظر فى المظالم إذا كان الوزير من أرباب الأقلام، أو مساعدة الوزير إذا كان من أرباب السيوف. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩، خطط، ج ١، ص ٤٠٢، ٤٠٣، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٦).

- **صاحب الدفتر :**

يتولى ما يعرف بدفتر المجلس وكان عمله الإشراف على الدواوين فى الدولة وغالباً يكون من الأساتذة المحنكين. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١. ص٣٨٦).

- **صاحب الرسالة :**

من أهم مهامه حمل الرسالة إلى الوزير لاستدعائه لحضور مجلس الخليفة ويتولاها أحد الاساتذة المحنكين. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص٣٨٦).

- **صاحب القلم الجليل :**

من وظائف أرباب الأقلام، ويتلخص عمله فى صياغة ما يشير به صاحب القلم الدقيق فى المظالم تمهيداً لعرضها على الخليفة. (صبح،ج٣، ص٤٨٧،٤٨٨).

- **صاحب المجلس :**

من وظائف أرباب السيوف فى الدولة الفاطمية، وكانت تسند إلى أحد الأساتذة المحنكين ويتولى صاحبها تنظيم مجلس الخليفة فى المناسبات المختلفة وكان يلقب بأمين الملك. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، خطط، ج ١، ص ٣٨٦).

- **الصبحة :**

وهو اليوم التالى لدفن الميت وكان العادة أن يجرى خلاله احتفال فى العصر الفاطمى يجتمع فيه الناس للاستماع إلى القرآن الكريم. (اتعاظ، ج ٣، ص ٦٧).

- **صبيان الحجر :**

هم جماعة من الشباب يناهزون خمسة آلاف نفر كانوا يقيمون فى حجر منفردة بجانب القصر الفاطمى وهم فى كامل العدة والاعداد ليلبوا أى نداء. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٧).

- **صبيان الخاص :**

وهم جماعة من أنصار الخليفة يمثلون حرسه الخاص ويبلغ عددهم حوالى خمسمائة فارس. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، خطط، ج ١، ص ٤٤٨).

- **صبيان الخف :**

طائفة من أهل برقة مدربة على آداء الألعاب البهلوانية وكان من عادتهم انتظار موكب الخليفة الفاطمى عند خروجه فى الأعياد لعرض ألعابهم أمامه عند باب القصر. (خطط، ج ١، ص ٤٥٧).

- **الصحناة والصير :**

الصحناة كلمة فارسية وهى ما يطلق عليه العرب الصير (الجواليقى، المعرب، ص ٢٦٤) والصير هى السمك الصغير الذى يعاد من النيل وقت الفيضان ولا يزيد حجمه عن الأصبع، ويسمى الملوحة إذا كبس بالملح، ويسمى البسارية إذا كان طازجاً. (مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، خطط، ج ١، ص ١٠٠).

- **صناع الخاص :**

وهم الصناع المهرة فى كل فن الذين كانوا يعملون داخل القصور الفاطمية مثل الخياطين والرفائين والأطباء وغيرهم. (صبح، ج ٣، ص ٥٢١، خطط، ج ١، ص ٣٩٩، ٤٠١، ٤٤٣).

- **الصولجان :**

من أدوات لعبة الكرة التى كانت منتشرة فى العصر الفاطمى وهو عبارة عن عصا مدهونة برأسها خشبة معقوفة. (صبح، ج ٢، ص ٤٧، ج ٥، ص٤٥٨، خطط، ج ٢، ص ١٩٨).

(ض)

- **الضاحكية :**

فرقة هزلية من أهل المغرب صحبت الخليفة المعز عند قدومه إلى مصر واستمرت تقوم بدورها فى التهريج والإضحاك والقيام بالالعاب التى تدخل البهجة على الخليفة وحاشيته. وكان أفرادها يرتدون ملابس هزلية تبعث على الضحك. (اتعاظ، ج ٣، ص ٥٧).

(ط)

- **الطباهجة المشققة :**

طباهجة كلمة فارسية معربة معناها الكباب، والطباهجة المشققة نوع من الطعام يصنع من اللحم المقطع شرائح ويقلى فى الدهن.

وإذا دق اللحم دقاً ناعماً وأضيف إليه البيض والبصل وقلى فى دهن الشيرج أطلق عليها "الكباب الشامي". (ابن عبد ربه، نفسه، ص ٩٨، ابن سيدة، المخصص، ص ١٢٧).

- **الطراز :**

كلمة فارسية الأصل بمعنى التطريز أو الثوب الموشى بأشرطة من الكتابة ثم أصبحت كلمة الطراز تطلق على المصانع التى تطرز فيها تلك الأشرطة وتعرف بدار الطراز. (الجواليقى، المعرب، ص ٢٧١، ٢٧٢، محمد عبد العزيز مرزوق، الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية، ص ٢١، ٢٢، ٢٥).

- **طيلسان :**

ثوب يلبس على الكتف مثل الطرحة، وغالباً ما يكون خال من التفصيل. وهو يشبه الإحرام المغربى. (ابن جبير، الرحلة، ص ٢٤، ٢٥، الجواليقى، المعرب، ص ٢٧٥، ج ١، ص ٤٢٨).

- **الطيلسان المقور :**

نوع من الطيالس كانت تخيط وتعمل بها فتحة تسع الرقة وتسدل على الأكتاف، والمقصود بالقوارة، ماقور من الثور أى قطع بقصد التفصيل. (ابن سيدة المخصص، ج ٤، ص ٦٨، ٧٩، ٨٧، اتعاظ، ج ١، ص ١٣٢).

(ع)

- **العجائز والأرامل :**

كانت بالقرافة فى العصر الفاطمى عدة دور يقيم فيها العجائز الأرامل العابدات، وكان يخصص لها الجرايات وتقام فيها مجالس الوعظ. (خطط، ج ٢، ص٤٤٦، ٤٥٤).

- **العشارى :**

نوع من المراكب الصغيرة التى كانت تستخدم كملحقات للمراكب الحربية وكان العشارى فى العصر الفاطمى يستخدم لنزه الخلفاء وكبار رجال الدولة فى النيل ويركبه الخليفة الفاطمى بمناسبة الاحتفال بتخليق عمود المقياس وفتح الخليج. (مخطوط الالمام بالاعلام، لوحة ١٢٤، خطط، ج ٢، ص ١٥٤، ١٥٥).

- **العقاب :**

من الطيور الجارحة ويعرف أيضاً بالعنقاء، وتمتاز العقاب بخفة جناحها وسرعتها فى الطيران ويمكنها صيد حمر الوحش، وأجود أصنافها ما يجلب من بلاد المغرب. (مطالع البذور، ج٢، ص٢١٢، نهاية الارب، ج١٠، ص١٨١-١٨٣).

- **العقيقة :**

أصل العقيقة الشعر الذى يولد به المولود، ثم سميت الشاة التى جرت العادة بذبحها أثناء حلق ذلك الشعر فى اليوم السابع للولادة عقيقة. (القاضى النعمان، دعائم الإسلام، ج ٢، ص ١٨٧).

- **العماريات :**

نوع من الهوادج يجلس فيه الأشخاص لسترهم وتحمل غالباً على الجمال ومفردها عمارية بتشديد الميم. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٧، حاشية (١) Dozy, Supp, Dict, Ar).

- **عيد الحلل :**

كان يطلق فى العصر الفاطمى على يد الفطر عيد الحلل، وذلك لتوزيع الكسوات فى مناسبته على جميع الناس من الخليفة إلى أدنى موظف فى الدولة وعائلاتهم والوافدين على الدولة وغيرهم. (خطط، ج ١، ص ٤٥٢، اتعاظ، ج٣، ص ٨٢، ٨٣).

(غ)

- **الغرة :**

وهى العملة التى جرت العادة بضربها فى الدولة الفاطمية بمناسبة الاحتفال بغرة السنة الهجرية الجديدة، وكانت توزع بهذه المناسبة على رجال الدولة وأرباب الرتب والوظائف حسب رتبة كل منهم. (صبح، ج ٣، ص ٥٠٥، خطط، ج ١، ص ٤٤٦، ٤٥٠).

- **الغلالة :**

ما يلبس تحت الثوب من رقيق المنسوجات، واشتهرت مصر بصناعة المنسوجات البيضاء الرقيقة التى تصنع منها غلائل النساء فى العصور الوسطى. (أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤، خطط، ج ١، ص ٤١٠، قاموس المحيط).

- **الغيار :**

كان المتعارف عليه فى العصور الوسطى الإسلامية أن يتميز أهل الذمة عن المسلمين فى ملابسهم، وكان اللون المميز لليهود الأصفر، والنصارى الأزرق،

ويشد الرجل منهم الزنار فى وسطه، وتشده المرأة فوق أزارها وتلبس المرأة الذمية خفين مختلفى الألوان. (صبح، ج ١٣، ص ٣٦٤، سيرة البيعة المقدسة، لوحة٥٤).

(ف)

- **الفانيذ :**

نوع من الحلوى التى تدخل فى صناعتها الدقيق والعسل. (Dozy : Supp, Dict, Ar).

- **الفستقية :**

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع فى ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه الفستق المدقوق ويطبخ حتى ينعقد ثم يرفع. (عبد اللطيف البغدادى، الافادة، ص ٤٢).

(ق)

- **القاتول :**

لقد أطلق على خيمة ضخمة تبلغ مساحتها حوالى فدانين كانت تعرف أيضاً بالثوب الكبير الأفضلى، وقد أطلق عليها القاتول لأنه عند بدء استعمالها فى أيام الوزير الأفضل بن بدر الجمالى تسببت فى قتل رجلين وإصابة جماعة من العمال. (خطط، ج ١، ص ٤٧٠، ٤٧١).

- **قاعة الذهب :**

أحدى قاعات القصر الكبير الشرقى أضافها الخليفة العزيز با لله إلى القصر وكانت أشبه بقصر مستقل حتى أنها عرفت بقصر الذهب وكان يعمل بها الأسمطة الضخمة فى الأعياد، ونصب بها سرير الملك بعد إنشائها. (خطط، ج ١، ص٣٦٢، ٣٨٥).

- **قبال النعل :**

زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها.(اتعاظ، ج٢، ص١٠١، القاموس المحيط).

- **قراء الحضرة :**

من الوظائف الدينية فى الدولة الفاطمية، وكانت مهمة أفرادها قراءة القرآن فى مجلس الخليفة ومصاحبته بالقراءة والتكبير فى بعض المناسبات. (صبح، ج ٣، ص ٥٢٢).

- **القرقورة :**

نوع من السفن الضخمة التى كانت تستخدم فى الأسطول الفاطمى لنقل المؤن والعتاد، وهناك نوع يستخدم للنزهة والتفرج على الاحتفالات فى النيل وكانت أقل حجماً من المستخدم فى الأسطول. (صبح، ج ٣، ص ٥١٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٦).

- **القصب :**

نوع من المنسوجات الكتانية الرقيقة الناعمة. (ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٦٤).

- **القصر الصغير الغربى :**

يعرف أيضاً بقصر البحر، بناه الخليفة العزيز با لله الفاطمى وكان يفصل بينه وبين القصر الكبير الشرقى ميدان بين القصرين. (خطط، ج ١، ص ٤٥٧).

- **القصر الكبير الشرقى :**

هو مقر سكنى الخلفاء الفاطميين فى القاهرة، ووضع جوهر أساسه فى نفس الليلة التى شرع فيها فى بناء القاهرة (شعبان سنة ٣٥٨ هـ يوليو ٩٦٩ م)

واستمر العمل فيه عدة سنوات حتى تم استقبال الخليفة المعز به فاصبح مقر الخلافة حتى نهاية الدولة الفاطمية. (خطط، ج ١، ص ٣٦١، ج ٢، ص ٣١٤).

- القصرية :

طائفة من الخدم كانت تسهر على خدمة الأميرة ست الملك بنت الخليفه العزيز با لله التى كانت تقيم فى القصر الصغير الغربى. (خطط. ج ١. ص ٤٥٧)

- القطائف :

نو ع من الحلوى المنتشرة فى العصر الفاطمى وخاصة فى شهر رمضان وكانت تصنع من العجين المحشو بالمسك والفستق وغيره من القلويات ثم يصاف إليها ماء الورد. (ديوان ظافر الحداد، ص ٧، ٨، ٣٢، ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٦٦، خطط، ج ١، ص ٤٥٢، ٤٩١).

- القلنسوة :

تلبس على الرأس مثل العمامة وهى ما يلاث على الرأس تكويرا. (ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٨١، ٨٢، قاموس المحيط).

- القميص :

من الملابس المنتشرة فى العصر الفاطمى، وكان يلبس فى ذلك الوقت فوق السروال ويصل فى الطول حتى منتصف الساقين وله كمان واسعان يصلان إلى المعصم. (أوراق البردى، ج ٦، ص ٧٣، ٧٤، - Dozy : vet, pp, 300 - 302).

(ك)

- كاتب الدست الشريف :

لقب كان يطلق على صاحب ديوان الإنشاء فى الدولة الفاطمية. (صبح ج٣. ص ٥٢٢. خطط. ج ١ ص ٤٦٩)

- **الكشكاب :**

نوع من شراب الفقاع كانت تنتشر صناعته فى المدن الساحلية المصرية ويصنع من دقيق الشعير بوجه خاص.(سفرنامة،ص٥٤، Dozy:Supp, Dict, Ar).

- **الكشك أو الكشكية :**

وهو ما هرس من الحنطة أو الشعير حتى ينسلخ قشره ثم يضاف إليه اللبن ثم يشكل كرات صغيرة ويترك ليجف، وكان يطبخ مع اللحم. (الخوارزمى، مفاتيح العلوم، ص ١٠٠، Dozy : Supp, Dict, Ar).

- **الكركى وجمعها كراكى :**

طائر يشبه الوز، أبتر الذنب، رمادى اللون، قليل اللحم، صلب العظم، يلوى الماء أحياناً. (نهاية الارب، ج١٠، ص١٨٧، صبح، ج ٣، ص ٦٢، ٦٣).

- **الكعك :**

نوع من الخبز اليابس كان منتشراً فى العصر الفاطمى، وكان يستخدم كطعام أساسى لرجال الأسطول لامكان تخزينه فترات طويلة دون أن يفسد. (الجواليقى، المغرب، ص ٣٤٥، خطط، ج ١، ص ٤٤).

- **الكلاب السلوقية :**

تنسب إلى قرية سلوقة باليمن، ويقال أن الكلاب تسفد الذئاب هناك فيتوالد بينهما هذا النوع من الكلاب. (مطالع البدور، ج ٢، ص ٢١١، نهاية الأرب، ج١٠، ص ١١٠).

- **الكلوتة :**

جمعها كلاوت وكلوتات، نوع من الطواقى كان يرتديها علية القوم وعلى رأسهم الخلفاء، كما كان نوع منها يرتديها بحارة الأسطول فى العصر الفاطمى. (ديوان تميم، ص ٣٥٣، خطط، ج ١، ص ٤٧٢).

- **الكنافة :**

نوع من الحلوى كانت منتشرة في العصر الفاطمي، وكانت تصنع من العجين المخبوز على هيئة خيوط النسيج ثم يضاف إليها ما يناسبها من السكر والقلويات. (ديوان ظافر الحداد، ص ١٣٢، مطالع البدور، ج ٢، ص ٨٤).

(ل)

- **اللبنية :**

ضرب من الحلوى يدخل في تكوينها الأرز واللبن والسمن. (الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٤).

- **اللبيس :**

نوع من السمك يشبه البورى وقد أطلق عليه ذلك لأنه التبس به. (مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة ٥٢).

(م)

- **متولى الأسود :**

من أرباب الوظائف في الدولة الفاطمية، وكان عمله الإشراف على الأسود وتدريبها.(اتعاظ، ج ٢، ص ٤٨).

- **متولى صناديق الإنفاق :**

كان صاحب هذه الوظيفة يسير في ركاب الخليفة في المراكب حاملاً حقيبة من الديباج بها خمسمائة دينار لتكون رهن تصرف الخليفة إذا رغب في الأنعام أو التصدق على أحد.(خطط، ج ١، ص ٤٨١، ٤٨٤).

- **المزر :**

نوع من الشراب يتخذ من دقيق القمح بعد تخميره وكان من الأشربة الشعبية وخاصة فى الأعياد. (عبد اللطيف البغدادى، الإفادة، ص ٤٣).

- **المستخدمات :**

لقب كان يطلق علي جوارى الخدمة فى القصور الفاطمية، وكان بعضهن يجدن أنواع معينة من الصنائع فكان يطلق عليهن المستخدمات أرباب الصنائع. (خطط، ج ١، ص ٤١١).

- **المستخدمات عند الجهات العالية :**

وهن جوارى الخدمة فى القصر الفاطمى اللاتى يخصصن لخدمة زوجات الخليفة وحظاياه المقربين. (خطط، ج ١، ص ٤١١).

- **المشاهد الشريفة :**

وهى بعض مشاهد آل البيت التى كان الناس يتبركون بزيارتها فى المناسبات المختلفة وهى مشهد زين العابدين بن الحسين بن علي، ومشهد السيدة نفيسة، ومشهد السيدة كلثوم.(خطط، ج ٢، ص ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٢).

- **المعلمة مقدمة المائدة :**

من وظائف النساء فى الدولة الفاطمية، وهو لقب كان يطلق على المرأة التى تشرف على المائدة الشريفة الخاصة بالخليفة. (خطط، ج ١، ص ٤١١، ٤٢١).

- **مقدم البيازرة :**

هو رئيس البيازرة والمسئول عن دار الطيور التى كانت تربى فيها الطيور والحيوانات المختلفة المدربة على الصيد، وكان يطلق عليه أيضاً زمام البيازرة. (أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٩٤، ١٩٥، ج ٢، ص ٢٠).

- **مقدم الخياطين :**

هو رئيس الخياطين في القصر الفاطمي وكان يعرف أيضاً بصاحب المقص. (صبح، ج ١٠، ص ٣٤٦، خطط، ج ١، ص ٤١٣).

- **مقياس النيل :**

عمود من الرخام الأبيض مثمن الشكل ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه وهذا العمود مقسم إلى اثنين وعشرين ذراعاً وكل ذراع مقسمة إلى أربعة وعشرين قسماً تعرف بالأصابع، ما عدا الاثني عشر ذراعاً الأولى، فإن كل ذراع منها مقسمة إلى ثمان وعشرين أصبعاً. (ابن جبير، الرحلة، ص ٢٩، ٣٠، وابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ص ١١٤، خطط، ج ١، ص ٩٥) وكان النيل يبلغ معدله في الوفاء عندما يبلغ ارتفاع الماء في المقياس ستة عشر ذراعاً. (مخطط، ج ١، ص ٤٦٧).

- **الملابس الدارية :**

المقصود بها الملابس التي ترتدى داخل القصور أو الدور وهي تختلف عن الملابس التي ترتدى خارجها ببساطتها واتساعها. (صبح، ج ٣، ص ٥١٨. خطط، ج ١، ص ٤١٣، اتعاظ، ج ٢، ص ٤٤).

- **ملعبة :**

ثوب بدون أكمام كان يختص العجانون بارتدائه. (ابن سيدة، المخصص. ج١٣، ص ١٦، الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٢٥).

- **المنديل :**

مصطلح يحمل العديد من المعاني وله كثير من الأغراض، فهو يحمل معنى قماش العمامة التي تلف حول الرأس. (اتعاظ، ج ٣، ص ١٤٨، ٢٤٨) كما كان يستخدم لأغراض مسح اليد والوجه. (الذخائر والتحف، ص ٢٥٩، خطط، ج١. ص ٤٧١، ٤٧٤). وكان يعني أحياناً اللفة التي توضع فيها الملابس. (اتعاظ. ج٢، ص ٩، ج ٣، ص ٦٥، Dozy : Supp, Dict, Ar, vet, p, 414).

- **منديل الجوهر :**

المقصود به عمامة الخليفة الفاطمي وذلك لكثرة ما تحويه من الجواهر الثمينة، كما كان يطلق عليها أيضاً شدة الوقار، أو التاج الشريف. (تاريخ أبى صالح الأرمنى، ص ٣٢، ج ٣، ص ٤٦٨).

- **منظرة :**

وهى شرفة كان يتطلع منها الخليفة الفاطمى إلى الناس أثناء الاحتفالات المختلفة بحيث يشاهد ما يجرى ولا يشاهده أحد فى الغالب وأحياناً كان يظهر للناس لينالوا البركة ومن أمثلة تلك المناظر، منظرة الجامع الأزهر. (خطط، ج ١، ص ٤٦٥) وكان بعضها يعد من أجمل القصور وأفخمها مثل منظرة اللؤلؤة. (خطط، ج ١، ص ٤٦٧)، ومنظرة السكرة.(خطط، ج ١، ص ٤٧٠).

(ن)

- **الناطف :**

نوع من الحلوى يدخل فى صناعتها العسل أو السكر بالإضافة إلى الفستق والبندق.(الرازى، منافع الأغذية، ص ٥١، خطط، ج ١، ص ٤٢٢).

- **ناظر الطراز :**

من وظائف الدولة الفاطمية يشرف صاحبها على توريد المنسوجات من دور الطراز إلى خزائن الكسوة بالقصر، وكان يتمتع بمكانة مرموقة. (خطط، ج ١، ص٤٦٩).

- **النجوى :**

كان داعى الدعاة فى الدولة الفاطمية يحصل من أنصار المذهب الاسماعيلى على مبلغ من المال ويسجل أسماء من يدفع تلك الأموال ومقدارها وذلك أثناء مجالس الدعوة التى يعقدها للمريدين وكانت تلك الأموال يطلق عليها النجوى ويحددها المقريزى بثلاثة دراهم وثلث وكانت تحمل إلى بيت المال. (خطط، ج ١، ص ٣٩١، اتعاظ، ج ٣، ص ٣٣٧).

- **نقابة الطالبيين :**

كانت رئاستها تسند إلى أحد شيوخ الأساتذة من غير المحنكين أو أحد الأشراف المميزين أو الشهود المعدلين ويقوم بالنظر فى مصالح الأشراف الطالبيين. (صبح، ج ٣، ص ٤٨١، ٤٨٢).

- **النقانق :**

نوع من الطعام كان يصنع بحشو أمعاء الحيوانات المذبوحة باللحم المدقوق مضاف إليه البصل والتوابل. (الشيزرى، نهاية الرتبة، ص ٣٨).

- **نقباء الأمراء :**

من وظائف أرباب السيوف فى الدولة الفاطمية، ومن أبرز مهامهم إمداد ديوان الجيش بأحوال الأجناد من الحياة والموت والغيبة والحضور لتسجيلها. (صبح، ج ٣، ص ٤٨٨).

- **نقيب الأشراف :**

من وظائف الأساتذة المحنكين فى الدولة الفاطمية وكانت مهمته الإشراف على شئون الأشراف الأقارب أو الإسماعيليين وهم أفراد الأسرة الفاطمية. (صبح، ج ١٠، ص ٣٩٥، ٣٩٦).

- **النيدة :**

نوع من الأطعمة كانت تصنع من القمح المطبوخ ويذر عليه الدقيق حتى يتماسك قوامه ويطلق عليها " نيدة البوش "، وهناك نوع آخر تسمى " النيدة المعقودة " يستعاض فى صناعتها عن الدقيق بالنشا لتزداد حلاوتها، كما تعرف أيضاً بحلاوة القمح. (عمر بن يوسف، فضائل مصر، ص ٦٩، البغدادى، الافادة، ص ٤١، ابن سعيد، النجوم، ص ٥٨).

(هـ)

- **الهريسة :**

نوع من الأطعمة التي كانت منتشرة في العصر الفاطمي، تدخل في صناعتها لحوم الحيوانات أو الطيور ودقيق القمح، بالإضافة إلى البصل والتوابل. (الشيزري، نهاية الرتبة، ص ٣٦، مخطوط الوصلة إلى الحبيب. ورقة ١٠٥).

- **هريسة الفستق :**

نوع من الهريسة كانت تصنع من لحم الدجاج بإضافة الفستق إليه وغالبا ما تكون محلاة.(البغدادى، الافادة، ص ٤٢).

(و)

- **الوردية :**

ضرب من الحلوى كانت تصنع من الدجاج المسلوق الذى يوضع في ماء الورد المغلى مع السكر ويضاف إليه الورد، ويطبخ حتى ينعقد ثم يرفع. (البغدادى، الافادة، ص ٤٢).

- **الوزارة الصغرى :**

من ألقاب صاحب الباب في الدولة الفاطمية لأن وظيفته تلى الوزير في الأهمية. (صبح، ج ٣، ص ٤٧٩).

- **الوزيرية :**

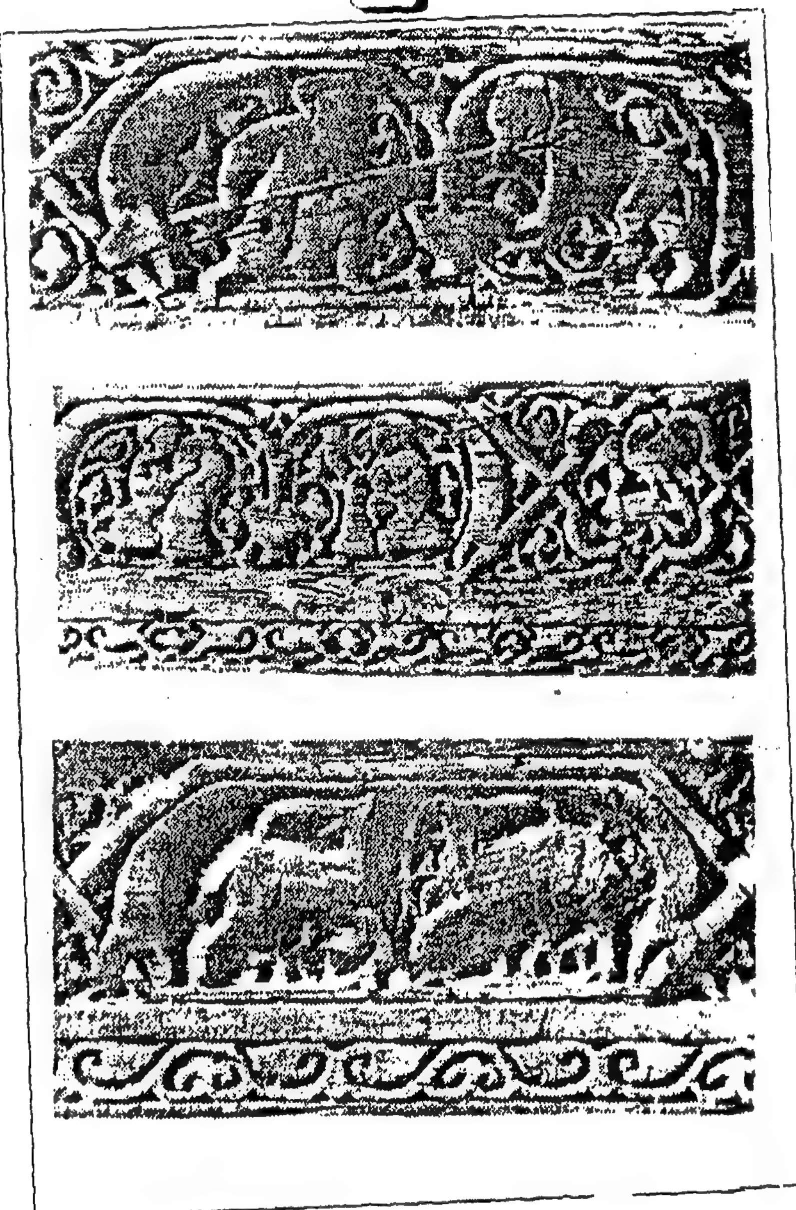
طائفة من الجند الفاطمى تنسب إلى الوزير يعقوب بن كلس، وتكونت نواتها عندما أهدى الخليفة العزيز إلى وزيره سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م ألفاً وخمسمائة غلام. (ابن الصيرفى، الإشارة، ص ٢١، مخطوط أخبار الدول المنقطعة، لوحة٥٣).



لوحة (١)

حشوة من العاج مزينة برسم رجل وتابعه من العصر الفاطمى، وتلاحظ العمامة ذات العقدة، والجبة ذات الأكمام الواسعة.

(عن : متحف الفن الإسلامى بالقاهرة رقم ٣٨ / ١٥٦٢٢).



لوحة (٢)

لوحات خشبية منحوتة من آثار القصر الغربي "قصر العزيز بالله"

(عن كتاب مساجد القاهرة ومدارسها للدكتور أحمد فكري)



لوحة (٣)

حشوة خشبية فاطمية عليها رسوم آدمية فى منظر رقص وكذا رسم حيوانى

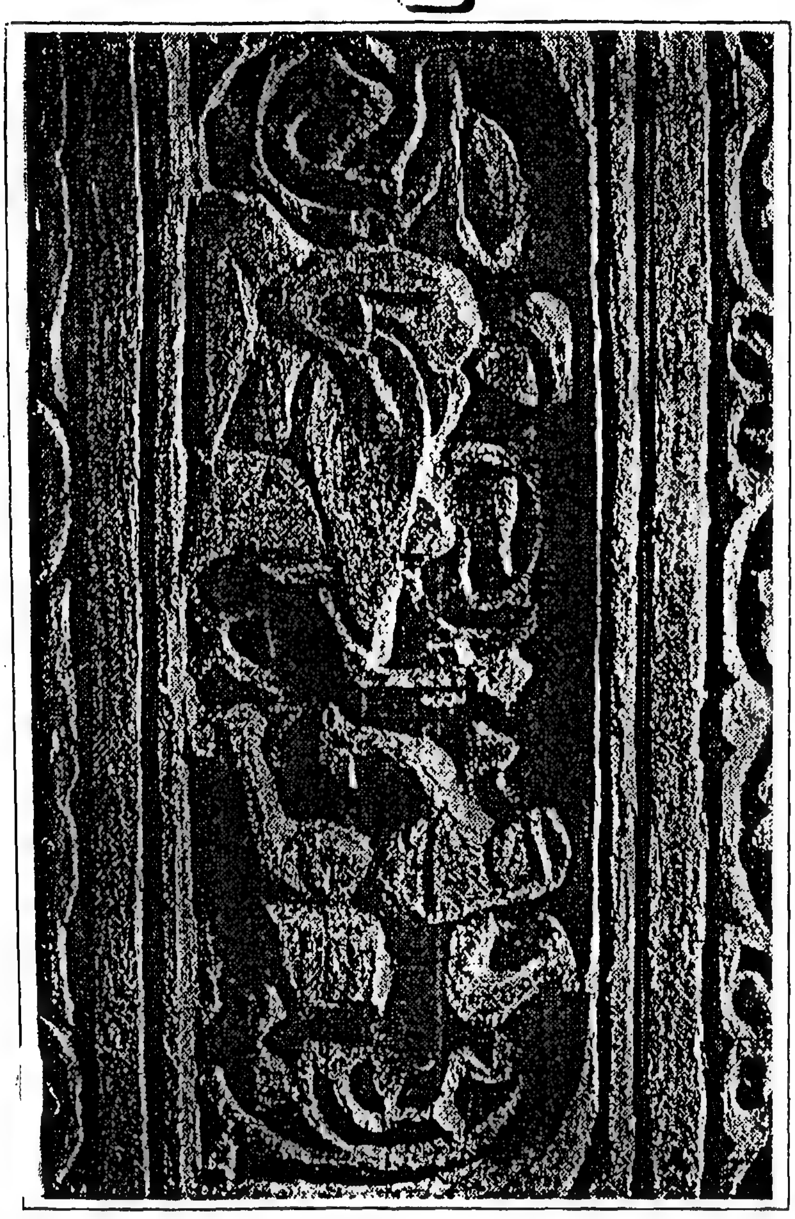
(عن : كتاب القاهرة فى ألف عام)



لوحة (٤)

طبق من الخزف من صناعة مصر فى العصر الفاطمى، عليه رسم سيدة تعزف على الجيتار ذات الوترين

(عن : كتاب القاهرة فى ألف عام)



لوحة (٥)

جزء من لوح خشبي من مخلفات القصر الفاطمي الغربي، نقش عليه بالحفر البارز رسوم تمثل عازف على العود وراقص أو راقصة

(عن كتاب القاهرة في ألف عام)



لوحة (٦)

طبق من البريق المعدني من العصر الفاطمي عليه رسم راقصة بملابسها التقليدية لمصرية في القرن ٦ هـ (عن كتاب القاهرة في ألف عام)



لوحة (٧)

قطعة من الخزف الفاطمى عليها رسوم آدمية تمثل لعبة التحطيب التى انتشرت فى مصر منذ أقدم العصور



لوحة (٨)

جزء من أخشاب القصر الفاطمى الغربى نقش عليه بالحفر البارز رسوم آدمية

تمثل لعبة التحطيب و مبارزة عسكرية

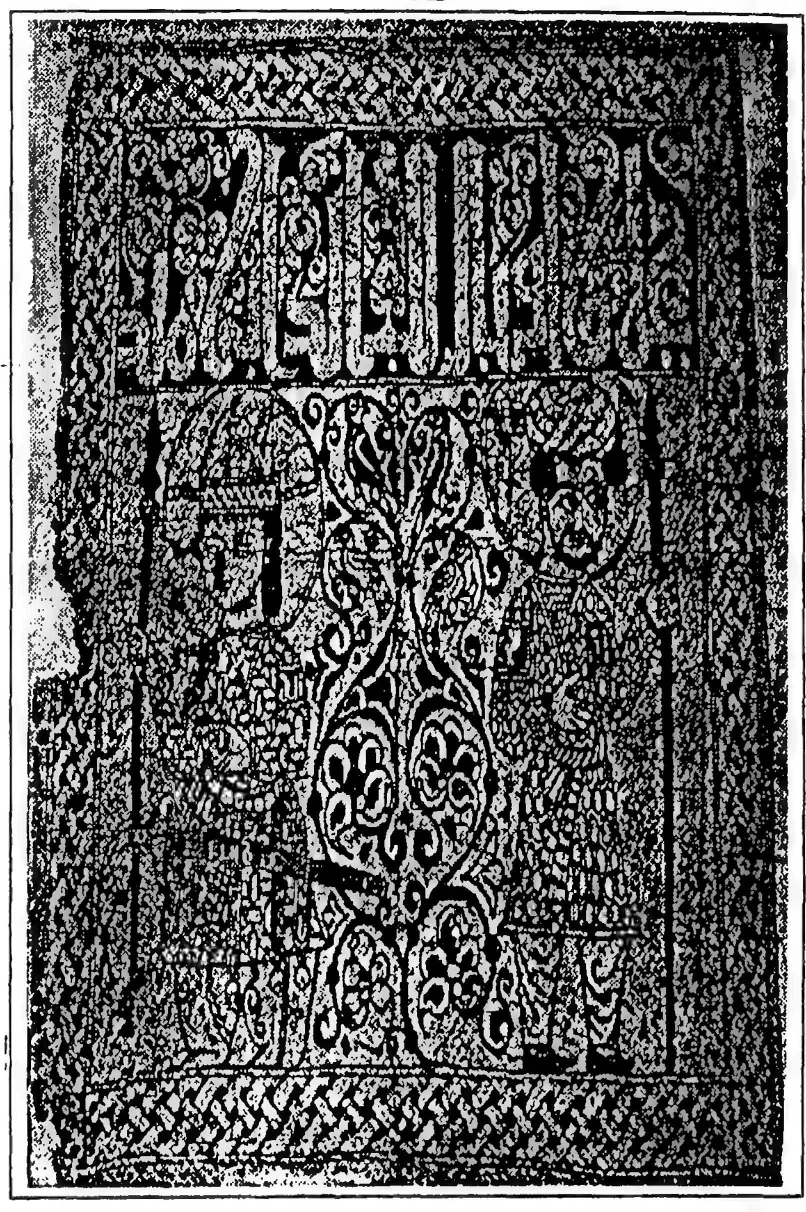
(عن كتاب القاهرة فى ألف عام)

لوحة (٩)

قطعة من طبق تحمل رسم سيدة تمسك كأساً وقارورة من العصر الفاطمي،

مع ملاحظة هيئة العصابة والثوب ذي الأكمام الواسعة والحلي

(عن : متحف الفن الإسلامي رقم ١٠٩ / ٤٩٨٧)



لوحة (١٠)

رسم بالحبر على ورق يمثل محاربين من العصر الفاطمى

(عن : متحف الفن الإسلامى رقم ٢٧٣ ١٣٧٠٣)



لوحة (١١)

قطع من العاج من العصر الفاطمى منقوش عليها بين الزخارف النباتية

صور أشخاص وحيوانات

(عن كتاب تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم)

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة :

- الأزدى (جمال الدين على بن ظافر) : ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م

اخبار الدول المنقطعة، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٨٩٠.

- بيبرس (الدوادار) : ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م

زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، مخطوط مصور بجامعة القاهرة فى مجلدين تحت رقم ٢٤٠٢٦، ٢٤٠٢٨.

- ابن الجوزى (أبو المظفر بن قيزوغلى) : ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م

مرآة الزمان، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٥١ تاريخ، ج ١١، ج١٢.

- الحافظ السلفى (أبو طاهر أحمد بن محمد الاصبهانى) : ت ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م

معجم السفر، مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٣٩٣٩ ب.

- الداودارى (أبو بكر بن عبد الله بن ايبك) : (أتم الكتاب سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

درر التيجان وعرر تواريخ الأزمان، مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٣٨٢٨ ج.

-أبو السرور البكرى (شمس الدين محمد بن احمد) : ت ١٠٦٠ هـ ١٦٥٠ م

الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة، مخطوط مصور بمكتبة الإسكندرية رقم ٦٨٠١ ج.

- شهاب الدين الحجازى : نيل الرائد من النيل الزائد

مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٣٦٩٨ ب.

- طيبوغا الاشرفى : (كان موجود فى النصف الثانى من القرن ٨ هـ)

الجهاد والفروسية وفنون الآداب الحربية، مخطوط بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ١٢٠١ ب فنون حربية.

- أبو العباس أحمد بن محمد الشافعى : ت ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م

الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد، مخطوط بمكتبة الإسكندرية رقم ٢٥٩١ د.

- العينى (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى) : ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م

عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ ٢ ج ١٩.

- القضاعى (القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة) : ت ٤٠٤ هـ / ١٠٦٢ م

تاريخ القضاعى، مخطوط مصور بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٦٨٠١ ج.

عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف، مخطوط بدار الكتاب رقم ١٧٧٩.

- مرعى بن يوسف بن أبى بكر : ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م

مخطوط نرهه الناظرين فيمن ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، نسخة خطية بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ١٤١٦ ج.

-مجهول :

شرح اللمعة من أخبار المعز، نسخة مصورة بجامعة القاهرة، رقم ٢٤٠٢٢.

فى التاريخ، نسخة خطية بمكتبة محافظة الإسكندرية رقم ٤٠٣٢ د.

الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب، دار الكتب رقم ٧٤ صناعات.

– ميخائيل (الأنبا) :

ذيل سير الآباء البطارقة، الجزء الثالث، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٦٤٣٤ ح.

– النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م

نهاية الأرب فى فنون الادب، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٥٤٩ معارف عامة، ج ٢٦.

– النويرى السكندرى (محمد بن قاسم بن محمد المالكى) : عاش فى القرن الثامن الهجرى

الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام المقضية فى وقعة الإسكندرية مخطوط مصور بكلية الآداب بالإسكندرية رقم ٦٦٧ م (نسخة برلين).

ثانياً : المصادر العربية :

– ابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد الجزرى) : ت ٦٣٠ هـ / ١٣٣٢ م.

الكامل فى التاريخ، ١٢ جزء، القاهرة، ١٣٠٣ هـ.

ابن الاخوة (محمد بن محمد بن أحمد) : ت ٧٢٩ هـ ١٣٢٩ م

معالم القربة في احكام الحسبة. تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان. القاهرة. ١٩٧٦

-الادفوى (أبو الفضل جمال الدين جعفر بن ثعلب) . ت ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. تحقيق سعد محمد حسن. القاهرة. ١٩٦٦م.

- الأزدى (جمال الدين على بن ظافر) : ت ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م

بدائع البدائة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٠ م.

- ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد) : ت ٦٦٧ هـ / ١٢٧٠ م

عيون الأنباء في طبقات الاطباء، جزءان، القاهرة، ١٢٩٩ هـ.

- الأنطاكى (داود) : ت ١٠٠٨ هـ / ١٥٩٩ م

تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب. القاهرة، ١٩٢٦ م.

- الأنطاكى (يحيى بن سعيد) : ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦م

صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، ١٩٠٩.

- ابن الأكفانى (محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى) : ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م

نخب الذخائر فى أحوال الجواهر. تحقيق مانستاس مارى، القاهرة. ١٩٣٩م.

- ابن إياس (أبو البركات محمد بن احمد) : ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م

بدائع الزهور في وقائع الدهور. ٣ أجزاء، بولاق. ١٣١١ هـ.

– البغدادى (موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف) : ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م

الإفادة والإعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.

– ابن بسام (محمد بن احمد)

أنيس الجليس في أخبار تنيس، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، بغداد، ١٩٦٧.

– البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز) : ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ م

المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغوب، الجزائر، ١٩١١.

– بنيامين (ابن يونه التطيلى الاندلسى) : ت فى النصف الثانى من القرن السادس

رحلة بنيامين (٥٦١ – ٥٦٩ هـ) ترجمة وتحقيق عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥.

– ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله الأندلسى) : ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، بولاق، ١٢٩١ هـ.

– ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف) : ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٥ م

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٩٦٣م.

– تميم (أبو على بن المعز لدين الله) : ت ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م

ديوان تميم، القاهرة، ١٩٥٨ م.

– التيفاشى (أحمد بن يوسف) ت : ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م

أزهار الافكار فى جواهر الأحجار، تحقيق دكتور محمد يوسف حسن. القاهرة، ١٩٧٧م.

– الثعالبى (أبو منصور بن الملك بن محمد) : ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م

يتيمة الدهر، ج ١، بيروت، ١٩٧١م.

–ابن جبير (ابو الحسن محمد بن أحمد) : ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م

رحلة بن جبير، بيروت، ١٩٦٤م.

– جروهمان (أدولف)

أوراق البردى العربية، ٦ أجزاء، القاهرة ١٩٣٤م – ١٩٧٤م.

– الجواليقى (موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر) ت : ٥٤٠ هـ / ١١٤٥م

المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة، ١٩٦٩م.

– ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى) : ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م

رفع الإصر عن قضاة مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

–ابن حجلة (شهاب الدين بن العباسى أحمد بن يحيى) : القرن ٨ هـ

سكردان السلطان، القاهرة، ١٣١٧ هـ.

–الحداد (أبو منصور ظافر بن القاسم السكندرى) : ت ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م

ديوان ظافر الحداد، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٩٦٩م.

–أبو الحسن بن عبد الله (من علماء القرن ٧ هـ)

بلغة الظرفاء فى ذكر تاريخ الخلفاء. القاهرة، ١٣٢٧ هـ.

–ابن حماد (القاضى أبو عبد الله محمد بن على)

أخبار ملوك بن عبيد وسيرتهم، الجزائر، ١٣٤٦ هـ.

–ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادى) ت : ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م

صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٨.

–ابن خلكان (شمس الدين ابو العباس أحمد) : ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م

وفيات الأعيان، جزءان، بولاق، ١٣١٠ هـ.

–الخوارزمى

مفاتيح العلوم، القاهرة، ١٣٤٢.

–الداودارى (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك) : من علماء أواسط القرن ٨ هـ

الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق دكتور صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م.

– ابن دقماق (إبراهيم بن محمد المصرى) : ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م

الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٤، ج ٥، بولاق، ١٣٠٩.

–الدمشقى (أبو الفضل جعفر بن على) : القرن ٦ هـ.

الإشارة إلى محاسن التجارة، القاهرة، ١٣١٨ هـ.

–الرازى (أبو بكر محمد بن زكريا) : ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢م.

منافع الأغذية ودفع مضارها، القاهرة، ١٣٠٥م.

– ابن الراهب (أبو شاكر بطرس) : ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م

تاريخ أبى شاكر، بيروت، ١٩٠٣.

-ابن رسته (أبو على أحمد بن عمر) : ت أوائل القرن الرابع الهجرى

الأعلاق النفيسة، مجلد ٧ من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٩٢م.

-ابن الزبير (القاضى الرشيد)، كان معاصراً للشدة العظمى سنة (٤٥٧ - ٤٦٤هـ)

الذخائر والتحف تحقيق محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩م.

-السجلات المستنصرية

تحقيق دكتور عبد المنعم ماجد، القاهرة، ١٩٥٤م.

- ابن سعيد (أبو الحسن على الأندلسى وآخرون) : ت ٦٨٥ هـ / ١٢٧٤م

النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٩٧٠ م.

المغرب فى حلى المغرب (القسم الخاص بالفسطاط) تحقيق دكتور زكى محمد حسن، القاهرة، ١٩٥٣م.

-ابن سيدة (أبو الحسن على بن إسماعيل الأندلسى) : ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م

المخصص، ٢٠ جزء، بولاق، ١٣١٦ هـ

-السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال) : ت ٩١١، ١٥٠٥م.

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، جزءان، القاهرة، ١٣٢١ هـ.

تاريخ الخلفاء أمراء المسلمين، القاهرة، ١٩٥٢ م.

بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، جزءان، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٤م.

-الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد) : ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م

كتاب الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بغداد، ١٩٥١ م.

-ابن شاكر (محمد الكتبي) : ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م

فوات الوفيات، تحقيق دكتور إحسان عباس، ٤ مجلدات، بيروت. ١٩٧٣م.

-أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل) : ت ٦٦٥ هـ / ١١٤٧ م

الورضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق دكتور محمد حلمي، القاهرة، ١٩٦٢م.

-أبو شجاع (محمد بن الحسين بن عبد الله) : ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م

ذيل تجارب الأمم، القاهرة، ١٩٢٣م.

-ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن) : ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٤م.

-الشهرستاني (محمد عبد الكريم بن أحمد) : ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م

كتاب الملل والنحل، القاهرة، ١٩٧٧م.

-الشيزري (عبد الرحمن بن نصر) : ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م.

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الدكتور الباز العريني، القاهرة، ١٩٤٦م.

-ابو صالح الأرمني : ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م

تاريخ أبى صالح المعروف بكتاب كنائس وأديرة مصر، اكسفورد، ١٨٩٥م.

-أبو الصلت (أمية بن عبد العزيز الأندلسى) : ت ٥٢٨ هـ / ١١٣٢م

الرسالة المصرية، تحقيق عبد السلام هارون، سلسلة نوادر المخطوطات، مجلد ١، القاهرة، ١٩٧٣م.

-ابن الصيرفى (أبو القاسم على بن منجب) : ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م

الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة، ١٩٢٤م.

-الطرطوشى (أبو بكر محمد بن الوليد الأندلسى) : ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م

سراج الملوك، القاهرة، ١٣١١ هـ.

-ابن ظهيرة : عاش فى القرن التاسع الهجرى

الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٦٩م.

-ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد) : ت ٣٤٩ هـ / ٩٤٠ م

العقد الفريد (كتاب الطعام)، بيروت، ١٩٥٤ م.

-أبو عبد الله الحسن بن الحسين (معاصر للعزيز والحاكم)

كتاب البيزرة، تحقيق محمد كرد على، دمشق، ١٩٥٣م.

-ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشى) : ت أواخر القرن ٧ هـ

البيان المغرب فى أخبار المغرب، جزءان، بيروت، ١٩٥٠ م.

-العماد الأصفهانى (محمد بن عبد الله بن على) : ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م

خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، جزءان، القاهرة. ١٩٥١.

قسم شعراء المغرب، تونس، ١٩٦٦.

-عمارة اليمني (أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الملقب بنجم الدين) : ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م

النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية، شالون. ١٨٩٧ م.

-العمرى (ابن فضل الله شهاب الدين أبو العباسى أحمد) : ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م

مسالك الأبصار، ج ١، تحقيق دكتور أحمد زكى، ١٩٢٤ م.

-الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى) : ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م

مطالع البدور فى منازل السرور، جزءان، القاهرة، ١٢٩٩ - ١٣٠٠ هـ.

-ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى) : ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م

عيون الأخبار، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٧٣ م.

-القلقشندى (أبو العباس أحمد) : ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م

صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ١٤ جزء، القاهرة، ١٩٦٣م.

مآثر الانافة فى معالم الخلافة، ٣ أجزاء، تحقق عبد السلام فراج، الكويت، ١٩٦٤م.

-القفطى (جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف) : ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م

إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ليبزج، ١٩٠٣ م.

أنباه الرواة على أنباء النحاة، ٤ أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م.

-ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة) : ت ٥٥٥ / ١١٦٠ م

ذيل تاريخ دمشق، بيروت، ١٩٠٨ م.

-ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبى الفدا) : ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م

البداية والنهاية فى التاريخ، ١٤ جزء، القاهرة، ١٩٥٧م.

-الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) : ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م

كتاب الولاة والقضاة والذيل، بيروت، ١٩٠٨م.

-ابن الكندى (عمر بن محمد بن يوسف) : ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى

فضائل مصر، تحقيق دكتور إبراهيم العدوى، ١٩٧١م.

-مجموعة الوثائق الفاطمية

تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٥ م.

-مجهول : أحد رهبان دير السيدة برموس

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، جزءان، القاهرة، ١٩٢٣ م.

-المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦م.

-المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) : ت ٨٤٥ / ١٤٤١ هـ

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، بولاق، ١٢٧٠ هـ.

اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج ١، تحقيق دكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٧، ج ٢، ج ٣، تحقيق دكتور محمد حلمي، القاهرة، ١٩٧١، ١٩٧٣م.

إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقق دكتور جمال الدين الشيال، ١٩٥٧.

-المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على) : ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقق محيى الدين عبد الحميد، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٥٨م.

-ابن منقذ (أسامة) : ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م

كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، الولايات المتحدة، ١٩٣٠م.

-المؤيد فى الدين (هبة الله بن موسى بن داود الشيرازى) : ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م

سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تحقيق دكتور محمد كامل حسين، القاهرة، ١٩٤٩م.

المجالس المؤيدية، تحقيق دكتور محمد عبد القادر، القاهرة، ١٩٧٥ م.

-ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن جلب) : ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م

تاريخ مصر، القاهرة، ١٩١٩م.

-ناصر (خسرو علوى) : ت ٤٨١ هـ / ١١٨٨ م

سفرنامة، ترجمة دكتور يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥ م.

-النعمان (القاضى أبو حنيفة بن محمد بن حيون المغربى) : ت ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م

افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوى، تونس. ١٩٧٥م.

المجالس والمسايرات، مطبوعات الجامعة التونسية، تونس. ١٩٧٨م

دعائم الإسلام، جزءان، تحقيق. آصف بن على أصغر، القاهرة، ١٩٦٥ - ١٩٦٩م.

-النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م

نهاية الأرب فى فنون الأدب، الأجزاء المطبوعة (١٩٣٤ - ١٩٧٨).

-الهمذانى (أبو بكر أحمد بن ابراهيم)

مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٨٨٥ م.

-ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى) : ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م

معجم الأدباء، ٢٠ جزء، القاهرة، ١٩٣٨ م.

معجم البلدان، القاهرة، ١٩٠٦، بيروت ١٩٥٥م.

ثالثاً : المراجع الحديثة :

-الأعظمى (الأستاذ محمد حسن)

الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والإثنى عشرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

-أمين (دكتور أحمد)

ضحى الإسلام، القاهرة، ١٩٧٤م.

-الأهوانى (دكتور أحمد فؤاد)

التربية فى الإسلام، القاهرة، ١٩٦٨م

-الباشا (دكتور حسن)

طبق من الخزف باسم غين، مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مايو ١٩٥٦. (ص ٧١ - ٨٥).

القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة، ١٩٧٠ م.

-بدوى (دكتور أحمد)

ديوان طلائع بن رزيك، القاهرة، ١٩٥٨ م.

-البراوى (دكتور راشد)

حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨ م.

-بهجت (الأستاذ على)

صناعات النسيج فى مصر فى العصور الوسطى، مقال بمجلة المعهد الفرنسى، القاهرة، ١٩٠٣ م.

-جمال محرز

منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط، مقال فى كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، القاهرة، ١٩٧٠م.

-الجندى (الأستاذ عبد الحليم)

الإمام الشافعى، القاهرة، ١٩٧٧م.

-حسن (دكتور ابراهيم حسن)

تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨م.

-كنوز الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨م.

-حسين (دكتور محمد كامل).

فى أدب مصر الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٣م.

-حماده (الأستاذ ابراهيم)

خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، القاهرة، ١٩٦٣م.

-خليفة (الاستاذ سيد محمد)

تاريخ المنسوجات، القاهرة، ١٩٦١م.

دليل متحف الفن الإسلامى، القاهرة، ١٩٥٢م.

-زكى (الدكتور عبد الرحمن)

القاهرة : تاريخها وآثارها، القاهرة، ١٩٦٦م.

الجيش المصرى فى العصر الإسلامى، ج ١، القاهرة، ١٩٧٠م.

امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك، مقال فى كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، القاهرة، ١٩٧١م.

-سالم (دكتور حلمى محمد)

حرف وصناعات الأطعمة والأشربة فى مصر فى العصر المملوكى، رسالة دكتوراه لم تنشر، كلية آداب الإسكندرية، ١٩٧٠م.

-سالم (دكتور السيد عبد العزيز)

تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، ١٩٦١م.

تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، بيروت، ١٩٦٢ م.

-سرور (دكتور محمد جمال الدين)

مصر فى عصر الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٥م.

-الشيال (دكتور جمال الدين)

أعلام الإسكندرية فى العصر الإسلامى، القاهرة، ١٩٦٥م.

-عبده (دكتور قاسم)

أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٧م.

-عطية (الأستاذ عبد المجيد)

تميم بن المعز، تونس، ١٩٧٧م.

-عنان (الأستاذ محمد عبد الله)

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٩م.

-فكرى (دكتور أحمد)

مساجد القاهرة مدارسها، جزءان، القاهرة، ١٩٦٥، ١٩٦٩م.

-كريسويل

قصة تأسيس القاهرة، ترجمة د. عبد الرحمن فهمى، مقال فى كتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، ج ٢، القاهرة، ١٩٧١م.

-ماير

الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتى، القاهرة، ١٩٧٢ م.

-ماجد (دكتور عبد المنعم)

نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر، جزءان، القاهرة، ١٩٥٣، ١٩٥٥م.

الأعياد الفاطمية، مقال بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد ٢. ١٩٥٤م، (ص ٢٥٣ - ٢٥٧).

تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م.

-مرزوق (دكتور محمد عبد العزيز)

الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية، القاهرة، ١٩٤٢م.

-المناوى (دكتور محمد حمدى)

الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، القاهرة، ١٩٧٠م.

-ندا (الدكتور طه)

الأعياد الفارسية فى العالم الإسلامى، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، المجلد ١٧، سنة ١٩٦٣، ص ٧ - ١١.

-نصار (دكتور حسين)

ظافر الحداد، القاهرة، ١٩٧٥م.

-وزارة الثقافة

معرض الفن الإسلامى فى مصر (من ٩٦٩ م - ١١٥٧ م)، القاهرة، ١٩٦٩م.

-يوسف (عبد-الرءوف)

الرسوم الآدمية، مجلة المجلة، العدد ٢١، سبتمبر، ١٩٥٨م.

رابعاً : المراجع الأجنبية :

Dozy (R.) :

- **Dictionnaire detaille nome des Velements chez Lez Arabes. Amesterdam 1845.**
- **Supplement aux Dictionnaires Arabes. Leyden 1887.**

Fischel (Walter) :

- Jews in the economic and political life of Mediecal Islam London 1968.

Heyd (W.) :

- Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, 2 vols Leipzig 1923.

Lane - Poele (Stanely) :

- A history of Egypt in the middle agos. London 1901.

Mann (J.) :

- The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, 2 Vols, Oxford 1920 - 1922.

Margoliouth :

- Cairo, Jerusalem and Damascus.
- Oxford, 1907.

Migeon :

- Manuel d'Art Musulman, 2 Vols, Paris 1927.

O'Leary De Lecy :

- A Short history of the Fatimid Khalifate, London, 1923.

Wiet (Gaston):

- Album du Musee Arabe du Cairo, Cairo 1930.

فهرس الموضوعات


تم بحمد الله





العنوان : خلف ٦٨٧ طريق الحرية ـ چناكليس
الإسكندرية ـ جمهورية مصر العربية